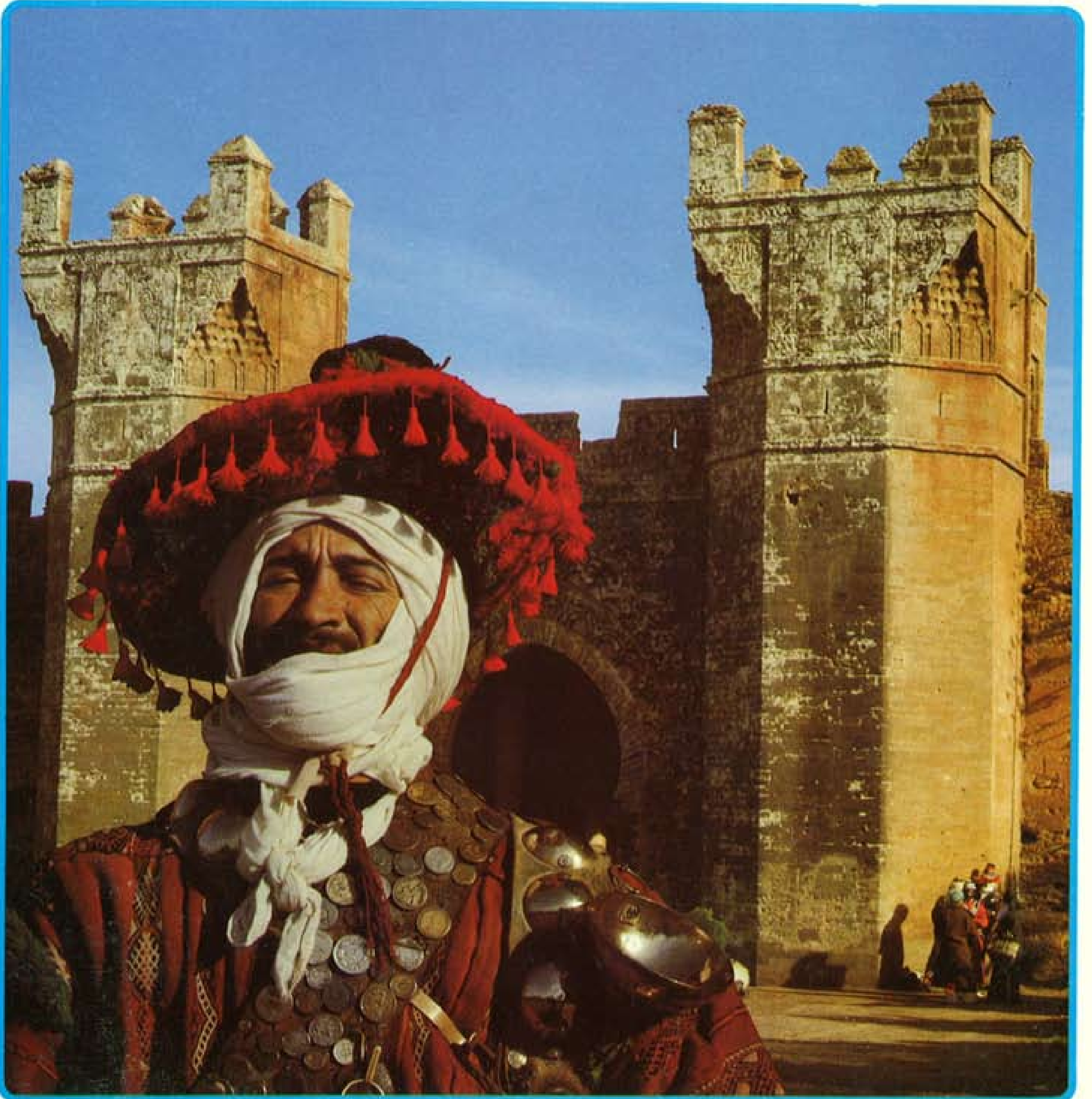
العدد الثاني - السنة الأولى
شعبان ١٣٩٧هـ - يوليو ١٩٧٧م

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية





هدية مجلة "الفيصل"

العدد الثاني - السنة الاولى
شعبان ١٣٩٧هـ - يوليو ١٩٧٧م

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

** لعل من مفاخر المدينة المنورة في العصر الحاضر، تميزها بوجود مكتبة فريدة من نوعها، شريفة في دلالتها، هي مكتبة المصحف الشريف، فهي تحتوي على مجموعات كثيرة من المصاحف الخطية النادرة القديمة للقرآن الكريم، وتعتبر خير مكان لاستعراض النماذج المختلفة لتطور الخط العربي وتطور صناعة الورق، وفي التزيين، واستخدام الذهب والفضة في التلوين الى جانب الالوان الاخرى على اختلاف انواعها في اخراج صفحات الكتاب الكريم، وعلى صفحات هذا العدد دراسة وافية في هذا الموضوع.



** الرباط اليوم هي العاصمة السياسية والادارية للمغرب، وهي مدينة لها تاريخ، وتاريخ طويل وعريض وعميق، منذ ان بنيت وحتى الوقت الحاضر، وتتميز الرباط اكثر ما تتميز بجانبها المعماري الذي ازدهر وبلغ درجة عالية من الاحكام والاتقان سواء في بلورة هذا الفن من ناحية او في ضمان وجود هذا التراث الاندلسي المغربي من ناحية اخرى، وهو ما نطالعه باستفاضة على صفحات هذاالعدد.



** الشلالات عند الشعراء مواقع جمال خلاب ومناطق جذب ومصدر الهام، وهي عند العلماء مجال دراسات حسابية ومواقع مشاريع لتوليد الكهرباء، ثم هي عند السياح مناطق تجمع لمشاهدة آثار فعل الماء، مما يجعل الارض معلما جماليا يأخذ بالعقول والالباب، فماذا تعرف عن الشلالات ؟ وماذا تريد من الشلالات ؟ ربما تجد الاجابة على صفحات هذا العدد، في هذا الموضوع الخاص عن الشلالات!



صفحة

حين كـان المجد يتـنفس من عـقولنا..!!

بقلم : عـلوي طـه الصـافي

قضية عالمية الأدب من القضايا التي شغلت .. وما زالت تشغل كثيرا من الأدباء والمفكرين في عالمنا العربي .. وقد أعارتها الصحافة كبير اهتمامها بمناسبة وبدون مناسبة من خلال لقاءاتها المكرورة مع الأدباء والمفكرين بصورة مثيرة حادة حينا يحكمها الحماس .. وهادئة رزينة حينا آخر يغلب عليها طابع المنطق .. ومناخ الموضوعية.

وتزداد المناقشات حول هذه القضية حدة بمناسبة فوز أديب ما بجائزة «نوبل» العالمية للآداب دون غيرها من الجوائز العلمية الأخرى كأنه اعتراف ضمني بعدم أحقية علمائنا في الفوز بالجوائز العلمية التي تقدمها هذه المؤسسة العالمية!!

وتتسع دائرة الجدل على حدتها .. وتتعدد الآراء .. ويتسابق كل حامل قلم للادلاء بدلوه في زحام الدلاء .. فتتحول القضية الى مناسبة توحي للقارئ انه يعيش أحد المواسم السنوية الخاصة .. موسم يمكن ان نطلق عليه «موسم عالمية الأدب»!!

ويرجع السبب في اثارة هذه القضية ان هذه الجائزة لم تمنح لأديب عربي منذ تأسيسها .. وهذا ما يدعو الكثير الى رفع الاحتجاجات .. والاتهامات في وجه مؤسسة نوبل والقائمين عليها .. وهي احتجاجات واتهامات ليست عشوائية وعلى جانب كبير من الحقيقة والواقع.

عالمية الأدب العربي

والسؤال الذي تثيره قضية عالمية الأدب هو:

أدبنا العربي .. هل هو أدب عالمي؟

ومن خلال هذا السؤال «القاعدة» تنطلق صواريخ .. وأعيرة نارية لأسئلة أخرى:

ما هي عالمية الأدب؟

ما هي مواصفات هذه العالمية؟

كيف يمكن ان نوجد أدباً عربياً عالمياً؟

وتأخذ الاجابة على هذه الأسئلة مسارين:

**المسار الأول: أن ادبنا العربي هو ادب محلي .. لم يقو بعد على تجاوز حدوده الاقليمية.

**المسار الثاني: أنه أدب عالمي .. وله كل صفات ومميزات الأدب العالمي.

وكل مسار له جمهوره .. ومناصروه .. وحججه .. وبراهينه .. وكلاهما «ابن جلا» .. و «ابن ساعدة»!!

عالمية الأدب .. وعالمية اللغة

وفي رأيي ان عالمية الأدب .. هي عالمية اللغة .. وليست المواصفات التي يحددها البعض وحدها لاسباب هي:

**ان هذه المواصفات ليست قواعد محددة .. وهي لا تبعد عن كونها تصورات معينة .. ووجهات نظر مختلفة.

**ان كثيرا من أعمال ادبائنا العرب تنطبق عليها هذه المواصفات .. ومع ذلك لم يفز واحد منهم بجائزة نوبل.

**ربط صفة العالمية بالجوائز العالمية والفوز بها ربط غير موضوعي في مواجهة الوسائل الاعلامية التي تسهل عملية تعريف ادب شعب معين للشعوب او للجهات المختصة بمنح الجوائز العالمية .. ناهيك بالدور الذي تقوم به الاتجاهات السياسية .. وهذا يحدث على المستوى المحلي حيث يمنح أدباء جوائز .. ويحرم آخرون منها كما ان منح الجائزة لأديب وحرمان أديب آخر منها قضية لا تحكمها قواعد موضوعية في أغلب الاحيان .. والشواهد عالميا .. ومحليا معروفة للجميع.

اذن القضية ليست قضية مواصفات معينة تكسب أدباً «ما» صفة «العالمية» .. في الوقت الذي لا يكسبها أدب آخر من الآداب لافتقاره الى هذه المواصفات .. وانما القضية أساسا تتمثل في عالمية اللغة.

فلو نظرنا الى الآداب المعاصرة المعروفة كآداب عالمية لوجدنا ان اعمالها الادبية كتبت باحدى لغات هذا العصر العالمية .. أو ترجمت أغلب هذه الأعمال اليها.

الأدب العربي .. والترجمة

قد نجد من يقول ان عددا لا بأس به من اعمال أدبائنا العرب أمثال الدكتور طه حسين .. وتوفيق الحكيم .. ونجيب محفوظ .. وغيرهم قد ترجم الى لغات عالمية كالانجليزية .. أو الفرنسية .. ومع ذلك لم يفز واحد منهم بجائزة نوبل!!

ومع صحة هذا القول .. الا اننا نجد ان أغلب هذه الاعمال التي ترجمت ان لم تكن كلها قد ترجمت لاغراض خاصة .. ولمواصفات معينة هي غير المواصفات التي تمنح أي أدب صفة العالمية.

فلو بحثنا عن الاعمال الأدبية العربية التي اهتم بها الاجانب .. وقاموا بترجمتها الى لغاتهم ابتداء بحكايات «الف ليلة وليلة» .. وغيرها من الحكايات والأساطير الشعبية المتميزة بطرائف الأحداث .. وغرائب الأمور .. وانتهاء باعمال بعض الادباء العرب المعاصرين .. لتكشفت لنا حقيقة الاغراض الخاصة .. والمواصفات المعينة التي تقف وراء ترجمة هذه الاعمال .. وهي رغبتهم في نقل الاثار الأدبية العربية ذات المضامين الطريفة والمدهشة المثيرة لاهتمامات وخيالات القارئ الغربي والتي تخلو منها بيئته.

ويروي احد الادباء العرب ان مخرجا امريكيا شاهد عرض مسرحية عربية باللغة الانجليزية فأعجب بها واعترف بانها مسرحية عالمية .. ولكنه اعتبر هذه العالمية عيبا في المسرحية العربية على اساس انهم في الولايات المتحدة الامريكية وفي اوروبا ايضا يكتبون بذات الطريقة .. وقال هذا المخرج الامريكي ان المسرحية العربية لم تأت بجديد!!

وعلق الأديب العربي على هذا الموقف بقوله «ان أعين المستشرقين الذين يتولون ترجمة الاعمال الأدبية العربية تتجه الى بائع «العرقسوس» .. وغيره من المظاهر الغريبة التي لا تعرفها البيئة الغربية».


طه حسين


عباس العقاد


توفيق الحكيم

وهذه هي الاسباب التي تدعو الأجانب للاهتمام ببعض الاثار العربية دون غيرها .. ولهذه الاسباب لم تجد أعمال العقاد الفكرية اهتماما من الأجانب.

اللغة العالميـة

بعد هذا السرد نأتي لنقول من جديد ان العالمية هي عالمية اللغة .. وليست مواصفات بعينها.

وهنا لابد أن نسأل:

ما هي عالمية اللغة؟

هل هي كثرة عدد القارئين بها؟

أم غزارة اعمالها الأدبية وتعددها؟

هل هي اعتراف دولي .. او استعمالها في مؤتمرات واعمال المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة .. والمؤسسات المتفرعة عنها؟

الاجابة على هذه الاسئلة هي «النفــي المطلــــق»

فلوكانت عالمية اللغة هي كثرة القارئين بها لكان أدب الصين التي يزيد تعداد سكانها عن سبعمائة مليون نسمة (حسب احصائية عام ٧٣) اكثر عالمية من الأدب الانجليزي .. أو الفرنسي .. أو الامبريكي ! !

ولو كانت بغزارة الاعمال الأدبية .. وتعددها لاصبحت كثير من آداب الشعوب آدابا عالمية ومنها العربية.

ولوكانت باعتراف دولي لاستحق الأدب العربي صفة العالمية .. ولغته احدى اللغات العالمية المعترف بها في مؤسسات الأمم المتحدة .. وغيرها من المؤسسات العالمية.

اذن .. ما هي عالمية اللغة؟

قبل الاجابة على هذا السؤال بشكل مباشر يتوجب علينا ان نسأل:

ما هي الأسباب التي جعلت من اللغة الانجليزية .. واللغة الفرنسية أبرز اللغات العالمية اليوم .. ان لم تكونا اللغتين العالميتين

ان الأسباب التي جعلت من الانجليزية .. والفرنسية لغتين عالميتين .. او اللغتين العالميتين الوحيدتين هي:

أولا:

لأن الولايات المتحدة .. واوروبا التي تتزعمها فرنسا اليوم من الدول «العظمى» .. للتقدم التكنولوجي والاقتصادي والتجاري الذي يجعلها قادرتين على السيطرة والتأثير على الشعوب المتخلفة في هذا المجال.

السيطرة من حيث القوة وما تولده لدى هذه الشعوب من عقدة «الشعور بالنقص» التي تقوده الى التقليد والمحاكاة .. وهي عقدة المغلوب أمام الغالب التي ألمح اليها ابن خلدون.

ثانيا:

انتشار هاتين اللغتين في العالم بأساليب متعددة أبرزها:

* الاستعمار بظواهره المتعددة من حماية .. ووصاية .. الى استعمار استيطاني سعى بكل امكاناته وسلطاته .. وجبروته الى تجهيل شعوب الأرض التي استعمرها بلغتها كما حصل في المغرب العربي (تونس – الجزائر .. المغرب الاقصى) وغيرها من الدول الأفريقية .. والآسيوية.

* البعثات الدراسية التي تمنحها هذه الدول العظمى لمواطني مختلف الشعوب .. اضافة الى ان اغلب شعوب العالم يتلقى ابناؤها ثقافتهم وتعليمهم في جامعات ومدارس امريكا .. واوروبا .. وضرورة الالمام بلغتها.

* انتشار المعاهد الخاصة في كل اقطار العالم لتعلم اللغتين الانجليزية والفرنسية .. هذا الى جانب ان هاتين اللغتين مقررتان ضمن المناهج التعليمية في العالم.

* الاحتياج المستمر للخبرات الفنية .. وهي خبرات تتحدث عادة باللغتين الانجليزية .. والفرنسية او احداهما .. وضرورة تعلمها من جانب الشعوب المحتاجة لهذه الخبرات في حركة التنمية كوسيلة للتفاهم.

هذه هي أهم الأسباب التي جعلت من اللغتين الانجليزية .. والفرنسية اللغتين العالميتين الوحيدتين .. وبالتالي جعلت ادبها أدبا عالميا. وأدخلت آداب بعض الشعوب الاخرى مجال العالمية في الأدب.

العربية .. ماض .. ومستقبل

باستقراء تاريخنا العربي والاسلامي حين كان المجد يتنفس من عقولنا .. «ذكرا» في مختلف فروع العلوم والمعارف الانسانية قبل ان نتحول اليوم الى «ذكرى» في ضمير التاريخ .. نجد ان لغتنا العربية كانت لغة عالمية .. ومن خلالها عرف الآخرون علماءنا .. وفلاسفتنا .. ومفكرينا عرفوا ابن سينا .. وابن الهيثم .. وابن خلدون .. وغيرهم.

وكانت اللغة العربية لغة عالمية لأنها كانت لغة العلم «المتفردة» .. ولغة الأدب «الشاعرة» .. والعرب كانوا سادة العالم .. واساتذته بلا منازع.

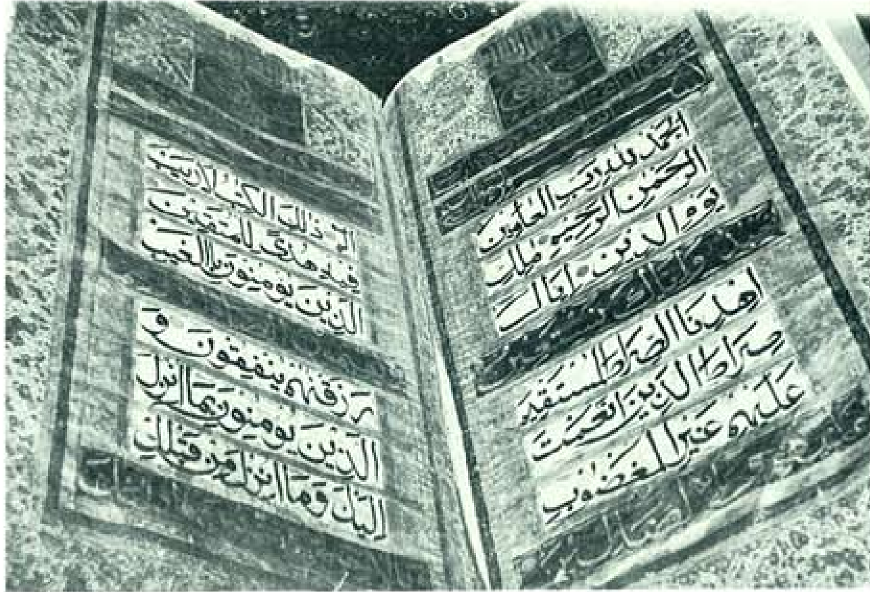
باختصار .. كانت لغتنا العربية لغة القوم الاقوياء .. ولغة القوي هي اللغة العالمية لأنها لغة الغالب.

ولكي نحقق لأدبنا المعاصر صفة العالمية فعلينا ان نعيد للغة العربية مكانتها الأولى هذه المكانة التي لا تتحقق الا حين تصبح لغة عصر .. ومستقبل .. ولكي تكون كذلك لابد ان نحقق لها الوسائل التي تجعل منها لغة علم وأدب يتحدث بها .. وتقرأ آدابها وعلومها من خلالها كل شعوب الأرض وهي لن تكون كذلك اذا ظللنا في دائرة الشعوب التي عناها الشاعر بقوله:

ان أشقى الشعوب في الأرض شعب ... يومه ميت وماضيه حي

مكتبة المصحف الشريف

بقلم : محمد العيد الخطراوي



صورة لأكبر مصحف مخطوط في المكتبة

عرفت الحضارة العربية في عهود ازدهارها الاهتمام بالمكتبات العامة، وافتن الخلفاء والولاة في تشييدها، وتسابقوا في تأسيسها وعدّوه من المفاخر العظام في ميزان الرجال، ولعل من اهمها بيت الحكمة ببغداد ودار الحكمة بالقيروان، وقد كانت مرتادا لطلاب العلم والادب يتزودون منها ويستفيدون من ذخائرها، ومن علم القائمين عليها، وقامت بعضها بالاضافة الى هذا بخدمة طلاب العلم بشكل اوسع فسمحت للموثوقين منهم بالاستعارة الخارجية مجانا او مقابل ضمانات مالية، فاذا كان الكتاب نفيسا نادرا منعت اعارته نهائيا، وهي في موقفها هذا انما كانت تهدف الى الحفاظ على ما فيها من كتب وتحميها من الضياع. والذي لاشك فيه ان المكتبات العامة كانت عاملا قويا في تثبيت دعائم صروح العلم والثقافة في المجتمع الاسلامي ابان عهوده الزاهرة.

والمدينة المنورة كعاصمة من العواصم الاسلامية الكبرى ومأرزا للايمان والمؤمنين لم تخل جنباتها من هذه الظاهرة الحضارية على مستويات مختلفة وان كانت المكتبات الخاصة

فيها اكثر شيوعا وانتشارا، وقد كانت العهود الاخيرة تابعة للأربطة والمدارس الخاصة التي انشأها اصحابها لايواء طلاب العلم وتدريسهم وتقديم العون اليهم، وبعض تلك المكتبات الخاصة تتحوّل احيانا الى مكتبة عامة حيث يوقفها صاحبها ويوصي بتحويلها الى مكتبة عامة، وذلك كمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت، وهي من اغنى المكتبات بالكتب النفيسة والمخطوطات النادرة. او بدافع حمايتها من الاندثار، وذلك كما فعلت وزارة الحج والاوقاف في بعض المكتبات الخاصة التي كانت قبل الآونة الاخيرة وقبل ان تلمسها يد هذه الوزارة مهملة متروكة نهبا للارضة والرطوبة والتراب والايدي العابثة، فقامت بتجميعها بمختلف الوسائل وأقامت لها مبنى مناسبا قرب الحرم النبوي الشريف وملاصقا للمحكمة الشرعية الكبرى وكتبت لها الفهارس الملائمة فأصبحت بذلك في متناول طلاب العلم والبحث وتهيأت لما اراده منها اصحابها حين اوقفوها على رواد العلم وطلابه وهي خطوة بلاشك عظيمة.

مكتبة المصحف الشريف

ولعل من مفاخر المدينة المنورة في العصر الحاضر ومن مفاخر الفيصل رحمه الله فيها تميزها بوجود مكتبة فريدة من نوعها عظيمة في قدرها شريفة في دلالتها ومرماها، تلكم هي مكتبة المصحف الشريف، وهي مكتبة تستحق منا الاشادة وتستأهل ان نتحدث عن فضلها وفضل منشئها والقائمين عليها. وظاهر من اسمها انها مخصصة لخدمة المصحف الشريف بشكل من الاشكال وهو مصدر تميزها، وانها لكذلك. فهي تحتوي على مجموعات كثيرة من المصاحف الخطية النادرة القديمة للقرآن الكريم. اوقفها محبوا الاسلام على اختلاف وظائفهم والقابهم وطبقاتهم كهدايا للمسجد النبوي الشريف تيمنا وطلبا للمتوبة من الله. فمنهم السلطان، والرجل العادي، وامير الجيوش، والخطاطون. وتعتبر هذه المكتبة خير مكان لاستعراض النماذج المختلفة لتطور الخط العربي وتطور صناعة الورق وفن التزيين، واستخدام الذهب والفضة في التلوين، الى جانب الالوان الاخرى على اختلاف انواعها في اخراج صفحات الكتاب الكريم اخراجا فنيا بديعا، وكذلك التعرف على انواع الحبر المستخدم، وقد حافظت هذه المصاحف على خطها ونضرتها وجمالها رغم مضي فترات طويلة على كتابتها مع انها لم تكن محفوظة حفظا جيدا قبل انشاء هذه المكتبة عام ١٣٩١ هـ ولم تؤثر فيها الاتربة وعوامل الاهمال الاخرى. فمن حيث الخط فهناك الخط الكوفي الى جانب الخط الثلث والخط النسخ والخط المغربي والفارسي الى غير ذلك من الخطوط.

الخطوط .. والورق

ومن حيث الورق فمنها ما كتب على رقّ الغزال ومنها ما كتب على ورق عادي وآخر صقيل ومنها ما كتب على ورق مذهب او مفضض بكامل صفحاته، او ملون الصفحات الى غير ذلك من الاعاجيب الفنية.

واقدم مصحف على الورق العادي وقعت عليه عيني في هذه المكتبة مكتوب عام ٥٤٩ هـ بخط ابي سعد محمد بن اسماعيل بن محمد، اي قبل سقوط الدولة العباسية بمائة وسبع سنين وهي فترة من ازهى فترات الابداع في الخطوط والتفنن فيها. ومساحة هذا المصحف ٢٠ × ٣٠ سم٢ وتاريخ اهدائه عام ١٢٥٣ هـ. كما ان اقدم مصحف فيها مكتوب على الرق يرجع تاريخه الى ٦٧٨ هـ اي بعد سقوط الدولة العباسية باثنتي عشرة سنة. وهو مصحف متوسط الحجم كتبه بخط مغربي الخطاط عبيدالله محمد بن سعد بن علي بن سالم الخزرجي. ومن المصاحف القديمة مصحف كبير يرجع تاريخه الى عام ٧١٠ هـ من اهداء السيد حسن بكباشي وبخط عبدالله بن محمد بن محمود بدر الهمداني.

وآخر من اهداء الحاجة عائشة صديقة خانم حرم صالح



نوع من خطوط أحد المصاحف الشريفة

باشا فريد عام ١٣٠٥ هـ كتب عام ٧١٠ هـ هذا من حيث القدم. اما من حيث الحجم فان اعجبها جميعا مصحف ضخم جدا مكتوب على رق الغزال يرجع تاريخه الى ١٢٤٠ هـ كتبه الخطاط الهندي غلام محي الدين، ويزن هذا المصحف ١٥٤ كغ ومساحته ١٤٥×٨٠ سم٢ وجلده مبطن بالقطيفة وزواياه محلاة بالمعدن لتقويته وتدعيمه، وله فاصل لتحديد مكان القراءة وصفحاته مزينة بالذهب، وبخارجه قفل يقفل به، وهو موضوع على قاعدة كبيرة من جزأين ولعل من المفارقات العجيبة ان يوضع بجانب هذا المصحف الضخم في صالة المكتبة مصحف صغير جدا لا يتجاوز حجم كف اليد، وهو من اهداء علي يوسف بن مصطفى داغستاني عام ١٣٤١ هـ وكتابته عام ١٠١٨ هـ وقد وضع على مفرش من القطيفة المطرزة بخيوط الفضة الخالصة في اشكال متناسقة، تنتهي باطار ذهبي حول دائرة المفرش التي يبلغ قطرها ١٢٠ سم تقريبا، ووضع المفرش على منضدة من خشب الورد استخدمت في زخرفتها اشكال اوراق الشجر بالنحت داخل الخشب نفسه. ووضع هذين المصحفين بجانب بعضهما يعطي لزائر المكتبة فرصة الاستغراق في جمالها والتأمل في الجهد المبذول في كتابتها فالاول مثال للجهد والعبقرية الفنية المبذولة في التكبير والثاني نموذج للفن المبذول في التصغير مع المحافظة على الجوهر والقدسية.

التفنن في الاخراج

واذا كنا تحدثنا فيما سبق عن التنوع في الخطوط والاحجام فان بامكاننا ان نشير ايضا الى التفنن في الاخراج، فمن المصاحف ما تفنن خطاطه في كتابة آياته على شكل دوائر اذ تحتوي الصفحة الواحدة منه على دائرتين، خطت في داخلها آيات الذكر الحكيم في سطور دائرية متناسقة المسافات وقد اشار كاتب المصحف انه كتب منه ثماني عشرة نسخة عدا هذه النسخة وبذلك يكون ما خطه على هذا النحو تسع عشرة نسخة.

وهناك مصحف من جزأين يشتمل كل جزء منهما على نصف القرآن، اعتمد كاتبه التماثل في الاسطر بحيث اشتملت كل صفحة على احد عشر سطرا، كما اشتملت هوامشه على بعض الاشارات للقراءات المختلفة في الآية الواحدة، وهو من اهداء السلطان المملوكي الاشرف ابو النصر قايتباى عام ٨٨٩ هـ. وقد غلف كل جزء بالجلد المبطن بالخشب ومقاس النسخة ٤٠×٦٠ سم.

وفي نسخة كريمة من الرق المصقول نجد كاتبها جعل كل صفحة فيها مقسمة الى ثلاثة اسطر رئيسية مكتوبة بخط كبير ثم اربعة اسطر ذات حروف صغيرة، وقد رممت اجزاء من صفحاتها لتآكلها بفعل الزمن ومن المصاحف التي اهداها قواد الجيوش نسخة مهداة من قائد عموم الجيوش الاسلامية انور باشا بمناسبة زيارته للمدينة المنورة عام ١٣٣٤ هـ وهو بخط ايوب المعارف عام ١٢٧٣ هـ.

وهناك مصحف من اهداء والدة داود باشا عام ١٢١٠ هـ وهو ممن حكم المدينة المنورة وسبق له ان حكم العراق من قبل الدولة العثمانية وصاحب مؤلفات معروفة واليه تنسب محلة الداودية بالمدينة المنورة.

ولو مضينا نحصي المصاحف الموجودة بالمكتبة ونتحدث عنها لطال بنا الكلام، اذ ان عدد المصاحف فيها يناهز الالفي مصحف، عدا الربعات العديدة والمتنوعة التي لا ينقص مستواها الفني عن مستوى المصاحف الموجودة بالمكتبة، فقد تفنن فيها كتابها وبلغوا منتهى الابداع، فهي لا تختلف عن المصاحف الا في كونها عبارة عن صناديق جميلة تحوي نسخا كتب فيها القرآن الكريم اجزاء تشتمل كل نسخة على جزء او جزئين، ويبدو ان اتخاذ اسلوب الربعات في كتابة القرآن الكريم ظهر في العصور التي كان الناس فيها يجتمعون لقراءة القرآن كله في مجلس واحد محدود بزمن في المناسبات المختلفة وهي عصور متأخرة على كل حال. ولنفاسة هذه المصاحف فانه لا يسمح الآن بتناولها بل استعارتها وحسنا فعل القائمون عليها بهذا التنظيم.

وليست المصاحف والربعات هما المادتين الوحيدتين لمحتوى مكتبة المصحف الشريف وان اكتسبت الاسم منهما، بل هناك عناصر اخرى عديدة من التحف الفنية النادرة مثل الخزانات والمباخر واللوحات الخطية والشمعدانات النحاسية والفضية والمفارش والسجاجيد المخطوطة والستائر الذهبية الى جانب قطعتين من حزام الكعبة.

الخزانـــات

هي ست خزائن مستعملة لحفظ المصاحف، اتسمت بالدقة في الصنع والبراعة في التزيين والتفنن في اختيار المواد التي صنعت منها فهي من الخشب المطعم بالعاج والصدف،



شمعدان عليه شمعة



شمعدان بقاعدة نحاسية



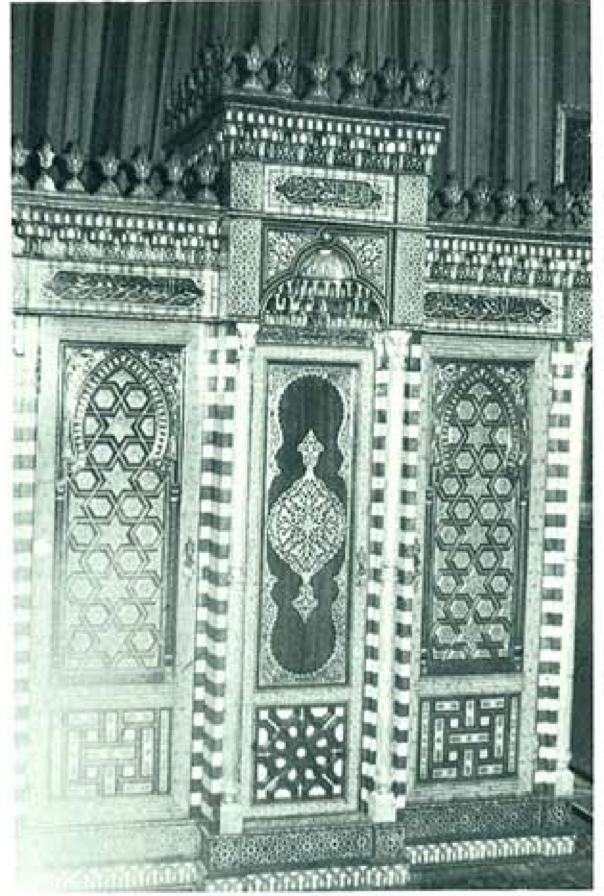
شمعدان على شكل شجرة

وتشتمل كل خزانة على ثلاثة ابواب، اخذ الايمن والايسر منها شكل محراب، والاوسط تميز بتجويفة اخذت شكل القبلة، ويعلو هذه التجويفة اسم الجلالة مكتوبا بالعاج حفرا على الخشب. ومفصلات الخزائن كلها من الفضة وعلى جوانبها ايضا اعمدة فضية، وقد استخدمت في زخرفتها الاشكال الهندسية المنمقة وزينت ببعض الآيات القرآنية الكريمة منها فاتحة الكتاب، كما زينت بعض اجزاء اخرى منها بأبيات من قصيدة البردة للبوصيري وكتب عليها انها مهداة للحجرة النبوية الشريفة من الاميرة امينة هانم حرم المرحوم توفيق باشا خديوى مصر ووالدة الخديوي عباس الثاني عام ١٣٢٨ هـ.

اللوحـــات

هي لوحات خطية اهديت لتزيين جوانب المسجد النبوي الشريف منها اربع لوحات فريدة كتبت بخط بعض السلاطين مثل السلطان محمود والسلطان عبد المجيد، وذلك بالخط الثلث الجلي، كتب على الاولى البسملة، وعلى الثانية: «انا فتحنا لك فتحا مبينا»، وعلى الثالثة «حسبنا الله ونعم الوكيل»، وعلى الرابعة: «الله ولي التوفيق». هذا فضلا عن تسع عشرة لوحة زجاجية حفر عليها القرآن الكريم من سورة الفاتحة حتى سورة الكهف، وهي لوحات مماثلة من حيث عدد الاسطر وحجم الحروف ومزينة باطارات ذهبية. ويبدو ان لها اخوات مفقودات تكمل الختمة، فليس من المقبول ان يقف بها كاتبها عند نصف القرآن ولا يتم نصفه الآخر، فقد اراد منها تحفة فنية متكاملة.

وفي المكتبة لوحات اخرى ثمينة لمشاهير الخطاطين ذات روعة وجمال، منها لوحة كتبت حروفها وزخارفها بالواح من الذهب لاسم الجلالة واسم محمد (صلى الله عليه وسلم). وداخل حروف اسم الجلالة كتبت اسماء الله الحسنى، كما كتبت داخل حروف اسم محمد اسماء اخرى للرسول صلى الله عليه وسلم. وجعل اطار الاسمين من الفضة وزينت زوايا اللوحة بالذهب الخالص.



احد خزائن المكتبة

الشمعدانــات والمباخــر

كما توجد ايضا مجموعة من الشمعدانات التي كانت تضيءُ شموعها اركان المسجد النبوي قبل ادخال الكهرباء اليه في العصر الحديث. وقد تعرض المسجد قديما كما يحدث المؤرخون بسبب الاعتماد في الاضاءة على الشموع والقناديل الى بعض الحرائق كان منها الحريق الشهير الذي عاصره مؤرخ المدينة



مبخرة فضية

الشريفة تتحول نهايات اغصانها الى حاملات شموع، ولا تزال شبيهات لها يوجدن بالمسجد النبوي الشريف الى اليوم.

حزام الكعبة المكرمة

وتوجد بها قطعتان من احزمة الكعبة المشرفة كتبت عليها بعض الآيات القرآنية الكريمة بخط الخطاط الشهير عبدالله



احدى الستائر الذهبية

اطارها آية الكرسي، كما كتب على بعضها سورة يس او غيرها من آيات الذكر الحكيم.

الستائر الذهبيــة

ويلحق بالمكتبة في الطابق العلوي غرفة طويلة نستطيع ان نسميها غرفة الستائر الذهبية انشئت بعد افتتاح المكتبة. وعدد هذه الستائر ست وثلاثون ستارة ذهبية كتبت عليها بعض الآيات القرآنية بالاسلاك الذهبية، كتبها الخطاط التركي الشهير مصطفى راقم وهو استاذ السلطان محمود العثماني، وكل ستارة منها تحمل اسم المكان او الباب الذي حدده صانعوها لتعلق عليه، كباب الشامي وباب التوبة وباب النساء وبعض حوائط الحجرة النبوية، وعليها ايضا زخارف فنية بديعة في الدقة والصنع واختيار الخامات اما ارضيتها فمن الحرير الاخضر اللامع ورغم انها صنعت عام ١٢٣٥ هـ فان منظرها الزاهي يوحي الى المشاهد بأن صانعها لم يغادرها الا منذ ايام قلائل. وقد حدثني سعادة رئيس مجلس اوقاف المدينة السيد حبيب محمود بأنه تم عثورهم على هذه الستائر الثمينة عن طريق الصدفة، وجدوها في صناديق خشبية في احدى مخازن المسجد النبوي القديمة، فكان الرأي ان تعرض في جناح خاص بمكتبة المصحف الشريف، اذ ان كل ما في هذه المكتبة ذو علاقة بمسجد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وهي انما ستائر لتزيينه وتعليقها على جدرانه كما كان متبعا في تلك العهود.

ولا يفوتني هنا ان اسجل شكري لسعادة رئيس مجلس الاوقاف بالمدينة ثم لخبير المكتبة الاستاذ سعيد احمد الدربي الذي تعاقدت معه وزارة الحج والاوقاف اخيرا للانتفاع من خبراته في صيانة مكتبة المصحف والمكتبة العامة بالمدينة، فقد يسرا لي الوصول الى كل مكان في المكتبة ومكناني من الاطلاع على كل شيء فيها وزوداني بكثير من المعلومات اللازمة التي يحتاجها اي انسان يزور المكتبة زيارة فاحصة بغرض الكتابة عنها.

والجدير بالذكر ان هذه المكتبة مقامة الآن في الجانب الغربي من المسجد النبوي بين باب السلام وباب الرحمة وفوق الباب المعروف بباب الصديق، وهو باب مستحدث في البناء القديم للمسجد ابان التوسعة السعودية التي كان امر بها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله والذي سمي كذلك لانه في مكان بيت لابي بكر الصديق رضي الله عنه كان له باب على المسجد ذي مدخل صغير اعتاد العرب ان يسموه «خوخة» وقد اشتهر هذا المكان عند الناس بخوخة الصديق. ومن هذه الناحية فان هذه المكتبة مشرفة بالمصحف الشريف، معطرة بالمسجد، مرتبطة بذكرى الراحل العظيم فيصل بن عبد العزيز، فهي من منشآته العظيمة التي نرجو ان تكون ضياء لقبره، رافعة لدرجاته عند الله، وانها لمكتبة فريدة من نوعها في العالم كله.

ومجمل القول ان كل ما تحويه ثمين قيم ونادر في ذوقه وفنيته وتمثيله للجوانب الزخرفية والخطية والفنية والجوانب الروحية في ديننا الاسلامي العظيم، وفي الحقيقة ان كل قطعة فيها سواء كانت مخطوطة في مصحف او ربعة او ستارة او مفرش او خزانة او لوحة لجديرة بالدراسة على حدة تدقيقا وتفصيلا، وكم اتمنى ان تتسع بعض جوانب هذه المكتبة لتحف اخرى من الفن الاسلامي لتكون نواة لانشاء متحف اسلامي يساعد في استعادة مكانة هذا البلد المقدس العظيم المدينة المنورة مأزر الايمان ومهاجر الرسول الكريم صلوات الله عليه ومثواه الاخير.

لقاء
مع

محمّد المزالي

وزيرًا .. وأديبًا ..

كيف السبيل إلى توحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية ؟

قضية التعريب في المغرب العربي .. وهل هي قضية مصير ؟

ماهي وسائل وطرائق التربية في العالم العربي ؟

ماهي طبيعة الثقافة ؟ وماهو دور المثقفين في العالم الثالث ؟

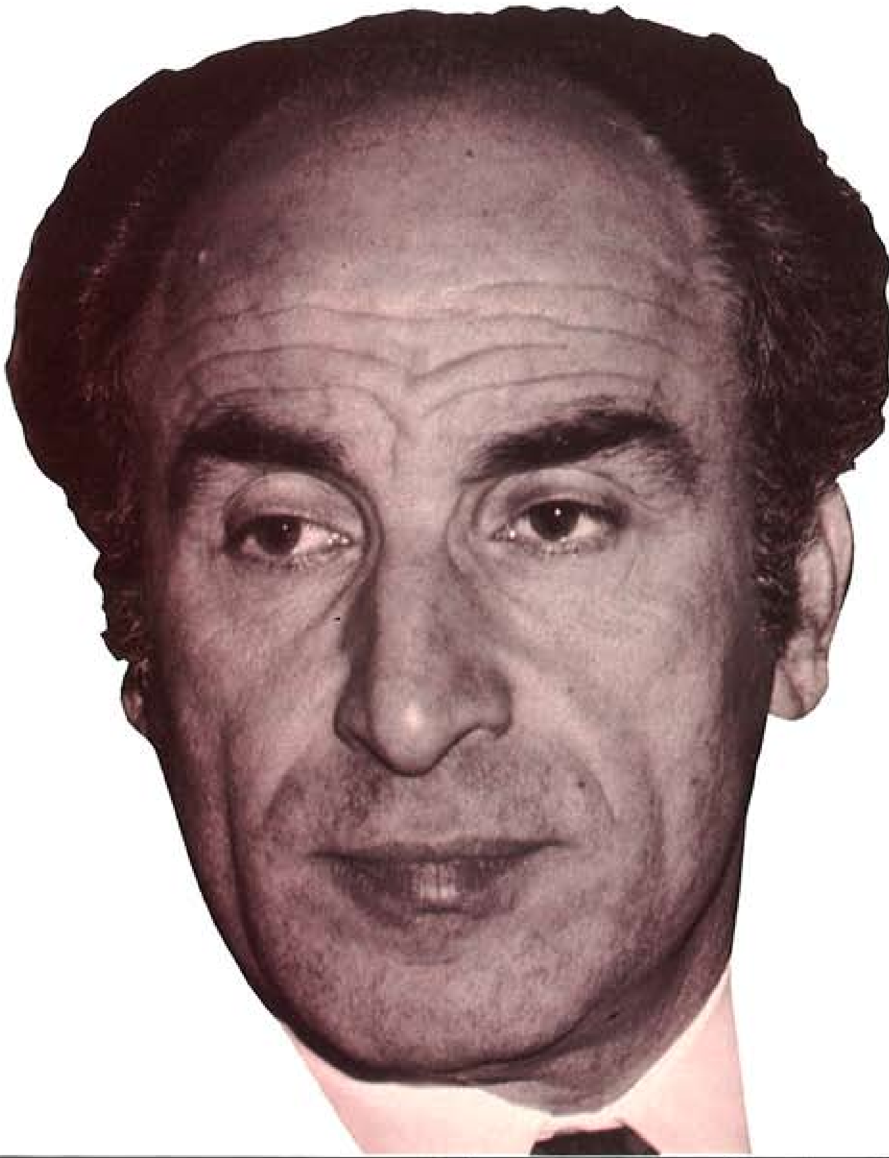
تتوقف طويلا وانت تقلب صفحات حياته باعجاب.

أهم ما يلفت اهتمامك تعدد نشاطاته وتنوعها في خدمة وطنه تونس.

تولى منصب وزير لعدة وزارات (وزيرا للدفاع الوطني .. ثم وزيرا للشباب والرياضة .. ثم وزيرا للتربية القومية والشباب والرياضة .. ثم وزيرا للصحة) وهو الآن يتولى منصب وزير التربية القومية.

هذا جانب من جوانب صورة الرجل على المستوى العملي الذي قد لا يعرف اسمه من خلاله اولئك الذين ينحصر اهتمامهم في الحياة في القراءة .. ومتابعة المجلات الثقافية والفكرية التي تصدر في العالم العربي وخاصة من خارج بلده .. لكنهم سيبادرون الى ذكر اسمه اذا علموا انه صاحب .. ومؤسس مجلة «الفكر» التونسية التي تصدر منذ اكثر من ٢٠ عاما مع مطلع كل شهر دون توقف .. انه الاستاذ محمد المزالي .. وهذا جانب آخر من صورة الرجل خصوصا اذا عرفنا ان له عددا من الكتب التي الفها .. وترجمها.

وبمطالعة ترجمة حياة الاستاذ المزالي المنشورة مع هذا الحوار الذي اجريناه معه في مكتبه بوزارة التربية القومية في تونس رغم مشاغله العديدة تكتمل امام القارئ العربي كل جوانب صورته .. وشخصيته بنشاطاتها المتعددة.



توحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية

بداية حوارنا معه بصفته احد وزراء التربية والتعلم في العالم العربي كان حول قضية توحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية .. والأفكار المطروحة لتحقيق هذا الهدف على المستوى الرسمي .. فتحدث قائلا:

«اجتمع وزراء التربية العرب اربع او خمس مرات .. ودرسوا في مقدمة ما درسوا مسألة توحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية، ووضعت كذلك المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مخططا لنفس الغرض وذلك لادراك كافة المسؤولين بخطورة التربية والتعلم في ايجاد اجيال متجانسة في التفكير.. والثقافة وداعية بما يربط مختلف انحاء الوطن العربي من اواصر روحية وحضارية قادرة على العمل من اجل الوحدة العربية الاسلامية.

وتوحيد مناهج التربية والتعلم من شأنه كذلك ان يقضي على ما أورثه فينا الاستعمار من انماط التفكير غريبة في بعض الاحيان عن واقعنا، وما اورثه فينا كذلك من جهل بعضنا للبعض الآخر مما نتج عنه متناقضات ومؤثرات احيانا حالت دون وحدة الصف وتوفير اسباب المناعة الحقيقية.

لكن الواقع هو اننا لا نزال في اول المطاف وكل ما سجلناه الى الآن هو شيء من التقارب والتعاون بين بعض الاقطار العربية مثل ما هو موجود اليوم بين اقطار المغرب العربي الكبير.

لـقـاء مـع
محـمد المـزالي



معالي الاستاذ محمد المزالي
وزير التربية القومية في تونس

بطاقته الشخصية:

– من مواليد مدينة المنستير في تونس في ١٩٢٥/١٢/٢٣.

– حاز من كلية آداب «السوربون» في باريس الاجازة في الفلسفة ودبلوم الدراسات العليا للآداب.

بعض اعماله:

– عمل بعد عودته من فرنسا استاذا .. ثم رئيسا لديوان كتابة الدولة للتربية القومية .. فمديرا للشباب والرياضة ثم مديرا عاما للاذاعة والتليفزيون .. وفيما بعد اصبح وزيرا للدفاع الوطني .. فوزيرا للشباب والرياضة .. ثم وزيرا للتربية القومية .. ووزيرا للصحة، وهو الآن وزير التربية القومية في وطنه تونس.

– أعيد انتخابه نائبا في مجلس الامة التونسي

ومن حيث منهجية العمل فانه لابد من التواضع .. واعتبار المراحل .. ولذلك يحسن التعرف قبل كل شئ على واقع التعلم بدرجاته والقيام بدراسات وبحوث لضبط ما قطعته مختلف البلدان العربية في ميدان تعميم التعلم وبرامجه واساليبه التدريسية، وتكوين المعلمين والاساتذة.

ولكن ما دامت العزيمة متوفرة فان الأمل معقود على بلوغ هذه الغاية البعيدة وياحبذا لو اكثرنا من تبادل الزيارات بين المسؤولين على كافة المستويات سواء بين الوزراء واعضادهم، او بين الجامعات والاساتذة، والمفتشين وغيرهم، وكل من سار على الدرب وصل.

وسائل التربية في العالم العربي

امتدادا لحوارنا عن قضية توحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية سألنا الاستاذ المزالي عن الاستجابات .. او التفاعلات الايجابية الصالحة التي يمكن ادخالها على وسائل وطرق التربية في اطار المجتمعات العربية بخصائصها وفي ظل المتغيرات الاجتماعية .. والثقافية العالمية المفروضة بحكم الاحتكاك وتعدد وسائل الاتصال بالعالم الانساني .. وامام التطور الرهيب في عالم المستحدثات .. والاختراعات .. والتقنيات الجديدة .. وما هي أبعاد تصوره لنتائجها سلبا .. او ايجابا .. وقد أجاب بقوله:

«نحن نعيش في الربع الاخير من القرن العشرين في عالم زالت منه، اوكادت المسافات، واصبحت كل اجزائه متضامنة .. متأثرة بعضها ببعض، ونحن نعيش في عالم سادت فيه العلوم وطغت التكنولوجيا بحيث اصبح من الصعب البقاء في عزلة، او شبه عزلة عما يجد من جديد في كل القطاعات والميادين. ولهذا يتعين على النظام التربوي – اي نظام تربوي – ان يتطور وان يتلاءم مع كل المستحدثات والاختراعات والتقنيات الجديدة.

والذي يجعل هذه المهمة صعبة اكثر من اي وقت مضى هو ان سرعة التطور العلمي والتكنولوجي اقوى بكثير من قدرة النظام التربوي على التغير مما جعل رسالة المربي عسيرة، لان التلاميذ اصبحوا يستمدون من الوسائل السمعية البصرية الحديثة وخاصة منها الاذاعة والتليفزيون من المعلومات والبيانات والمعطيات ما لا توفره لهم المناهج الرسمية في كل المدارس. فهل استطاعت مناهج التعلم اليوم مثلا ان تبين وتوضح لجماهير الشباب كيف وطأت اقدام الانسان سطح القمر في يوليه ٦٩ اوكيف استطاع الانسان اليوم ان يرسل المركبات الفضائية الى المريخ ويسبر اغوار هذا الكوكب مثل ما يشاهد كل هؤلاء الشبان ذلك مباشرة في غالب الاحيان من خلال البرامج التليفزيونية بالألوان، وقد نتج عن هذا ان التلاميذ زادوا شغفا بهذه الوسائل السمعية البصرية، وربما شعروا بشئ من السآمة والرتابة من جراء استماعهم الى الدروس التقليدية ولهذا يجب ان تتطور الانظمة التربوية بسرعة، وهذا لا يكون الا اذا تطور القائمون على التربية انفسهم، وتطور كذلك رجال التعلم.



ثلاث مرات عن المنستير.

نشاطه الرياضي:

- كان رئيس اللجنة الاولمبية التونسية .. ورئيس الجامعة التونسية لكرة القدم .. كما كان الرئيس المساعد للجنة الدولية لألعاب البحر الابيض المتوسط .. ورئيس لجنة تنظيم العاب البحر الابيض المتوسط في مدينة تونس .. ثم انتخب عضوا باللجنة الدولية الأولمبية (دورة مدريد) .. وعضوا بالهيئة التنفيذية للجنة الدولية الاولمبية (دورة فارنا).

نشاطه الثقافي:

له مجموعة من الكتب المؤلفة والمترجمة:

- كتاب «الديمقراطية» من تأليفه
- كتاب «تاريخ شمال أفريقيا» لشارل اندرى جوليان (ترجمة)
- كتاب «المعمرون الفرنسيون والشباب التونسي» (ترجمة)
- كتاب «من وحي الفكر» وهو عبارة عن مقالات كان ينشرها في شكل افتتاحيات لمجلته ««الفكر» .. كما فعل الاستاذ احمد حسن الزيات حين اصدر كتابه «من وحي الرسالة» نسبة الى مجلته الرسالة التي نشر فيها هذه المقالات.
- كتاب «مواقف» .. وكتاب «وجهات نظر» .. وكتاب «دراسات» من تأليفه.

ان المعلومات التي تحصل للشباب عن طريق غير طريق المدرسة ليست كلها حقا وخيرا، وليست تتلاءم جميعها مع ما يناسب هؤلاء الشباب. ولكن نحن مضطرون الى ان نعيش عصرنا والى ان نربي ابناءنا بصورة ذكية حتى ينشأوا نشأة قومية صحيحة .. ونشأة عصرية قويمة، ويكون الواحد منهم كما يقول المثل العربي القديم: (في النار ولا يحترق).

سبيل تعريب التعلم لكنه قد لا يستوعب حجم هذه المعاناة .. وما يبذل من شأنها اذا لم يقدر له زيارة هذه البلدان .. زيارة معايشة ودراسة فاحصة. هذا فيما يخص قضية تعريب التعليم في المغرب العربي .. وللقضية جانب آخر تشترك فيه كل البلدان العربية ومغربيها .. ومشرقيها يتمثل في اختلاف المصطلحات العلمية .. والعسكرية

لقاء مع
محمد المزالي

وثانيا الحفاظ، بل الرفع من مستوى التعلم من الناحية العقلية والعلمية والتقنية خاصة. والصعوبة تمثلت بالخصوص في تكوين المكونين وايجاد الاطارات (الكوادر) الكفوءة القادرة على اصلاح التعلم وبالخصوص تعريبها.

ونستطيع ان نقول اليوم ان تعريب التعلم لم يعد قضية مبدأ او اختيار لانه لا يوجد تونسي واحد يناقش في ذلك وانما هي قضية مراحل وامكانيات.

ونحن في تونس نحمد الله اننا قطعنا في هذا الطريق اشواطا ذات بال ونحن نواصل هذا العمل بكل موضوعية وتصمم.

أما مسألة توحيد المصطلحات العلمية والعسكرية وغيرها من المصطلحات في العالم العربي فهي قضية هامة وخطيرة. واعتبر ان اجتماعات وزراء التربية والتعلم العرب يجب ان يضعوا في المقام الاول من مشاغلهم هذا الموضوع لان التعريب ضروري ولكن يجب الا يؤول بنا الأمر الى فوضى لغوية فنتكلم جميعا عربيا ولكن تختلف المفاهم والكلمات من قطر عربي الى قطر عربي آخر.

والواقع ان خطوات محتشمة ولكنها ثابتة قطعت في هذا الميدان. ذلك ان وزارات التربية في بلدان المغرب العربي الكبير قد توفقت الى انجاز ما اصطلح عليه بـ (الرصيد اللغوي الوظيفي) وهو مجموعة من المفردات العربية الفصيحة او الجارية على قياس كلام العرب التي تؤدي مفاهم الطفل العربي في سن معينة. تلك المفردات التي يحتاج اليها الطفل والتي يحسن ان يلم بها اثناء السنوات الثلاث الاولى من التعلم الابتدائي حتى يتسنى له التعبير عن الاغراض والمعاني العادية المستعملة في التخاطب اليومي وكذلك التعبير عن المفاهم الحضارية العصرية.

ان هذا الرصيد اللغوي انجز بالنسبة للسنوات الثلاث الاولى .. هو اذن قدر مشترك من المفردات بين اقطار المغرب العربي الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب) وضبط بعد سنوات طويلة من البحث المضني الطويل النفسي الذي قام به منذ عام ١٩٦٦ ثلة من الأساتذة والاخصائيين التونسيين والجزائريين والمغاربة. وذلك حسب المقاييس العلمية التالية:

١–توفر المفردات .. اي نسبة تكرارها.

٢–التوزع الجغرافي في الاقطار المغربية.

٣–الالتزام باختيار مفردة واحدة لكل مفهوم تحاشيا للحشو والترادف.

٤–اعتبار الالفاظ الكافية عند التلميذ.

٥–اجتناب القطيعة في المكان والزمان ومعنى ذلك ان هذا الرصيد روعي فيه ان يكون عربي المحتوى (لا تونسي صرف) لا يقطع الصلة بالماضي (الزمان) ولا بالبلدان العربية الاخرى (المكان).

وقد التزمت وزارات التربية الثلاث بالاقتصار على استعمال هذه المفردات دون سواها (حوالي ٧٠٠٠ سبعة آلاف مفردة، ومطالبة كل مؤلفي الكتب المدرسية باستعمال هذه المفردات دون غيرها، وسيجتمع في الايام القادمة بتونس خبراء البلدان الثلاثة للقيام بنفس العمل بالنسبة للسنة الرابعة الابتدائي.

وهكذا نرى اننا بدأنا عملا لغويا توحيديا اساسيا ينطلق من السنة الاولى ابتدائي ويتدرج بتدرج الطفل في بقية السنوات الاخرى من التعلم الاساسي.

ونحن نعتقد ان هذا العمل عظم الفائدة، بعيد الخطورة لانه سيضمن بحول الله وحدة ثقافية وحضارية مبنية على اساس الوحدة اللغوية المنسجمة.

ونظرا لنجاح هذه التجربة ادرجت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية مشروع حصر الالفاظ في مستوى الابتدائي في البلدان العربية كلها، وانعقد اجتماع لهذا الغرض، ووقع تبني المنهجية التي اتبعت في لجنة الرصيد اللغوي في بلاد المغرب العربي.

هذا عمل اساسي بدأناه كما ترى من الاساس لكن انا شخصيا احبذ ان تقوم المجامع اللغوية بدورها بمثل هذا العمل لا في حدود القطر الواحد كما هو الحال الآن بل في مستوى عربي وربما يؤدي بنا هذا الى الحديث عن مجمع لغوي عربي يكون ممثلا لكل الكفاءات العربية في كل الاقطار وذلك الى جانب ما تقوم به المجامع الموجودة اليوم او المجامع التي قد تبعث الى الوحدة في بلدان عربية اخرى.



الثقافة والعالم الثالث

وعرّج حوارنا مع الاستاذ المزالي الى الثقافة فسألناه عن خصائص الثقافة الانسانية القادرة على صنع متغيرات نهضوية .. وتقنوية داخل ما اصطلح عليه بالعالم الثالث .. او النامي .. وعن هذا السؤال اجاب:

«طبعا أهم خصائص هذه الثقافة الانسانية الضامنة للنهضة والتنمية هي التكوين العلمي والتقني الصحيح والقدرة على هضم الثقافة المعاصرة وخاصة الخلق والابداع دون الاقتصار على استيراد ثمرة الحضارة الغربية.

ذلك ان مجرد التهافت على ما يخترعه الغير لا يخلو من مخاطر أهمها انه يجعل منا نحن ابناء العالم الثالث مجرد زبائن ويجعل من بلداننا سوقا رابحة يستغلها اقوياء اليوم.

ولهذا يجب ان تكون لنا سياسة قومية في البحث العلمي تعتمد فيما تعتمد على المبادئ التالية:

١- تكوين اكبر عدد ممكن من الاخصائيين في كل انواع العلوم الصحيحة والتقنيات.

٢- تشجيع البحث العلمي وترغيب الأدمغة العربية خاصة والعالم الثالث عامة على الاستقرار والعمل في اوطانها وذلك لن يكون فقط بالترغيب المادي بل لابد من ايجاد مناخ نفساني واجتماعي وعلمي مناسب ومن نكد الدهر ان نلاحظ ان بلدان العالم الثالث تتقاوى على نفسها لتكوين الادمغة وتبذل من اجل ذلك اموالا سخية ولكن نسبة كبيرة من هؤلاء يفضلون الاستقرار في البلدان الغنية عندما ينهون تكوينهم ويصبحون من المبرزين. فهل تعلم مثلا انه يوجد اليوم ١٤٠ الف طبيب كونتهم بعد سنوات طويلة وبتضحيات جسيمة بلدان العالم الثالث وهم يعملون اليوم في البلاد الغنية ومنهم سبعون الف طبيب في الولايات المتحدة وحدها وهي ارقام تجدونها في تقارير المنظمة الدولية للصحة.

٣- ان التكوين العلمي والتشجيع المادي والمعنوي ضروريان ولكنهما غير كافيين لانه لابد الى جانب ذلك من غرس عقيدة قومية في نفوس هؤلاء الاساتذة والخبراء والاخصائيين العرب، وهي عقيدة تعتمد على الوطنية والثقة بالنفس، وتغرس فيهم العزة والكرامة وارادة فرض الذات والطموح الى المجد العلمي وهذا ايضا ترجع مسؤوليته الى الانظمة التربوية في المقام الاول.

ملامح الأدب التونسي المعاصر

بتعدد اهتمامات الاستاذ المزالي تعددت الاسئلة وكان لابد ان يكون للأدب التونسي نصيب من الحوار .. خاصة فيما يتعلق بالادب التونسي المعاصر من خلال مواكبته له كأديب من جانب .. وكصاحب مجلة «الفكر» المعروفة من جانب آخر .. سألناه عن سمات وملامح الأدب المعاصر في تونس من خلال المؤثرات والظواهر الأدبية العالمية .. والعلاقة القائمة بين الأديب التونسي المعاصر .. وتراث أمته .. بحماس أجاب:

«ان الادب التونسي متأثر بخصائص الثقافة التونسية .. هذه الثقافة التي لا تزال تعاني من مخلفات الاستعمار الفرنسي الذي فرض نفسه على هذه البلاد طيلة ثلاثة ارباع قرن بالحديد والنار وسعى الى مسخ هذه الامة والقضاء على مقوماتها العربية الاسلامية وحرص على ابقاء الشعب في الأمية وشجع على تكوين انماط بشرية مختلفة بعضها عن بعض. ولا تزال الثقافة التونسية تجاهد لتثبت ذاتها على اساس الوحدة والاصالة والمعاصرة والأدب التونسي الى جانب ما يزال يعانيه من بصمات هذا الواقع الموروث فانه غني بشتى الاتجاهات وأذكر منها بالخصوص:

– الاتجاه النضالي الملتزم الذي برز بالخصوص في ايام الكفاح وتمثل في المقام الاول في الشعر الذي استظهر الهمم وذكر الشعب بامجاده وحرك سواكنه والهب حماسه، وحبب اليه النضال والتضحية والاستشهاد، ولعل أبرز ممثل لهذا الاتجاه الوطني الشاعر ابو القاسم الشابي الذي تعرفه الجماهير العربية وغيره كثيرون.

لقاء مع
محمد المزالي

ماهي إمكانات العقل العربي وقدراته على العطاء في العصر الحديث ؟

الأدب التونسي .. وأين يقع على خريطة الأدب المعاصر ؟



وهذا الاتجاه الملتزم تطور واصبح يناضل من اجل مقومات الاستقلال والازدهار والكرامة وذلك بربح معركة القضاء على التخلف واثبات الكيان القومي .. الخ.

وهناك اتجاه واقعي تمثل بالخصوص في القصة والمسرحية وفي الشعر كذلك وبرز في وصف الواقع التونسي والكشف عن سلبياته ومظاهر التخلف فيه ونقد بعض نماذج بشرية سعيا الى تغييره ودفعه الى مركبة التاريخ.

وهناك اتجاهات اخرى ربما بالغت اذا قلت انها مستوردة

وهي على كل حال متأثرة ببعض المدارس الغربية مثل السريالية والهيكلية او البنيوية او الوجودية.

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى هناك اجيال من الادباء في تونس اليوم ويوجد بالخصوص تيار تجديدي كبير تتزعمه نخبة من الشبان الطموحة الذين يذهبون احيانا في التجديد مذاهب بعيدة ولكنها موفقة وطريفة احيانا واعتبرها شخصيا ذات وظيفة حيوية في المجتمع لانها تحفز، وتخز، وتقاوم الرقابة والنوم - وربما افتقد الادب التونسي اليوم الى حركة نقدية قوية تقيمه وتقومه وتوجه الادباء حتى يتجاوزوا انفسهم، ويبلغوا درجة الابداع.

ومهما يكن من الامر فان الحركة الادبية عرفت في السنوات الاخيرة نهضة كبيرة تمثلت في تنشيط حركة النشر والتوزيع وان كان مستوى هذه الحركة لا يرضينا كل الرضا وخاصة فيما يتعلق بتعريف انتاجنا في مختلف بلاد المشرق العربي، وهو امر حيوي عندنا لان الوحدة الثقافية المنشودة لن تتحقق الا اذا وجد الكتاب العربي في كل الاقطار العربية لا فقط في المدارس والمكتبات المختصة بل كذلك وبالخصوص



في كل نقط البيع العمومية والا اذا كتبت عنه وعرفت به كل الجرائد والمجلات في كافة انحاء الوطن العربي.

أما علاقة الاديب التونسي المعاصر بالتراث فهي علاقة ايجابية في اكثر الاحيان بمعنى ان الاديب التونسي يستوحي هذا التراث ولا يكتفي بتنفيذه. انه يقتبس منه القيم الخالدة ويستمد منه العبر، لينطلق الى عقل عصره ومواجهة تحدياته.

ولا أعرف اديبا تونسيا تنكر لتراثة او ازور عنه .. وانما التجاوز الحق وفاء للتراث بحيث نحقق الاستمرارية والتطور في آن واحد.

امكانات العقل العربي

الحديث عن العقل العربي .. وامكاناته .. وقدراته بشكل عام على العطاء في هذا العصر الحديث طويل .. لكننا حاولنا ان نحصره في جانب واحد هو قدرته على ايجاد اشكال ادبية جديدة مؤثرة في الأدب العالمي المعاصر.

وتناول الاستاذ المزالي هذا الجانب بالحديث قائلاً:

«يمكن للعقل العربي المعاصر ايجاد اشكال ادبية جديدة مؤثرة اذا ما آمن بنفسه واقلع عن التقليد والاستهلاك.

كما سبق ان اشرت الى ذلك. وهذا معناه مرة أخرى ان الادب .. الثقافة .. التربية .. العلم .. تحتاج كلها الى عقيدة، الى موقف في الحياة .. الى ايمان بالذات الفردية والجماعية .. الى ثقة في النفس .. الى صدق في البحث والتجربة والممارسة.

والعقل العربي اذ يوفق اليوم الى التجديد والابداع فانما يحيي بذلك ماضيا بعيدا وعصورا ذهبية وهاجة اذ سبق ان تألق نجم العقل او الفكر العربي تألقا كبيرا.

ومن حقنا ان نتفاءل وان نعمل بالخصوص حتى نكون في مستوى الاجداد، ونحلق كما حلقوا، ونبدع كما ابدعوا وليس ذلك على همة شبابنا الطالع بعزيز.

أدب الطفل

ومع ان الطفولة ومشاكلها هي بداية الاشياء عادة الا انها جاءت في الاخير ونحن نودع الاستاذ المزالي بعد هذا الحوار الطويل فسألناه عن اسباب ظاهرة افتقار المكتبة العربية الى ادب الاطفال .. وخاصة في هذه المرحلة الحساسة بالنسبة للامة العربية والاسلامية وهي تواجه كثيرا من التحديات العالمية .. كما سألناه عن كيفية ايجاد حركة تأليفية للطفل العربي تتبنى قيم .. وطموحات .. وتطلعات حضارة الأمة العربية والاسلامية؟

وبأختصار اجاب:

● «نعم يلاحظ بكل اسف افتقار المكتبة العربية لأدب الطفل رغم كتب كامل كيلاني وعطية الابراشي وبعض الادباء الآخرين مثل محمد العروسي المطوى واحمد مختار الوزير والطيب التريكي واحمد القديدي وغيرهم في تونس.

ومن اسباب هذا القحط الذي يلاحظ في ادب الاطفال ما يأتي:

١- ان عددا كبيرا من الادباء العرب لا يولون هذا الادب قيمة كبيرة لاننا ورثنا جميعا اعجابا بالشعر طغى على غيره من فنون الادب ونشأت اجيال كثيرة من الادباء وهي تطمح الى ان يسطع نجمها في عالم الشعر دون سواه.

٢- ربما لم نعن بالطفل في حد ذاته اعتناءا كافيا لان مجتمعنا مجتمع رجال يتركون الاطفال تحت رعاية الامهات، معنى هذا ان العناية بامور الطفل تقتضي تطورا في هياكلنا الاجتماعية ذاتها.

ولا اخال المسؤولين في العالم العربي اليوم الا مدركين لأهمية تربية الطفل وتكوين ذوقه وصقل مواهبه .. وتنمية خياله لان تقدم العالم العربي رهين مستوى شبابه والطفولة هي اخطر مرحلة في تكوين الشباب وابعدها أثرا».



لغتنا الجميلة

هل هي لغة عصرية

بقلم: فاروق شوشة

واقع ومشكلات مطروحة

مع انفتاح مجتمعاتنا العربية الحديثة على حضارة العصر الوافدة، بدأ تساؤل يطرح نفسه على ألسنة الكثيرين: هل لغتنا العربية لغة عصرية تتسع لمستحدثات الحضارة الحديثة، وتستجيب لها، وتعبر عنها، وهل هي – بصفة خاصة – لغة للعلم الحديث، وتطبيقاته المختلفة في شتى المجالات؟

والذين يطرحون هذا التساؤل، يثيرون الاهتمام بأنماط مختلفة من المواجهة العصرية مع اللغة، بحثا عن اجابة شافية، ووصولا الى حل مأمول.

وفي رأيهم ان هناك **أولا** مشكلة الاديب العربي المعاصر مع اللغة، وهي مشكلة تتمثل في ضرورة استيعاب التراث، وهو تراث واسع وعميق وزاخر، ولكن وعاءه هو اللغة، ثم في ضرورة تجاوز هذا التراث، ليتحقق لهذا الأديب العربي المعاصر شاعرا كان أو قصاصا أو مسرحيا صفة المعاصرة، وأمام هذه المعادلة الصعبة التي يتمثل شقاها في ضرورة استيعاب التراث وفي ضرورة تجاوزه، تتجسد لنا طبيعة هذه المغامرة الفريدة التي يقوم بها الأديب العربي المعاصر مع ذاته وتراثه ولغته، وهي مغامرة قد تكون غير مأمونة العواقب في بعض الأحيان، فقد يكون من نتائجها الجنوح الى الاغراب والالغاز أو الوقوع في أسر الولع بالخروج على المألوف في الفكر واللغة، أو التعبير الأدبي بلغة توشك ان تكون لغة ترجمة أكثر منها لغة خلق وابداع، ترتبط ارتباطا عضويا باللغة الأم، .. استمرارا وامتدادا للمصطلح، وتنمية واثراء له، ولعل هذه المشكلة – في رأيهم ان تكون هي الآن مأساة التعبير الشعري الجديد على يدي بعض الشعراء الحريصين على الحداثة والمعاصرة، وهم يتخذون موقفا بالغ التشدد من التراث ولغته ومواضعاته، فيقعون في أسر الالغاز والاغراب من ناحية، والتعبير شبه المترجم من ناحية اخرى.

وهناك في رأيهم **ثانيا** مشكلة العاملين في اجهزة الاتصال بالجماهير في بحثهم المستمر عن لغة تحقق لهم عناصر هذا الاتصال في دائرة أوسع وبفاعلية اكثر، ومن غير ان يكسروا رقبة الفصحى – جنوحا الى اللهجات المحلية او العاميات – وهي ايضا ليست لهجة او عامية واحدة – ومن غير ان يقعوا في قيود الحذلقة والتقعر والمعاظلة حرصا على المتوارث وارتفاعا بمستوى المخاطبين.

«فأدبنا العربي لا يهمل الإسماع إهمالاً قليلاً أو كثيراً، وإنما يعنى بها أشد العناية، فهو أدب منطوق مسموع، قبل أن يكون أدباً مكتوباً مقروءاً، وهو من أجل هذا حريص على أن يلذ اللسان حين ينطق به ويلذ الأذن حين تسمع له، ثم يلذ بعد ذلك النفوس والأفئدة حين تصغى إليه»

طه حسين

وهناك **ثالثا** مشكلتنا جميعا، مشكلة الأديب والصحفي والاذاعي والباحث والعالم ونحن نواجه – كل في منطقة اهتمامه – اخطر الظواهر اللغوية في حياتنا المعاصرة وهي ظاهرتا الفاظ الحياة العامة اي الفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات العلوم.

وليس هناك اطرف في هذا المقام – والحديث عن الفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم الحديثة – من الرسالة التي بعث بها الأديب الراحل احمد حسن الزيات وهو عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة – الى رئيس المجمع في ذلك الحين – توفيق رفعت – على صورة كتاب دعابة يقول فيه:

«حضر الاصمعي يوما مجلس الفضل بن الربيع وقبالته فرس مطهم، فتذاكر الجلوس كتاب ابي عبيدة في الخيل، فأراد الوزير الفضل بن الربيع ان يعلم ما عند الاصمعي من ذلك، فقال له قم يا أصمعي، وامسك كل عضو من اعضاء هذا الفرس وسمّه، فاذا سميتها فخذه.

فقام الاصمعي وأمسك بناصية

الفرس، وجعل يمسيه عضوا عضوا، وينشد ما قالت العرب فيه، الى ان فرغ منه فأعطاه اياه ..

ثم يقول الزيات: فهب ياسيدي ان الجود والرق لم يرفعا من الارض، واني دخلت يوما على امير من الامراء البهاليل وبين يديه جارية من الغيد الحسان ترفل في حرير شيكوريل وسمعان (وهما محلان شهيران في ذلك الوقت لبيع الاثاث والملبوسات) وقال لي هذا الامير الأديب: اذا سميت ما على هذه الجارية من اللباس ووصفت لي ما في هذه الدار من الرياش، فهما لك، وازيدك عليها الف دينار.

فماذا تراني يارئيس المجمع اللغوي قائلا وانا من الذين أفنوا اعمارهم في تحصيل مادة اللغة واكتساب مملكة الكتابة؟ ماذا اسمي هذا المائل على الفود الأيمن، او هذا المائل على الجبين الزاهر، وماذا اقول في هذا المزرّر على الصدر المشرق، وهذا المدار فوق الخصر الأهيف وهذا المرسل على الكشح الهضيم وهذا المفصّل على القدم اللطيفة؟

انا لا اعرف من غطاء الرأس الا القناع والخمار، ولا من كساء الجسم الا الملاءة والازار، ولا من وقاء الرِّجل غير الحذاء والنعل، فهل تنطبق هذه الاسماء على هذه الاشياء، ام هل تكون دلالتها عليها كدلالة الرياش والأثاث على كل موبيليات البيت والورد والريحان على جميع ازهار الحديقة، والجهل والعجمة على كل ادوات السيارة؟ لا جرم اني سأعجز على كل حال، وسأطالبكم ياسيدي بالجارية والدار والمال.

ثم يقول الزيات: كان ذلك منذ اربعة عشر عاما ولا تزال المشكلة هي المشكلة، والحال هي الحال، فلو انني حضرت اليوم معرضا من معارض التجارة او الصناعة او الزراعة فيه ما أبدعت العلوم ونوعت الحضارة من مختلف الآلات والادوات والسلع والزهور ثم طلب اليّ ان اسمي كل معروض فيه، لما صنعت اكثر مما صنع ذلك البدوي الذي حضر وليمة عرس في بغداد فوصف لقومه الوانها وصحافها بصفاتها لا باسمائها، وبأثرها في حلقه لا بعينها في يده!»[1]

والذين يثيرون هذه الدعوى – دعوى صلاحية اللغة العربية لمواجهة متطلبات العصر – في مجال ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم – يرون في هذه الرسالة الطريفة حجة لهم، فاذا كان اديب كبير كالزيات أفنى عمره في تحصيل اللغة واستيعاب التراث يعجز عن التعبير أمام موقف عصري او موضوع حضاري جديد – بأعترافه هو – فماذا يفعل المثقفون وانصاف المثقفين ممن لم يتح لهم حظ الزيات من الالمام باللغة وتحصيلها واكتسابها؟ ولو انهم حاولوا ان يستنجدوا بمجمع اللغة العربية لوضع بين ايديهم جذاذاته التي ما تزال بعيدة عن الذيوع والشيوع والدوران بل وما يزال بعضها مجال سخرية وتهكم واستهجان.



[1] أنظر المجمع واللغة العامة (مجلة المجمع: الجزء التاسع).

لغة اذن وليست لغة عين

ولقد ظلت لغتنا الجميلة على مدار العصور السابقة، وفي رأي علماء البلاغة والبيان لغة أناقة وزخرف ومبالغة وتهويل. ومن هنا كان النغم والوزن والموسيقية والرنين من عناصرها الرئيسية وصفاتها الواشجة بها ..

وقد قادت هذه النظرة الى فكرة ثابتة هي عناية اللغة العربية باللفظ اكثر من المعنى وبموسيقى الكلام لا بمضمونه .. وكان من نتائج الاهتمام الشديد بالموسيقى والاوزان – لدى شعرائنا القدماء ان انعدم رباط القصيد، واصبحت الوحدة العضوية شيئا مفتقدا داخل القصيدة العربية القديمة .. بل ان هذا الاهتمام الشديد بالموسيقى ادى الى التضحية بالفروق بين الدلالات في الالفاظ، ومن هنا فقد كثرت المترادفات في العربية، واصبحت هذه المترادفات البعيدة عن التحديد – احدى المشاكل التي يواجهها المترجمون حين ينقلون من العربية الى لغة اجنبية، ويصدمهم ما في الكلمات والتعابير من عمومية وزخرف وبريق.

ولكن ما قصة هذه الموسيقى في لغتنا الجميلة؟ تلك التي تمثلت بوضوح فيما كان يسميه القدماء بالجرس؟

يقدم العالم اللغوي الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه دلالة الالفاظ تفسيرا لذلك، لقد عني العرب القدماء بموسيقية الكلام لانهم لم يكونوا اهل كتابة وقراءة بل اهل سماع وانشاد. والموسيقى لازمة لمن يصغي فيحسن الاصغاء او ينشد فيحسن الانشاد ويستحوذ على الاسماع. فهي اذن لغة اذن وليست لغة عين. ولغة الاذن تخاطب دائما الجوانب الموسيقية في النفس وتعتمد على الجرس – جرس

الكلمة واللفظة وجرس الجملة او العبارة – ومن هنا كانت المحسنات اللفظية والبديعية، وكان السجع، السجع اللفظي والسجع الذهني.

والدكتور ابراهيم أنيس يسوق امثلة من بين شعراء تراثنا العربي لمن تجسدت في اتجاههم هذه الخاصية الموسيقية فيقدم تحليلاً لشعر الأعشى «صناجة العرب» وابي العلاء المعري (صاحب اللزوميات) ثم يؤكد ان الذين حرموا نعمة الابصار من الادباء والشعراء يكونون عادة اكثر اهتماما بابراز الجوانب الموسيقية، فهم يعنون بجرس الألفاظ ووقعها الموسيقي وكثيرا ما تشغلهم موسيقى الكلام عن مراميه واهدافه، فيغمرون المعنى القليل بفيض من الالفاظ والعبارات المتكررة ذات المعنى الواحد او المتشابه في الدلالة.

ولم يكن عميد الأدب العربي الراحل الدكتور طه حسين – وهو احد هؤلاء الذين عناهم الدكتور ابراهيم أنيس كواحد ممن حرموا نعمة الابصار فاهتموا بالجوانب الموسيقية – لم يكن بعيدا عن ادراك هذه الخاصية المميزة للغتنا العربية وادبنا العربي عندما قال:[1]

«فأدبنا العربي لا يهمل الاسماع اهمالا قليلا اوكثيرا، وانما يعنى بها اشد العناية فهو ادب منطوق مسموع قبل ان يكون ادبا مكتوبا مقرؤا، وهو من اجل هذا حريص على ان يلذ اللسان حين ينطق به، ويلذ الاذن حين تسمع له، ثم يلذ بعد ذلك النفوس والافئدة حين تصغي اليه».

ثم يضيف الدكتور طه حسين:

«وليس ادل على ذلك من ان العرب في جميع عصورهم لم يعنوا بشيء قط عنايتهم بفصاحة اللفظ وجزالته، ورقة الاسلوب ورصانته، وقد جعلوا الاعراب واصطفاء اللفظ والملاءمة بين الكلمة والكلمة في الجرس الذي ييسر على اللسان نطقه، ويزين في الاذن وقعه اساسا لكل هذه الخصال».

في مقابل هذا نجد دعوة حارة اثارها الاديب الكبير يحي حقي في بحثه القيم «حاجتنا الى اسلوب جديد»[1] مناديا بما اسماه الاسلوب العلمي الذي يعتمد على تحديد المعاني وبالتالي اختيار الفاظ محددة لها، الفاظ حتمية، بحيث لا يكون المكان صالحا الا للفظ واحد، ويتعذر ان يستبدل به لفظ آخر. فاذا فعلنا ذلك ازلنا دفعة واحدة عن اسلوبنا كل علل التزيف والتبرج الفارغ والتزويق الذي لا طائل تحته.

وفي رأي يحي حقي، انه متى تحددت الالفاظ واصبحت حتمية، زال الاستطراد، وعيب الاضافة، ومال الاسلوب الى الجمل القصيرة التي ترتبط برباط ذهني لا لفظي، فتقل بذلك الزيادات – وهي عوائق لا داعي لها – من كثرة حروف العطف، فان سير الذهن في الادب ليس خطوا متتابعا رتيبا، بل هو توثب يفرض على ذهن القارئ توثبا مثله، يخرجه من سكون الى حركة. وسنخرج ايضا من الاطالة والافاضة الى الايجاز النبيل الكريم، وهو سر البلاغة في العربية.

ويحي حقي في دعوته هذه، يؤكد انه لا يقصد بهذا الكلام الاسلوب التلغرافي الذي نادى به آخرون منهم سلامة موسى. انه يتكلم عن الاسلوب الادبي، الجمال من شروطه الاساسية التي لا غنى عنها، ولا يوجد فن بلا صنعة.

ثم هو لا ينكر موسيقية الاسلوب، انه على العكس يتمسك بها ويحرص عليها حرصا شديدا، لكنه يقصد بها الموسيقى الهارمونية لا موسيقى الدفوف التي تعزف لحنا واحدا، هذه الموسيقى الهارمونية لها ايقاعات مختلفة لكل مجال في النص الواحد، متشابكة، ولكن يتمشى فيها من اولها لآخرها لحنها الاساسي الاوحد المتعدد الالوان، بحيث تستمد موسيقى الاسلوب لا من الاثر البدائي الآلي الذي يولد ويموت عند التلفظ بالكلمات والانبهار باول رنينها بل تستمد من روح الكاتب او الشاعر، من نفسه، مزاجه، شعوره، فيضه، انطلاقه، موسيقى تسمو عن الاثر الساذج الفقير البسيط الى لحن غني اعمق متشابك، ينشأ بالتأمل الصابر والصبر. ستكون هذه الموسيقى في حقيقة الامر – لا الالفاظ – هي المعبرة عن المعاني!

لقد جاءت دعوة يحي حقي الى اسلوب جديدا، مستندة الى ركائز اساسية في رأيه هي التحديد والحتمية والعمق في مواجهة ظواهر مرضية شائعة هي الميوعة والسطحية والسذاجة!

اخطر هجوم على لغتنا الجميلة

وهو هجوم نشرته مجلة ديوجين مصباح الفكر التي تصدرها مجلة رسالة اليونسكو ومركز مطبوعاته[1] في صورة بحث للاستاذ انطوان مطر عنوانه: اللغة العربية والظروف الحاضرة وما ينتظر تحقيقه من آمال في مستقبل عالم المتكلمين بها. وقد ترجم هذا البحث الى العربية الاستاذ علي أدهم.

والفكرة الرئيسية في هذا البحث ان اللغة العربية ليست لغة حديثة، وهي لا

---

[1] انظر «مع طه حسين» لسامي الكيالي

[1] انظر كتاب «خطوات في النقد» يحي حقي.

[1] مجلة ديوجين مصباح الفكر عدد ٥ مايو سنة ١٩٧٤.

تستطيع بحالتها الراهنة ان تستخدم باعتبارها وسيلة صالحة لثقافة تقدمية، انسانية او تعسفية، وان الاعلام الجماهيري – مثل الاذاعة والصحافة – قد انقذها في تردد وجزئيا من جمودها وذلك بان ارغمها على قبول تطور ايجابي، ولكنه ليس كافيا، لانه لا يؤثر الا في القليل في بعض الوان الانتاج الأدبي، مع استبعاد المجالات العلمية والتقنية.

ويقدم البحث اسبابا لعدم امكان استعمال العربية، وهي ان لها طابعا دينيا، وان ليس للعرب لغة قومية علمانية، وان العربية مرتبطة بالقديم فكأنها للتعبير عن التاريخ وان التطور الاجتماعي تجاوز العالم العربي، وهو يبني على هذا ان العربية قد حرمت المصطلحات الفنية اللازمة لتقدمها، وان وسائل الاتصال بالتقدمية الحديثة لا تتأتى في مجتمع يكتب لغة لا يتحدث بها، او يتكلم بعدة لهجات تنشأ عنها لغات قومية لا تكتب.

ومن اخطر ما يقدمه هذا البحث الهجومي احصائية لليونسكو تبين جدولها ان نسبة الانتاج العلمي في انجلترا ٢٢٪ وهي اعلى نسبة، وفي فرنسا ٩٪ وما انخفض عنها موزع في الايطالية والاسبانية والصينية والاسكندنافية. فاما الانتاج العربي فليس بشئ تقريبا، والعربية ليست ذات انتاج علمي له قيمة في كل علم نظري وتطبيقي، وعلم اجتماعي، بسبب بطء تقدمها.

والرد على الدعاوي التي يثيرها هذا البحث – خاصة لدى المدافعين عن لغتنا الجميلة والذائدين عن حياضها – سهل ميسور وهم يلتمسون له الادلة والبراهين من واقع تاريخ الامة العربية، ثم من واقع حاضرها الراهن.

فاللغة العربية – كانت خلال اربعة عشر قرنا – موصولة بالدين كصلتها اليوم او اقوى وبخاصة في عصور الازدهار الاولى، ولم تكن مع ذلك الا لغة تقدمية عصرية علمانية حيّة، بالنسبة لتلك العصور الخوالي وبالنسبة لعصرنا الراهن.

والناطقون بالعربية يأبون هذه الاوصاف التي يراد بها الفصل بين لغة ولغة، او التمييز بين واحدة واخرى، فهم لا يتقبلون القول بان هناك لغة كلاسيكية ولغة عصرية او ان هناك لغة يفهم بها التراث الثقافي ولغة يفهم بها العلم الحديث. او ان هناك لغة ذات طابع ديني ولغة بعيدة عن المجال الروحي.

وهؤلاء المتحمسون للدفاع عن العربية يرون ان هناك لغة عربية واحدة، يرجع كيانها لفظا وتركيبا واسلوبا الى معجم واحد، ويؤمنون بان هناك اساليب تتنوع بين علمية وادبية وصحفية واذاعية، وان بينها درجات من يسر التعبير وسهولته او جودته والتأنق فيه، طوعا لبلاغة الاراء، وما يحتويه من عناصر الدقة المنطقية، او الوضوح العلمي او سعة الخيال وما يستتبعه من صور بيانية موحية، بيد ان تنوع الاساليب وتفاوت التراكيب هو عندهم لغة عربية واحدة، لغة للدين وللحياة لغة لمطالب العقل والجسد والروح، لغة للعلم والفن والادب والحضارة على السواء.





والمتحمسون للدفاع عن العربية يجدون في ماضي هذه اللغة حجة لا تدفع. ففي رأي الدكتور ابراهيم بيومي مدكور – رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة[1] ان العربية كانت محصورة في الجزيرة قبل الاسلام، ثم اخذت تنتشر معه شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، من اواسط جبال الهند الى جبل طارق، ومن البحر الاسود الى بحر العرب ودخلت في صراع مع ثقافات ولغات اخرى كالفارسية والهندية والقبطية والبربرية، وخرجت من هذا الصراع ظاهرة، اخذت من هذه الثقافات واللغات ما اخذت، وتأثرت بها دون نزاع، ولكنها سادت عليها، وحلت محل بعضها بصفة نهائية او لمدة غير قصيرة.

وها هي ذي اليوم تواجه صراعا ربما كان اشد واعنف، فهناك مستحدثات حضارية علمية وفنية، لابد ان تؤديها وان تحسن اداءها، وهناك لغات تنازعها البقاء، بين وطنية واجنبية ولابد لها ان تقاومها وتظهر عليها، ويرى الدكتور مدكور انها ستحظى بنصر لا يقل عن نصر الأمس، فهي تطرد اللغات واللهجات المزاحمة، وتحرص على ان تعبر عن العلم والحضارة المعاصرة في دقة ووضوح ولا تقنع بان تكون مجرد لغة وطنية او قومية، بل تأبى الا ان تكون لغة عالمية، لها علمها وأدبها، يؤخذ عنها كما تأخذ عن غيرها.

ولا يفوت الدكتور مدكور ان يؤكد ان هذا يلقي على العلماء والادباء واللغويين العرب اعباء ثقالا مستمرة، فهم مطالبون دائما بان ينتجوا، ان يعدلوا وينقحوا، ان

---

[1] انظر «في اللغة والأدب» الدكتور ابراهيم بيومي مدكور.

يهذبوا وييسروا، ان يبتكروا ويجددوا، ان يملأوا اللغة حياة وقوة وحركة.

وهي الفكرة نفسها التي اشار اليها الدكتور طه حسين عندما اعلن ذات مرة ان العربية لن تتطور ما لم يتطور اصحابها انفسهم، ولن تكون لغة حية الا اذا حرص اصحابها على الحياة ولن تكون لغة قادرة على الوفاء باحتياجات العصر الا اذا ارتفع اصحابها الى مستوى العصر

الاجنبي والفاظ الحضارة الوافدة من الروم وفارس والهند ومصر وسائر بلاد العالم القديم، ثم يجيئ اخيرا الغزو الحضاري الاوربي للبلاد العربية في مطالع العصر الحديث وما صحبه من مواجهة جديدة، وصراع فكري ولغوي وادبي، ما زلنا نعيش موجاته المتلاحقة والمتتابعة حتى اليوم.

والذين يتأملون هذه المسيرة الحافلة

واجناس واجتماع ولغات واقتصاد وسياسة .. الخ، وهناك الأدب من شعر وقصص وروايات ومسرحيات ورحلات .. الخ، وهناك الصحافة بموضوعاتها المختلفة من اخبار داخلية وخارجية وسياسية ووفيات واعلانات .. الخ، وهناك الاذاعة ببرامجها المتنوعة تنوع المجتمع نفسه.[1]

بعض مظاهر التطور

الدبلوماسية.

الى آخر هذه التراكيب الشائعة الآن، والتي لم يحل دون ذيوعها وانتشارها استهجان بعض أعضاء المجمع لها عام ١٩٤٦، لكنها بعد ثلاثين عاما تصبح جزءا حيا من صميم التعبير العربي المعاصر، وهي انما دخلت دائرة فصحى العصر نتيجة لحركة الترجمة والتفاعل بين اللغات واحتياج اللغة العربية الى ما يملأ بعض متطلبات الحياة الحديثة في المجتمع والسلوك والمسميات والمعرفة.

ومن قبل هذا، كان هناك من علماء لغتنا الجميلة من لاحظ ان نظام الجملة العربية في العصر الحديث قد تأثر الى حد ما ببعض الاساليب الاجنبية، وهو لون من اقتراض نظام الجملة بين اللغات، وهكذا فقد جاءتنا بعض الاستعمالات التي لم تعرفها العربية (أي فصحى التراث) من قبل، مثل:

كم هو جميل ان نرى – كثير جدا وجدا كثير – وهو بلاشك ضروري – سافرت برغم كذا وكذا – ان أحداً لا يستطيع.

وهو يرى ان هذا التأثر لنظام الجملة العربية ببعض الاساليب الاجنبية مواكب لشيوع كثير من التعابير والاساليب. بفعل الترجمة، فهي وافدة الى لغتنا العربية من لغات وآداب اوربية مثل: يكسب خبزه بعرق جبينه – لا يري أبعد من أرنبة أنفه – هو يلعب بالنار – لا جديد تحت الشمس – طرح المسألة على بساط البحث:

ومن قبل هؤلاء جميعا، كان هناك ايضا من تنبه – وهو يتأمل علامات التطور وظواهره في لغتنا الجميلة – وان هناك طائفة من الالفاظ المسموعة في لغتنا الحديثة (أي فصحى العصر) هي على خلاف ما سمع عن العرب الأولين في الصيغة او في الدلالة، والطريف ان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد تعرض لهذه الظاهرة بعد ان عرضت عليه هذه الالفاظ فناقشها وأقرها – من بين هذه الالفاظ.

ساهم: يستعمل المحدثون «ساهم» بمعنى شارك وقاسم والعرب لم يستعملوها الا في المقارعة وهي الغلبة في القرعة والعرب قالوا – تساهموا الشيء: تقاسموه.

المظاهرة: يستعملها المحدثون بمعنى اعلان رأي او اظهار عاطفة في صورة جماعية. والعرب استعملوها بمعنى العون من الظهر، كالمساعدة من الساعد، والمعاضدة من العضد، والمكاتفة من الكتف.

القنبلة: استعملها العرب بمعنى الطائفة من الناس او من الخيل، او اسم مصيدة. وهي في استعمال المحدثين: القذيفة المتفجرة.





الشقي: الشقي اصلا ضد السعيد. والمحدثون يطلقونه ايضا على اللص وقاطع الطريق.

الاعدام: عند العرب أعدم الرجل: أفتقر، فهو معدم وأعدم فلانا: منعه عند المحدثين: أعدم الجلاد المجرم: شنقه فالاعدام هو الحكم بالموت شنقا او بالرصاص.

التأميم: عند العرب: أم الرجل المكان: قصده والمسموع اليوم من المحدثين انهم يقولون: أمم الشيء اي جعله ملكا للأمة.

القاع: هو في اللغة: الارض السهلة بين الجبال والآكام والمحدثون يستعملونه في أقصى الشيء وعمقه: فيقولون قاع البئر، قاع الوجدان، قاع المشكلة.

تجمهر: تقول العرب: تجمهر علينا اي تطاول وجمهر التراب: جمعه بعضه فوق البعض. ويقول المحدثون: تجمهر النـــــاس: اجتمعوا واحتشدوا.

القيم: المحدثون يقولون: كتاب قيم ومقالة قيمة اما العرب فكانوا يطلقون القيم على زوج المرأة وعلى متولي الأمر، ودين القيمة: الديانة المستقيمة.

والثقافة: مصدر: ثقف أي صار حاذقا.
والمحدثون: يستعملونها بمعنى التعليم والتهذيب.

المقاولة والمقاول: هي عند العرب القدماء.

قاوله بمعنى فاوضه وجادله. وهي عند المحدثين: عملية يتعهد فيها طرف بتنفيذ مشروع او شيء لقاء اجر معين.

التركيز: عند العرب: ركز الرمح: غرزه في الارض. التركيز يطلق الآن على التكثيف والتجميع والحصر. وهي جميعا نماذج لتوضيح ما يعرف الآن باسم تطور الدلالة والمعنى تطورا يبعد بالكلمة كثيرا عما كانت تستخدم فيه وله في القديم.

عوائق في وجه التطور:

اذا كانت هذه السطور السابقة بمثابة تشخيص لمشكلة نعيش ابعادها اليوم، بحثا عن منطلقات جديدة توصل الى حلول حاسمة، ومواكبة لروح العصر، ومتطلبات الحداثة فلابد اولا من تأمل بعض العوائق التي وقفت طويلا في وجه التطور المنشود.

اولى هذه العوائق يتمثل فيما سنه القدماء من حدود للاستشهاد وعدم الاستشهاد عندما توقفوا عند حقبة زمنية معينة وشعراء معينين باعتبارهم نماذج الفصاحة والبلاغة، وعدم الأعتداء بمن جاء بعدهم، مهما كانت قيمته الابداعية والبلاغية، وكان واقعهم الى هذا التحديد القاطع الحرص على الا تشيع الهجنة واللحن وفساد اللسان نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الاجناس، لكن هذا العازل الذي وضع على الفصاحة العربية، ومنع الاستشهاد والاحتجاج بشعر المتأخرين وأدبهم ولغتهم، كان بداية لقيود شديدة فرضته على تيار التجديد الأدبي واللغوي والبلاغي وامتدت آثارها حتى اليوم.

ونتيجة لهذا فقد حرص اصحاب المعاجم العربية وواضعوها على التقيد بالنظرة نفسها الى القدامى والمحدثين، الى العرب الخلص والمولدين، الى ما قبل الحاجز الزمني المحدد وما بعده، وخلت المعاجم من كثير مما كان يمكن ان يثري اللغة العربية واللسان العربي، تعبيرا عن حضارة متطورة، وعلوم مستحدثة، وحياة جديدة للانسان العربي في الامصار العربية المختلفة.

أما ثانية هذه العوائق: فتمثلت في نظرتنا الى الادب العربي باعتباره الوجه الوحيد للتراث اي اننا كنا ندخل دائما الى اللغة العربية من باب الأدب وحده، مما ادى الى قصور في تعبيرنا بهذه اللغة، والى قصور في حصيلة هذه اللغة من الفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم ان كتب التاريخ والجغرافيا والعلوم والرحلات والفلسفة وغيرها من جوانب التراث العربي جديرة بان تكون بدورها مصادر ومراجع للغة العربية، وعنها نأخذ الكثير من ثروة الفكر واللفظ والتعبير، وهو ما اغفلناه تماما، عندما وقفت نظرتنا الى التراث العربي عند حدود الشعر والنثر، وظل فهمنا الشائع للنثر على انه وصايا وحكم وخطابة وديوانيات واخوانيات ورسائل وسجع كهان: اما الدائرة الحقيقية للنثر العربي، والمتمثلة في كتب الرحلات العربية، ومصادر العلم العربي والفلسفة العربية، فليست - في مفهومنا ادبا - وبالتالي فليست من مصادر اللغة ولا من اصولها المعترف بها والمقررة.

ثم تأتي **ثالثة** هذه العوائق، في تخلف الحضارة العربية ذاتها، عندما وصلنا الى عصور الضعف والتفكك والانحطاط. ويوم ركد البحث العلمي عند العرب ركدت لغته معه فأهملت المراصد، وجمدت المصطلحات، فلا تجديد فيها ولا ابتكار، ولا حياة ولا قوة واصبح هم الخلف - كما يقول الدكتور ابراهيم بيومي مدكور - رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة - ان يردد الفاظا وصيغا قال بها السلف، واصبحت اللغة العلمية - كتابة معقدة، وعندما بدأت النهضة العلمية الحديثة لم يكن رجالها الأول على علم بماضيهم ولا على صلة عميقة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة، فلم يستفيدوا كثيرا من هذا التراث، واخذوا يؤدون الحقائق العلمية اداء لا يخلو من تعجل وخطأ، وكان على ابناء القرن العشرين ان يتداركوا هذا النقص ويصلحوا هذا الخطأ.

وبعـــد

فما اكثر المشكلات التي يثيرها هذا الموضوع، خاصة اذا تناولناه في جوانبه وزواياه المختلفة، والمتشابكة! وبقي بعد ذلك دورنا نحن، حملة اللغة العربية، والناطقين بها، والمارسين لها حديثا وكتابة وابداعا، وتعبيرا عن مختلف شئون حياتنا اليومية.

ودور الاجهزة المعنية بهذه اللغة: على مستوى وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي، والمجامع اللغوية المتخصصة والهيئات الثقافية المختلفة، واجهزة الاتصال بالجماهير، كالاذاعة والصحافة والتليفزيون.

فلتكن هذه السطور اذن اشارة لمشكلة، وتشجيعا لبعض جوانبها، اكثر من كونها حلولا ناجعة، فالسؤال الذي طرحناه - في البداية - ما يزال في حاجة الى اجابة اكثر شمولا، تواجه قضايا اللغة والانسان والعصر.

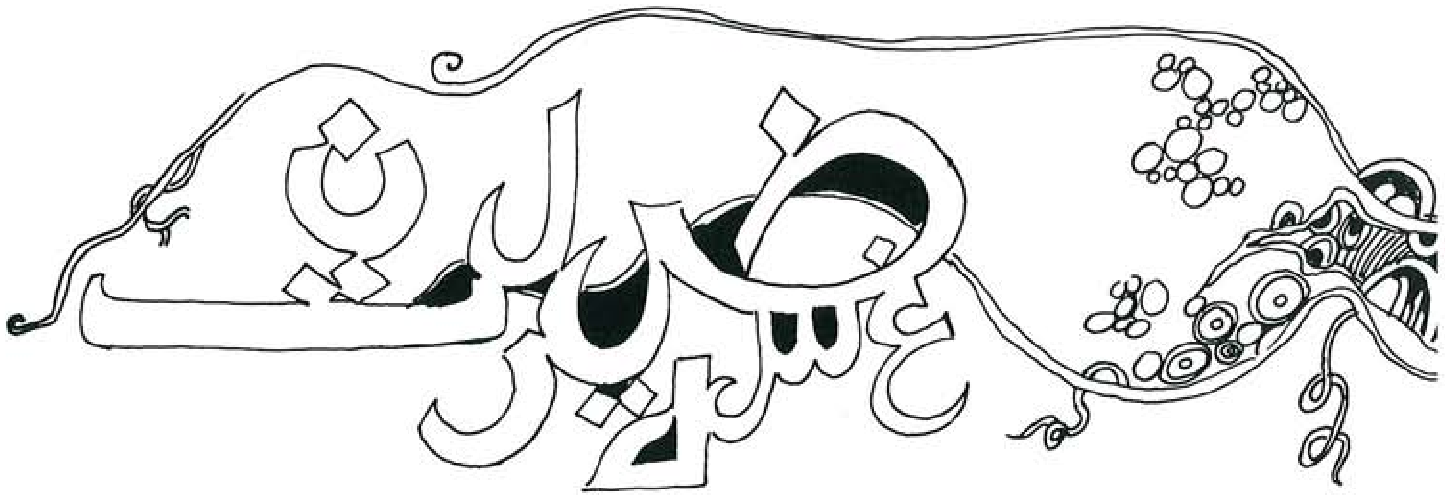


"رواد هذا العلم هم أولئك العلماء العرب الذين شافهوا فصحاء العرب، وأخذوا اللغة منهم بطرق علمية دقيقة."

العلوم اللسانية والصوتية: ما هي؟

نعني بالعلوم اللسانية او اللسانيات (أو **علم اللسان الحديث**) ما يسمى الآن في البلاد الغربية بـ LINGUISTICS والمقصود به هو الدراسة العلمية الموضوعية لجميع ظواهر اللسان البشري من خلال دراسة الألسنة الخاصة بكل قوم وبصفة خاصة القدر المشترك فيها من القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر (**اي اللسان كأداة للتبليغ وكظاهرة فيزيائية ونفسية واجتماعية عامة الوجود**).

فاللسانيات بهذا المعنى لا تعني الدراسة التي ترمي الى اكتساب لغة من اللغات، وتحصيل الملكة اللسانية (**القدرة على الفهم والافهام مشافهة وكتابة**) بل تعني الدراسة التجريبية والنظرية للظواهر المذكورة لاستنباط القوانين التي تنضبط بها وتفسيرها تفسيرا علميا محضا، على مثل تفسير الظواهر الطبيعية الاخرى، تماما، اي باجراء البحوث الميدانية والمشاهدة المباشرة لاحوال التخاطب وشيوع الكلمات في المجتمع وكيفية تقبل الناس لها او النفور منها، وكذلك التراكيب وكيفية الاداء لها وتداخل اللغات وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية اللغوية، ثم تحليل هذه المعطيات بوسائل علمية دقيقة كالاحصاء بالادمغة الالكترونية والتحليل الصوتي الفيزيولوجي والفيزيائي، وكذا النظر في نظام اللغة وما تختص به كل لغة من بنى، وتحليل هذه البنى تحليلا رياضيا (**بالرياضيات الحديثة**) والمقارنة المستفيضة بين هذه البنى وهذه الانظمة، والنظر في كيفية تفرع البنى بعضها من بعض في داخل اللغة الواحدة وكيفية استعمال المتكلم لهذا النظام التفريعي واكتساب الطفل والاجنبي هذه القدرة (**بالتعاون في هذه النقطة الاخيرة بعملاء النفس والاجتماع**) وغير ذلك.



ن الحديث

بقلم : عبد الرحمن الحاج صالح

فللعلوم اللسانية آفاق جد واسعة فهي تشمل ايضا النحو والصرف النظريين، وحتى البلاغة وصناعة المعاجم والصوتيات بمختلف اشكالها، **وروّاد هذا العلم هم بلا شك أولئك العلماء العرب الفطاحل الذين شافهوا فصحاء العرب، واخذوا اللغة منهم بطرق علمية دقيقة وحللوها وفسروا الكثير من ظواهرها الصوتية والبنوية وغير ذلك** (واجلهم قدرا **الخليل بن أحمد وسيبوية وابو علي الفارسي وابن جنّي**).

معهد البحوث اللسانية بجامعة الجزائر:

ان لهذا المعهد اهداف ثلاثة رئيسية:

* اعداد باحثين باللغة العربية وتدريبهم على البحث اللساني باسهامهم العملي في انجاز برنامج مدروس من البحوث، يرمي الى تحقيق غاية معينة، وذلك مثل مشروع انشاء القاموس الجامع للالفاظ العربية التي استعملت بالفعل في التراث العربي، بالدلالة على جميع سياقاتها، وبالتالي على معانيها المقصودة بالفعل في مختلف استعمالاتها، وتدخل في ذلك المصطلحات وكبرنامج احياء الاداء العفوي الفصيح انطلاقا مما تركه لنا علماؤنا من اوصاف دقيقة لمختلف الاداء الفصيح **العفوي**، وكالبحث عن اصلح الطرق التحليلية الرياضية النصوص العربية بالرتّابات (**نعني بذلك الادمغة او الحاسبات الالكترونية الكبيرة**) واهم اهدافه هو التوصل الى الترجمة الآلية (**لا الفورية بل الآلية**).

* * اجراء بحوث منتظمة مبرمجة كما سبق ان قلت، على يد جماعات او اسر من الباحثين، متخصصين في احد فروع اللسانيات بالاشتراك مع اختصاصيين آخرين في علم الاجتماع وعلم النفس والتربية واطباء متخصصين في علاج الكلام، وكذا مهندسين في علم الصوت والالكترونيك او في الاستعلام الآلي (IMFORMATICS) وكل هؤلاء يجب ان يكونوا قد ألموا بالكثير من المعلومات التي انبتتها اللسانيات الحديثة، لان موضوع بحثهم هو الظواهر اللسانية، فينظرون فيها من الزاوية التي تفهمهم (**البنية في ذاتها، الاصوات والمخارج، آفات الدماغ التي تنتج عنها عاهات مثل الحبسة والحصر، والهراء، تنوّع الاستعمال اللغوي في المجتمع – وخط الفصحى بصفة خاصة وغير ذلك**). والمبدأ الاساسي الذي عليه أنشئ معهدنا هو البحث الجماعي المشترك بين مختلف الاختصاصيين الذين يهتمون بظواهر اللسان مهما كان الجانب منها الذي يتعرضون له، وذلك ليفيد البحث من جميع الخبرات.

* * * المساهمة في حركة التعريب في الجزائر بصفة خاصة وفي الوطن العربي بصفة عامة.

البحوث اللسانية والثقافة العربية :

ان اللغة العربية والمشاكل المتعلقة بها حاليا، وبالتالي الثقافة العربية، هي اهم شيْ بالنسبة للبحوث الجارية في المعهد بل هي الآن الموضوع الوحيد الذي يشغل بال كل الباحثين في هذا المعهد، فالغاية من كل البحوث التي ذكرناها – **ولم نذكر الا جزءا منها** – هي ايجاد الحلول الموضوعية الناجحة لجميع المشاكل التي تتعرض لها لغتنا، وذلك على اساس علمي يساهم فيه لا اللغويون فقط، بل كل من يهتم بظواهر اللسان واسرارها وقوانينها، فالذي نريد ان نتوصل اليه هو الحصول على اكبر عدد ممكن من المعطيات العلمية الموضوعية بالنسبة للغة العربية وتراثها اللغوي، لكي يمكن ان تكون ارضية للدراسة التطبيقية تستوحي منها الحلول للمشاكل اللغوية الثقافية منها والتربوية، بكيفية لا تشوبها الذاتية والاعتباطية التي عانينا منها منذ امد بعيد. ولا نظن ان مثل هذه المشاكل يمكن ان تحل بطريقة غير هذه التي تعتمد على المشاهدة، والتصفح للواقع المحسوس، وتأخذ بعين الاعتبار كل النظريات العلمية الحديثة التي تعرضت لظواهر اللسان البشري.





اما بالنسبة للتراث العلمي العربي الذي يعالج هذه الظواهر من خلال ظواهر العربية فهو ايضا جانب هام من الدراسات التي تجري الآن عندنا وذلك لاعتقادنا، على اثر تصفحنا له، بأنه قيّم الى اقصى حد، الا اننا لا نقصد من ذلك التراث الا تلك الحصيلة الهائلة العجيبة من المعطيات العلمية الدقيقة التي اثبتها اللغويون والنحاة العرب الاولون، امثال **الخليل بن أحمد وسيبوية** ومن اتبع طريقتهما (لغاية القرن الرابع فقط باستثناء بعض النحاة الافذاذ الاصلاء الذين جاؤا بعدهم **كالرضي الاستراباوي**). وقد وجدنا عندهم من المفاهيم والنظريات ما لم نجده في اللسانيات الغربية، وهو من اعجب ما ابتدعه الفكر العربي. ومقصودنا بهذه الدراسات ليس هو احياء هذه الاشياء فحسب، بل ايضا الاستعانة بها في بحوثنا النظرية والتطبيقية.

علم اللغة العربية والعلوم اللسانية والصوتية :

ان علم العربية او علم اللسان العربي – **هكذا كان يسميه العلماء الاولون** – هو فرع من فروع علم اللسان البشري. فان هذا الاخير يعالج الظواهر اللسانية – **من جميع جوانبها كما رأينا** – العامة الوجود انطلاقا من المشاهدة المتواصلة للالسنة الخاصة. اما علم العربية فهو ايضا يتعرض لهذه القوانين العامة لكن من زاوية العربية وحدها، ويدرس خصائص هذه اللغة ومميزاتها وضعا واستعمالا وفي جميع مراتب اللغة .. من ادناها وهو مستوى الاصوات والمخارج، الى اقصاها وهو مستوى الكلام المفيد لفظا ومعنى ويجب ان يستعمل فيه الباحثون نفس الوسائل التي يلجأ اليها علم اللسان العام **(او البشري)** من استقراء منتظم وتحليل احصائي وايجاد للمثل والانماط **(او المقاييس)** التي تفسر ظواهر اللغة بكيفية دقيقة ومن تحليل آلي (بالمطياف الالكتروني والراسمات والراديولوجية والرتابات وغير ذلك).

تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها ؟

يجري الآن بحث منتظم في المعهد فيما نسميه **باللسانيات التربوية** للحصول على احسن الطرق لتعليم اللغة العربية سواء كان هذا التعليم موجها للطفل او المراهق او البالغ الأمّي من الناطقين او لغيرهم. اخذا بعين الاعتبار الفوارق الكبيرة التي تمتاز كل واحدة من هذه الفئات (الا ان اهتمامنا بالقدر المشترك الذي تجتمع فيه كل الطرق اشدّ اذ لا بد من ارضية علمية متينة جدا يمكن ان يعتمد عليها في تعليم العربية بصفة عامة. اما تعليم العربية لغير الناطقين بها فالذي يجب ان يعتمد – **زيادة على الارضية المذكورة** – على دراسة مقارنة بين نظام اللغة الاجنبية التي هي من منشأ المتعلم غير الناطق بالعربية، وبين نظام اللغة العربية حتى نركّز في الطريقة الخاصة به على وجوه الشبه وعلى ما تمتاز به كل واحدة من اللغتين.

لقطة فنية لصومعة حسان التقليدية

الرباط

بقلم : عبد العزيز بنعبد الله

يرجع تاريخ تأسيس مدينة «الرباط» الى القرن الثاني عشر الميلادي. كانت في الأصل قلعة يسكنها برابر من افريقيا الشمالية .. وحين جاء الملك الموحدي «عبد المؤمن» بنى حولها قصبة «الاوداية» وانشأ مسجدا .. وقصرا في عام ١١٥٠م .. وفي عصر يعقوب المنصور تحولت بعنايته ورعايته لها الى مدينة حقيقية سماها «رباط الفتح» .. وكلمة الرباط تعني الموقع الحربي .. وقد قامت مدينة الرباط التي تشرف على المحيط الأطلسي عند مدخل وادي «أبي رقراق» مقابل مدينة «شالة» آخر المدن الرومانية التي جعلها الملوك المرينيون مقبرة لهم.

والرباط اليوم هي العاصمة السياسية والادارية للمغرب ومع انها احد موانئه الا انه يأتي بعد ميناء مدينة الدار البيضاء (كازابلانكا) التي اصبحت تمثل الواجهة التجارية والصناعية والسياحية.

وتتميز مدينة الرباط كغيرها من مدن المغرب بصناعة المنسوجات .. وتشتهر بالسجاد والمفارش والصناعات اليدوية المختلفة.

وعلى الضفة الاخرى لنهر أبي رقراق تقع مدينة «سلا» ثانية العدوتين. كما تتميز مدينة الرباط بـ «الجانب المعماري» الذي تناوله بتوسع في هذا البحث الخاص بهذه المجلة الاستاذ الفاضل عبد العزيز بنعبدالله الاستاذ بجامعة القرويين وجامعة محمد الخامس بالرباط ومدير عام مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي.

جانب من سور الرباط التاريخي



الرباط عاصمة معمارية

بنى الموحدون مدينتين اثنتين هما تازة والرباط على يد المنصور الذي اهتمّ خاصة بالقلاع والحصون، والمنصور الموحدي اساء اختيار موقع مدينة الرباط حسب رأي بعض المؤرخين الذين يزعمون انه ندم على ذلك، الا ان هذا الزعم لم يتأكد، وقد عقب مارسي على ذلك ملاحظا ان بناء رباط الفتح بما فيه من باب الرواح وباب القصبة الرائعة يعتبر انتاجا فيا نادر المثال لا مجال للشك في جدواه وقد سبق لابن تاشفين ان اقام اول رباط للجهاد في هذا الموقع وقد تجاوز طول اسوار مدينة المنصور خمسة كيلومترات، وعدد ابراجها ٧٤، واندرست اعلام ما كان يسمى بقصر عبد المؤمن في الحروب التي نشبت بين الموحدين وبني مرين[١].

وقد اقتبس بنو عبد المؤمن من الاساليب الاندلسية لاسيما بناء السواقي وجلب المياه فقد أسسوا قنوات نقلت مياه عين غبولة الى سلا ورباط الفتح[٢] حيث وضعت انابيب ثانوية لايصال الماء الى الجامع الكبير والزاوية التجانية بعد ذلك، ومتابعة تبليط هذه القناة لا تقل عن قوة الاسوار الموحدية بالرباط[٣] وهنالك قنوات اخرى ترجع لهذا العصر في مراكش وفاس وباقي مدن المغرب.

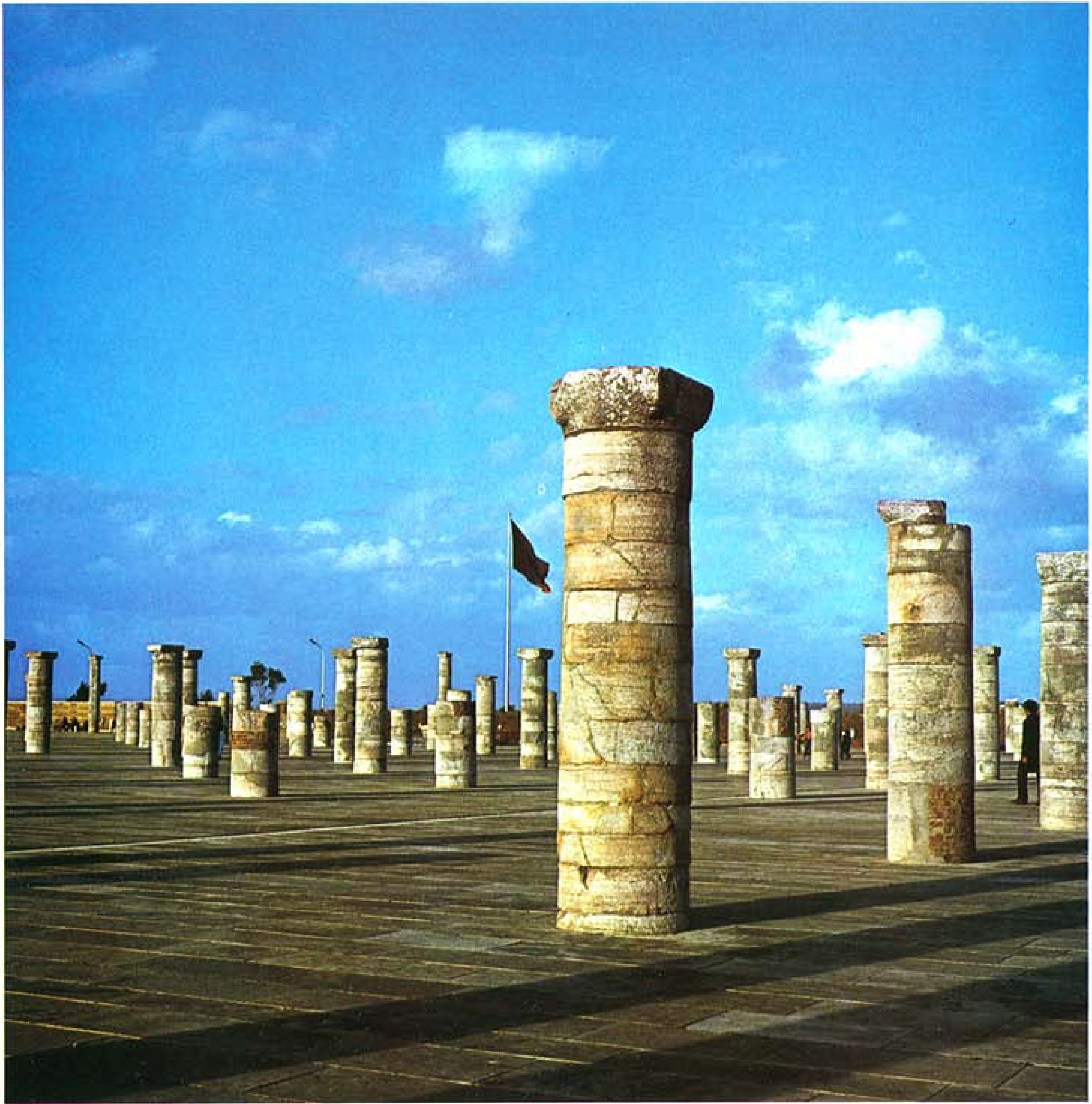
وقد عجلت المجموعات الفنية الموحدية بمراكش واشبيلية والرباط بانبثاق الاساليب الكلاسيكية للفن الاسباني المغربي بحيث لن يتأتى بعد ذلك للفنان الاندلسي ان يتصور او يحقق عملا يمتاز بمثل هذه السعة والفخامة، وقد تبلورت في هذا العصر في مجموع انحاء المملكة حضارة يانعة مؤتلقة المعالم





احد أبواب سور مدينة الرباط





بقايا آثار شالا

لاحظ الاستاذ اندري جوليان ان الحضارة الاندلسية اتسمت اذ ذاك بطابع رائع صادف ازدهار النظام الذي حققه الموحدون، وبذلك اخذ كل واحد حظه من الاشعاع الحضاري وامتد ذلك طوال القرون التالية حيث تغلغلت مدنية حق كثمرة للمبادئ وثقافة فكرية اخاذة في اعماق الجبال المغربية[٥] وقد اكد الاستاذ روبير مونطاني هذه الانطباعة عندما وصف المعالم التي تشهد بمدى اسهام

(٥) المغرب المجهود – مولبير اس ج ام ٢٨

الانتصارات الموحدية في نشر الحضارة بالنواحي الاطلنتية التي لم يسبق للعناصر الاجنبية ان تسربت الى حواجزها المنيعة[٦].

وقد استنتج الاستاذ ميلي ان ملوك بني عبد المؤمن لم يكونوا مجردين عن أحقية اعتلاء الارائك التي خلفهم فيها في الصعيد العالمي ملوك غربيون امثال فريدريك الثاني وسان لوى فرديناد[٧].

(٦) البرابرة والمخزن ص ٧٧

(٧) الموحدون ص ١٥٩



صومعة مسجد السنة وجانب من أروقته

جامع حسان

اما جامع حسان فانه من مآثر الموحدين الخالدة التي حققت وحدة الفن الشرقي والفن الاندلسي المغربي، فهو رمز لفخامة الدولة الموحدية ومشاعرها وذوقها في التناسق الجامع بين الفخفخة والبساطة وهو مجهود رائع اذا اعتبرنا انبثاقه من اسرة «موحدة» كانت تعمل على دعم الاسلام في صفائه الاصيل وحنيفيته السمحة.

ويقع جامع حسان شمالي شرق مدينة الرباط على علو نحو ٣٠ متراً فوق البحر وهو المسجد الثاني الذي بناه الموحدون بالرباط بعد مسجد القصبة العتيق وبانيه هو يعقوب المنصور الذي اتمه عام ٥٩٢هـ ويظهر ان بناءه لم يتم ومنارته اقرب عهدا من منارة الكتيبة ومنارة جامع اشبيلية المعروف بالخالدة، وهي مربعة كمنارة جامع دمشق، يبلغ عرضها ربع طولها حسب التقليد المعماري، وهذا العلو وهو ٦٤ مترا يجعل من منارة حسان اعظم منارة في الغرب بل حتى في

الشرق[٨]، اما الجامع فانه مربع المساحة تقريبا هندسي التقسيم لتساوي سواريه الفاصلة بين صحونه الواسعة ومحرابه مربع الشكل على خلاف المحاريب المغربية، وهو منحرف بعض الشيء عن القبلة مثل جامع القرويين[٩].

قصبة الأودابة

ولنضرب مثالا حيا بقصبة الاودابة برباط الفتح فهذه القصبة الموحدية محاطة بسور سواء على طول نهر ابي رقراق ام تجاه البحر ونحو السهل البري ولم يعد هنالك من جهة الوادي سوى قطعة جدار قرب ما يسمى بصقالة طولها نيف وثلاثون مترا، وارتفاعها نحو ثمانية امتار وبجانبها ما يدعى بمستودع مولاي اليزيد (اي العلوي نجل السلطان محمد بن عبدالله) والكل مقام فوق الصخر بحجر غير منحوت، وهنالك بقايا اسوار اكثر اهمية تقع



الاجزاء من صنع الموحدين لان بعضها قد تجدد بناؤه منذ نحو القرنين بفضل ما أولاه الملوك العلويون من عناية فائقة لهذه التحصينات، اما الابراج التي تعلو الاسوار فبعضها ما زال ماثلا للعيان في روعته المهولة مصوبا ثغراته نحو المحيط او تجاه المدينة.

ويظهر في خصوص مادة البناء في سور قصبة الرباط انها وسط بين النهج المعماري المرابطي وبين المعطيات الموحدية التي برز فيها مزيج من الملاط المقوى بالرمل والماء فالأسوار التي يرجع تاريخها الى عهد يوسف بن تاشفين وخلفائه قد بنيت – كالقسم المشرف على سوق الغزل – من الحجارة غير المنحوتة والآجر او من الحجارتين المبسوطة وغير المنحوتة، وقد استخدم الموحدون غالبا الحجارة وحدها دون تحميل انفسهم عناء نحتها، كما هو الحال في ابراج موحدية اخرى غلب عليها الطابع

أبواب القصبة

نيفا وسبعة امتار في مثلها تعلوها قبة سامقة مع حنايا جانبية تليها قاعة ثانية في نفس الاحجام مقببة ومحلاة بمناجد شبيهة بالجواهر المنظومة. اما الغرفة الثالثة فانها اعرض ويزدان الوجه الباطني للباب بعضادات او اعمدة مربعة تحمل مساند ناتئة تعرف اليوم بطاولات الجدار ولا تزال بقايا التبليط الذي كان يغطي ارض القاعات، ويذكرنا تصميم باب القصبة باحجامه واشكاله المنعرجة بتخطيطات ابواب السور الموحدي لرباط الفتح الا ان ترتيب الغرف يختلف فيها وقد لا يبدو جليا العامل الداعي الى تحلية غرف ذات هدف يتسم ظاهرها بطابع عسكري الا ان هنالك عناصر تدل على ان السمة العسكرية لم تكن هي البارزة في هذا التصميم لان ضخامة مصراعي الباب مثلا لم تكن لتعين على الصمود امام ضربات الاكباش (وهي آلات حربية تتألف من عمود خشبي او من حديد تدك بها الاسوار والابواب) كما ان الممرات العلوية لم تكن تشكل غرفا حصينة للدفاع ولا توجد اية فائدة عسكرية في وفرة القاعات.

وهكذا يمكن القول – مع كايبي – بأن باب قصبة الاوداية ليست في مجموعها جهازا قويا للحماية والاستحصان بل هي لا تعدو كونها مدخلا عاديا لقصر من القصور تحيط به اسوار زيادة في الدعم ويرابط الجند في احدى القاعات بينما يتخذ الخليفة من الغرفتين الاخريين قاعتين لاستقبال رعاياه اثناء مقامه على صفاف ابي رقراق[١٠].

ويلاحظ ان انعدام الملاط المقوى قد يثير الدهشة بالنسبة للعصر الموحدي الذي امتازت فيه الهندسة العسكرية بالاستعاضة عن الحجارة بهذا الملاط لاسيما وان الابواب الاخرى لمدينة الرباط تغايرها تماما من حيث مادة البناء.

وقد قيل من جهة اخرى بان وفرة القباب في افريقيا الشمالية ترجع لقلة الاخشاب الفنية الرقيقة وقد فند كايبي هذا الرأي خاصة باعتبار عصر الموحدين ويظهر ان اللجوء الى القباب يهدف الى تفادي هلهلة الاقواس المعروضة المستطيلة وقد اظهر النحاتون براعة في نقش بابي القصبة وهو نحت ثري منوع في صلب الحجر على مستويات عديدة تتخلله خطوط هندسية تحدد مختلف الاقسام وتحيط كتابات الخط الكوفي بالمشتبكات وبأفاريز الزخرف السعفي الا انها غير

(١٠) تاريخ مدينة الرباط، ص ١٠٠

واضحة ويعلو الجميع افريز من الحنايا المرضومة (اي المسدودة) وتقضي التقاليد بان يكون الوجه الباطني للابواب اقل تنسيقا من الوجه الخارجي الا ان باب قصبة الاوادية تشذ عن هذه القاعدة فتبرز فيها كل العناصر الفنية التقليدية من خطوط هندسية وحنايا متفتحة وافاريز واشرطة كتابية واقواس مفصصة (أي ذات قويسات طبقا للفن الاندلسي المغربي) وأقواس حدوية (اي شبيهة بحدوة الفرس او نعله)

وتتجلى التخطيطات الكوفية في اروع مظاهرها وهي اجمل انواع الخطوط واوفقها للنقوش المعمارية ولذلك كانت تشكل احد المجالي البارزة في الفن الاندلسي، اما الرسوم النورية او الزهرية فانها تشغل ايضا في هذه النقوش حيزا واسعا كما يوجد رسم في شكل حية قائمة على ذنبها انطلاقا من الاقواس المفصصة في الوجهين معا ويتوافر هذا النوع من الرسم في الابواب الموحدية الكبرى كباب كناوة (مراكش) وباب الرواح (الرباط) وستحلى بها ابواب شالة في العهد المريني والملاحظ ايضا ان الرسوم السعفية (اي التي تتخذ اشكال سعف النخل) تعتبر من العناصر الكلاسيكية في الترخيمات الموحدية وهي موجودة في جميع الابواب المومنية الا انها ابرز واوسع في باب القصبة خاصة في الوجه الخارجي للباب وهي من المقتبسات الراجعة الى الفن القوطي قبل الاسلام.

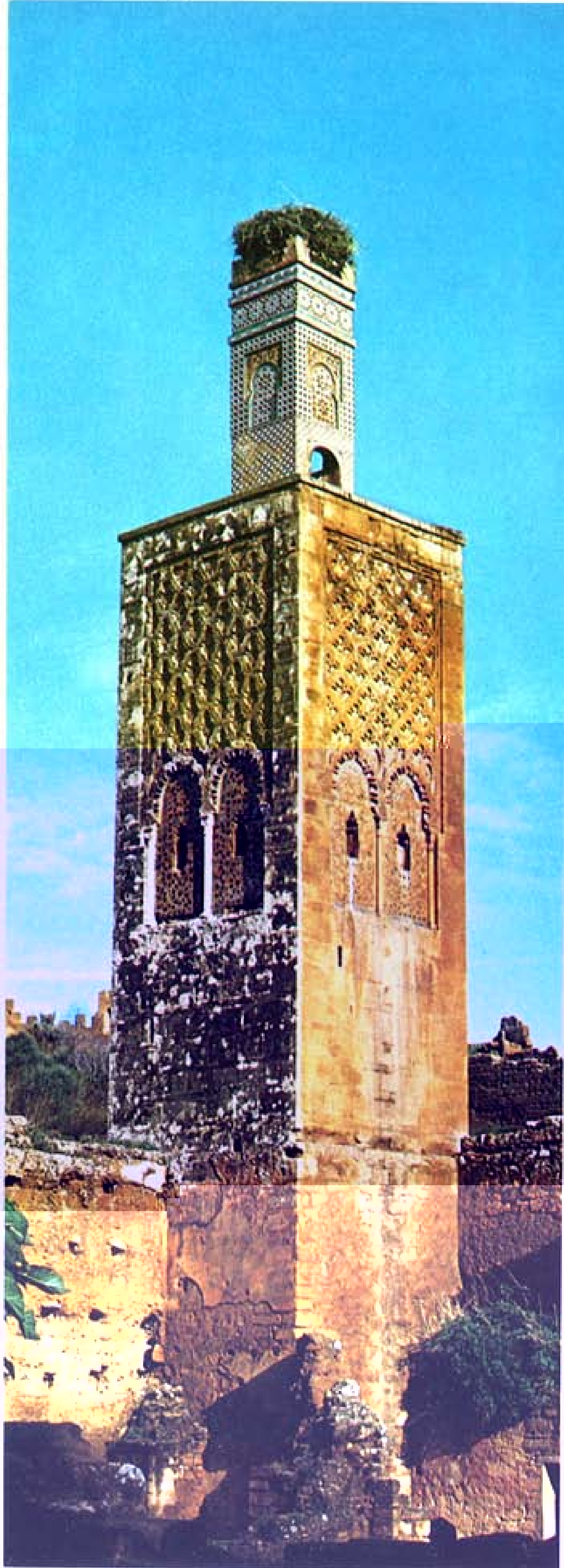
وبالرغم عن ثراء النقوش من حيث الاشكال والتقاسيم فانها تظل واضحة المظهر خفيفة المس دون اي غلو ولا تشعيب بخلاف ما يمتاز به الفن في عهد بني مرين من تكثف ووفرة. وهنالك تناسب بين الترخيم في مختلف اجزاء الهيكل العام يتسم بالقوة والرشاقة معا بحيث لم يتخلف الموحدون في ذلك عن تقاليد الفن الاسلامي شرقا وغربا.

مسجد القصبة

ومسجد القصبة اقدم جامع في مدينة رباط الفتح وهو يقوم في قمة القصبة وينحرف محرابه نحو الشمال على نظرية الموحدين في فهم الحديث الشريف «ما بين المشرق والمغرب قبلة»[١١] وقد طبق بنو عبد المؤمن فكرتهم هذه فيه لانه ثالث مسجد موحدي بعد جامعي تازا والكتبية، وقد ظل الى اوائل القرن العشرين مهبط الملوك يؤدون فيه صلاة الجمعة كلما امتد

(١١) نظرية لا تتفق وموقع المغرب من الوجهة الجغرافية لانها خاصة بالمدينة المنورة ولذلك قابلها الكثير من علماء المغرب بان القبلة بالنسبة الينا هي ما بين الشمال والجنوب.





مقامهم بالرباط وهو من بناء عبد المؤمن بن علي [١٢] وقد ادخلت عليه تعديلات خاصة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله [١٣] الذي جدد بناءه على يد احد الاعلاج المسلمانيين [١٤] احمد الانجليزي ويحتوي المسجد على سبعة صحون مع صحن حرد (اي بعضه اطول من بعض وغير متساو في الطول) تحيط به ابهاء في جهاته الاربع وتنبري المنارة على بضعة امتار جنوبي شرق جدار القبة بجانب ملحقات مختلفة على طول هذا الجدار كمسجد الجنائز ومقصورة الامام والكتاب القرآني (او مسيد وهو تحريف مسجد) والمراحيض وتكاد مساحة الجامعة تكون مربعة الشكل (٢٥م في ٢٥،٦م) ويغلب استعمال الحجر غير المنحوت مع حنايا واساطين من الآجر وتغطي «البرشلة» صحون الصلاة مزدوجة الانحدار في شكل ما يسمى في الشرق بجبهة الجملون عدا سقف مسطح فوق الصحن الاخير والابهاء، وقد تجدد التسطيح اواخر القرن الماضي حيث كانت مياه المطر تنصب في ميازيب الى صهاريج او مصانع تحت الصحون عطلت الآن واصبحت المياه تجري على طول الجدار الخارجي، وللجامع اربعة ابواب تعلوها اقواس مكسورة حدوية الشكل وتسندها عضادات ويمتاز بابان اثنان كلاهما بساريتين يتصل تاجاهما بواسطة طنف وكانت الصومعة معزولة عن المسجد ولكنها اصبحت منذ عام ١٩٤٠ موصولة بالمرمر المكشوف المحاذي لجدار القبلة، واذا لاحظنا ان جوامع الموحدين تتسم بالتناسق في اجزائها فاننا نستغرب فقدان هذا الانسجام في جامع القصبة الذي يظهر ان التعديلات المدخلة عليه قد غيرت معالمه تغييرا عميقا ولم يجد المهندسون مجالا واسعا لحفظ هذا التوازن الفني نظرا لتكاثف الابنية حول المسجد، وليس هنالك ما يؤكد ان المنارة من بناء السلطان سيدي محمد بن عبدالله كما يظن كايبي.

سور الرباط

اما السور الموحدي الذي اسسه يعقوب المنصور بالرباط فقد تم بناؤه – على ما يلوح – حوالي عام ٥٩٣هـ – ١١٩٧م وهو يمتد على طول ٥٢٦٣ مترا غربي وجنوبي المدينة التي

(١٢) محمد بوجندار في كتابه حول تاريخ القصبة (مخطوط المكتبة العامة بالرباط عدد ١٠٤٧)

(١٣) تاريخ محمد الضعيف (مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط عدد ٦٦٠).

(١٤) هكذا يسمى صاحب العقد الفرقد (ج ٣ص ٢٩٦) وابن سعيد (ص ١٣٧) الحديثي العهد بالاسلام ويسميهم ابن حجر بالاسلميين (الدرر الكامنة ج ١ ص ٣١٥)

تحميها من الجهتين الشمالية والشرقية قصبة الاوداية ونهر أبي رقراق والمحيط الاطلنطي وتبلغ المساحة الداخلية المحاطة بالاسوار ٤١٨ هكتار ينفذ الناس اليها من اربعة ابواب هي غربا باب العلو وباب الرواح واخرى داخل الثكنة العسكرية المحاذية للقصر الملكي وجنوبا باب زعير المؤدية الى شالة.

وما زال السور – رغم مرور نحو من ثمانية قرون على تأسيسه – قوى الدعائم عدا قمته التي تفتتت عناصرها وهو مبني من الملاط المقوى الذي يحوي الثلث من

وجه مغربي بالزي التقليدي الخاص بسقاة الماء

منظر عام لمدينة الرباط



الكلس بينما لا تتعدى نسبة الجير عادة السدس او الثمن ومعلوم ان الملاط الموحدي هو اقوى الملاطات اذ يشتمل في بعض المواضع على آجر مدكوك في شكل «طابية» وعلى حصيات صغيرة قد لف بعضها ببعض فأصبحت كالحجارة في صلابتها لا ينال منها المعول الا قليلا، وقد غالبت اسافل السور جوارف المطر، اما عرض السور فيبلغ احيانا مترين اثنين ونصف متر قد عبدت فوقها طريق مشرفة للحراسة يدعمها حاجز منيع يقل ارتفاعه عن المتر الواحد في حين يصل علو السور الى ازيد من عشرة امتار، ويمكن ان نلاحظ اليوم وجود اربعة وسبعين برجا سبعة منها تمتد من برج الصراط في الطرف الغربي الى باب العلو وتسعة الى باب الحد وخمسة وعشرون الى باب الرواح وسبعة على طول ثكنة الحرس الملكي واربعة وعشرون الى الجهة المارة من باب زعير والمطلة على ابي رقراق قرب ما كان يسمى بالمنزه، وقد يطول احيانا الحيز الواقع بين برجين ربما لانهيار بعضها خلال هذا الفاصل، وقد ظلت مدينة رباط الفتح في حدودها الموحدية غير آهلة طوال عدة قرون وكانت حدودها الجنوبية الشرقية هي السور الاندلسي الممتد من سيدي مخلوف الى باب الحد (مارا بباب البيوبة وباب شالة وباب التين) ويقول الاستاذ كاييى (ص ١٣١) بان الرباط كان يعرف في هذه الفترة بسلا الحديثة والذي يظهر ان هذا الاسم قد اطلق على سلا منذ عهد الشريف الادريسي[١٥] اي قبل بناء رباط الفتح وربما كان ذلك في نظرنا للتمييز بينها وبين شالة الرومانية لحملها نفس الاسم تقريبا.

ابـواب السـور

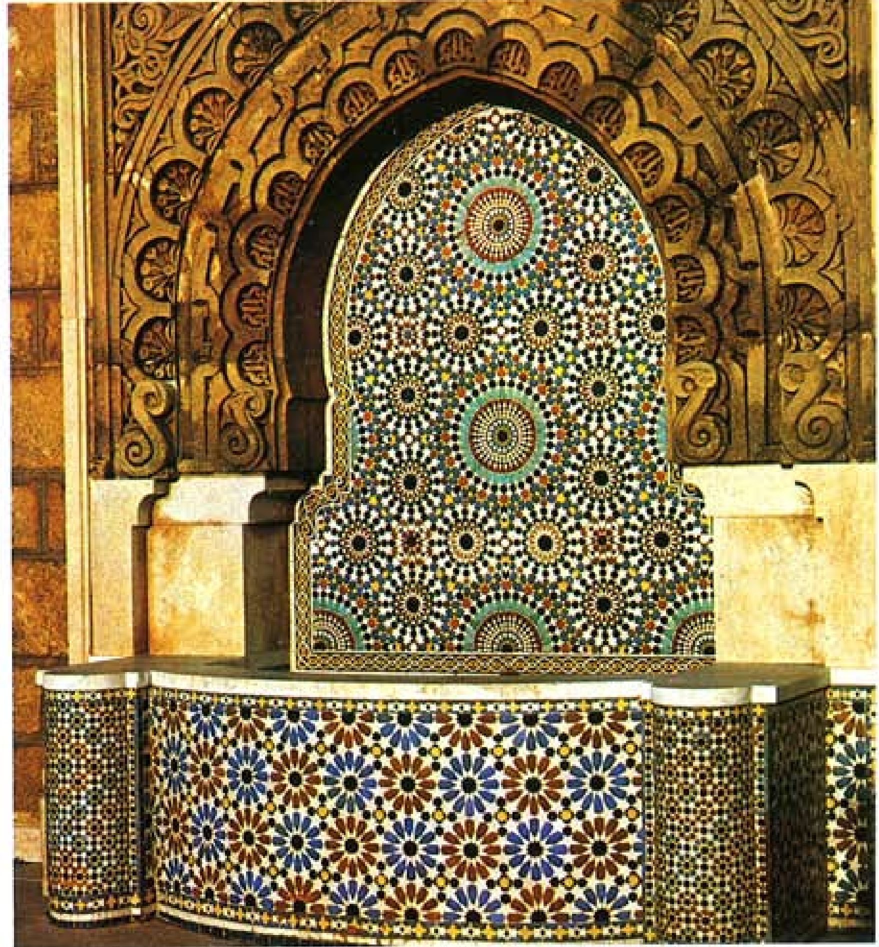
وقد ذكرنا ان ابواب السور الموحدي خمسة بادراج الباب الواقعة داخل ثكنة الحرس الملكي وهي تحمل الاسماء الآتية: باب العلو وباب الحد وباب الرواح وباب زعير.

وباب العلو هو أقرب الى المحيط وهو يبعد عن البحر بمسافة ٥٤٤م ويشكل هيكلا ضخما طوله ١٩٫٢م وعمقه ٢٠٫٩٢م وعلوه ١٠٫٨٥م كما يشتمل على غرفتين متوازيتين احداهما مكشوفة وتعلو الكل ابراج ناتئة مع وجود حجارة منحوتة جميلة في الزوايا وقلب الواجهتين الشرقية والغربية وتوجد قاعة صغيرة مربعة داخل الغرفة الاولى كانت مستودعا للسلاح وتؤدي الغرفة الثانية الى السطح الذي يغطي مجموع

(١٥) نزهة المشتاق، طبعة ١٩٥٧، ص ٤٨

البناية تحيط بها حواجز غير منحوتة يبلغ ارتفاعها ٢٫٢٦م غربا واقل من متر من جهة المدينة وقد فتحت فيها ثغرات ثمان ويتصل السطح بالطريق المعلقة فوق عرض السور وينزل درج في الغرفة المكشوفة الى بطن الارض ليؤدي الى ممر مستطيل لعله كان مخبأ لجند الخفر.

وقد نقشت على الجدران كتابات في صلب الحجارة المنحوتة مع صور سيف وخناجر بعضها معقوف للطرف وصورة قوس يحمل سهما مصوبا نحو الاعلى في روعة خلابة.



النقوش الاسلامية المزدانة بالفسيفساء وقد اشتهر بها المغرب

اما باب الحد فهو لا يختلف كثيرا عن الباب السابق ويقع على بعد ٥٠٥ امتار منه، وقد تجدد بناؤه عام ٢٢٩هـ[١٦] في عهد السلطان مولاي سليمان.

ويمتاز هذا الباب بثلاث غرف متوازية احداها مكشوفة كما تمتاز بوجود ثلاثة أقواس تدعمها روافد متينة تحمل عقد القبة قد انغمست عضاداتها شمالا داخل الجدار، وقد وصف الاستاذ كايبي (ص ١٣٧) هذه الميزة بانها استثنائية في الهندسة المعمارية المغربية نظرا لانعدام مثل هذه الاقواس في مآثر اخرى، واشار الى احتمال نسبتها الى احد الاعلاج او الاسرى الاوروبيين وتتفتح باب الرواح[١٧] اليوم اما شارع النصر (الذي هو اعظم شارع في العاصمة تقام فيه المهرجانات والاستعراضات الرسمية) على مسافة ١٠٢١م جنوبي باب الحد وهي اعظم ابواب السور الموحدي واكثرها تنسيقا، يبلغ عرضها ٢٨م وعمقها ٢٦٫٩٣م وارتفاعها ١٢م وتحتوي على اربع قاعات احداها مكشوفة كلها مربعة الشكل (٥٫٦٥م في مثلها) وعلى ممرين (مساحتها ٤٫٢٠م في ٢٫٢٠م) وتعلو القاعة الاولى قبة ذات اضلاع مشعة (على الطراز القوطي)[١٨] عقودها الركنية من الآجر لها ستة عشر اخدودا تتجمع في قبيبة ذات ثمانية فصوص (اي قويسات او اقواس صغرى) ونعثر على هذا النموذج من القباب في عدة غرف بمنارتي الكتبية وحسان الا ان قبة باب الرواح اضخم وان كانت اقل جمالا ورواء في حين تمتاز بسمة خاصة، وهي ان قاعدة كل عقد ركني تدعمها سويرية متوجة ومحلاة بما يسمى بالاقنثا او شوكة اليهودي وهي نبتة اتخذت اوراقها مثالا للزينة في الابنية القديمة واختص بها تقريبا الطراز الكورنثي اليوناني وتصطبغ هذه المجموعة الرائعة بالرشاقة والخفة ضمن الهيكل الضخم المتشكل في الحنايا والاقواس، ولاشك ان بعض القاعات كانت مخازن او مخابئ لاستخدام الحرس العسكري، وقد جدد السلطان سيدي محمد ابن عبدالله العلوي كثيرا من المظاهر الاثرية في هذا الباب[١٩] بل اضاف عناصر طريفة كقوس الانفتاح المكسورة والمشرعة وهذه (هي عبارة عن حنية او عقد قبة يعلو سهمها او مفتاحها الى نصف مستوى الانفتاح) ويحيط شريط من الخط الكوفي باللوحة المركزية الماطورة للباب في وضوح وروعة وتجانس بين المجموع والجزئيات (وهو شبيه بمثليه في باب القصبة وباب كناوة بمراكش) وتقل الرسوم الزهرية في النقوش حيث لا تعدو بعض الاشكال السعفية كما تقل التنميقات في الوجه الباطني للباب طبقا للتقاليد المعمارية المتبعة التي تأبى الا ان تحلي الجدران بكتابات منحوتة على الحجر وصور سيوف دقيقة وقاذوف (أي آلة لرمي السهام الى مسافات بعيدة كالتي توجد في باب العلو) وحسام قصير ذي نصل معقوف.

(١٦) اكد الضعيف ذلك في تاريخ الرباط ص ٥٠٦

(١٧) ترجم كايبي باب الرواح بباب الريح وهو واهم في ذلك لان الرواح معناه الروحة اي الذهاب صباحا.

(١٨) الزخرف المشع اصله اغريقي يمتاز بتشكيلات زخرفية كثيرة ووردات متفتحة متعددة

(١٩) تاريخ الضعيف ص ١٦٥ (مخطوط المكتبة العامة)

اما الباب الكائنة داخل القصر الملكي فهي تقع على بعد ٨٨٠م جنوبي «باب الرواح» وعلى مسافة ٤٦٥م شمالي برج الزاوية وهي تبلغ ٢١ر٢١م عرضا و ٨٠ر٢٢م عمقا وتشتمل على ثلاث قاعات مثل باب الحد مع وجود تعديلات ترجع لا محالة الى العهد العلوي ولا تختلف في مجموعها غربا في الابواب الموحدية.

وتنفتح باب زعير – كما يدل عليه اسمها – على الطريق المؤدية الى الاقليم الذي تشغله الآن قبيلة زعير وتصل احجامها الى ٢٤ر١٨م عمقا و ٧١ر٩م علوا و ٥٩ر١٢م عرضا وهي شبيهة في تخطيطها بباب العلو مع انتظام اقل ولا تزيد قاعاتها على اثنتين متوازيتين.

وقد مد عبد المؤمن بن علي انابيب الى رباطه بمصب ابي رقراق لنقل ماء عين غبولة الى القصبة، ولاشك ان هذه المجاري كانت جديرة بروعة الفن المعماري الموحدي الا ان الحفريات التي تمت لحد الآن سواء داخل المدينة او خارجها لم تسفر عن كشف اي عنصر هام من هذه القنوات، ويظهر ان اندراس معظم هذه المعالم راجع لكون الملوك العلويين قد اقاموا قنطرة معلقة لنقل مياه غبولة فوق القنطرة الموحدية مما لم يترك أثرا لهذه ومع ذلك فقد لاحظ الاستاذ هنري باسي [٢٠] وجود بعض الآثار الشاهدة بقيام جسر بني عبد المؤمن على مقربة من شمالي شالة على طول الشارع الحامل لهذا الاسم الى منعرج كائن قبالة الجامع الاعظم يؤدي الى قصبة الاوداية، وتبلغ هذه القناة العتيقة ٣ر٩م من العلو – بادراج عقد قوسها – ٥٩ر٠ متر عرضا وهي مبنية من الملاط المقوى الذي لا تنال منه المعاول لصلابته الا ان الاستاذ كايبى [٢١] ابرز الخلاف الملحوظ بين وصف المؤرخ باسي ووصف الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي [٢٢] الذي تحدث عن قناة من الحجر المنحوت مقامة على حنية بنفس الصناعة الفنية المعروفة آنذاك في ايطاليا وخاصة في روما، فهل ينطبق هذا الوصف الرائع على قطعة من الجسر تهدمت وامحت معالمها؟ من الصعب التأكد من ذلك لاسيما والنصوص التاريخية او الحفريات لم تسفر عما يشير اليه، فالمشكل اذن ما زال قائما، الا ان العنصر الهام الذي ينبغي ان يؤخذ في نظرنا بعين الاعتبار هو جودة الملاط المقوى وصلابته وهما من سمات الفن الموحدي بالاضافة الى ضخامة القناة وكثافة حجم الملاط ووضع الحنايا والاقواس الذي يساعدها على الصمود امام ضغوط المياه مهما كانت قوتها، ومع ذلك فقد لحقت اضرار جسيمة بالقناة خلال الحروب الطاحنة التي استمرت بين الموحدين وبني مرين بعد وقعة العقاب حتى جدد السلطان المريني ابو يوسف ما تهدم وانهار خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخ الرباط.



احدى بوابات السور

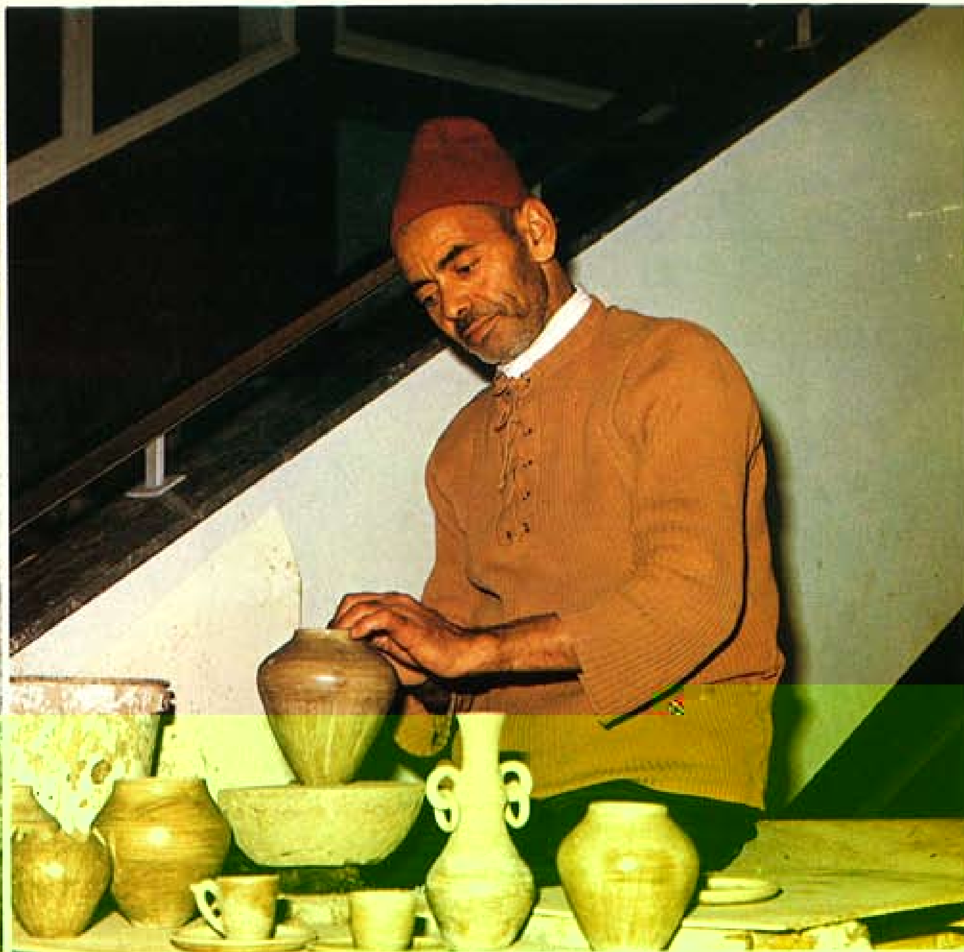
ومن هذا الوصف الموجز يتضح ان ابواب السور الموحدي بالرباط لها ميزات مشتركة تتجلى في وجود منعرجات ونواتئ ضخمة وسلسلة من القاعات المتوازية احداها مكشوفة يحتوي داخل كل منها على غرف صغيرة لسكنى الحرس او خزن الاسلحة وهي تشكل مع ذلك مراكز دفاعية هامة تعززها الانعراجات المختلفة غير الموجودة في الحصون الاندلسية التي اقتبس منها الموحدون وكذلك في باب القصبة الخالية من كل منعرج او مركز مكشوف ومهما يكن فان الارتسامات البارزة التي تنطبع في قلب الزائر لهذه المجموعات المتكاملة هي الشعور

(٢٠) في كتابه «قنطرة موحدية بالرباط» الذي نشره في المجلة الافريقية ٥٢٣ ، ١٩٢٣.

(٢١) تاريخ الرباط، ص ١٥٠

(٢٢) في كتابه «وصف افريقيا»













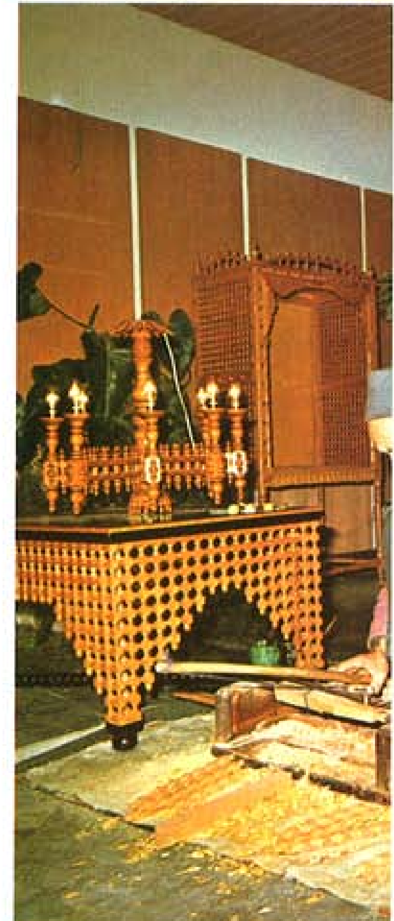




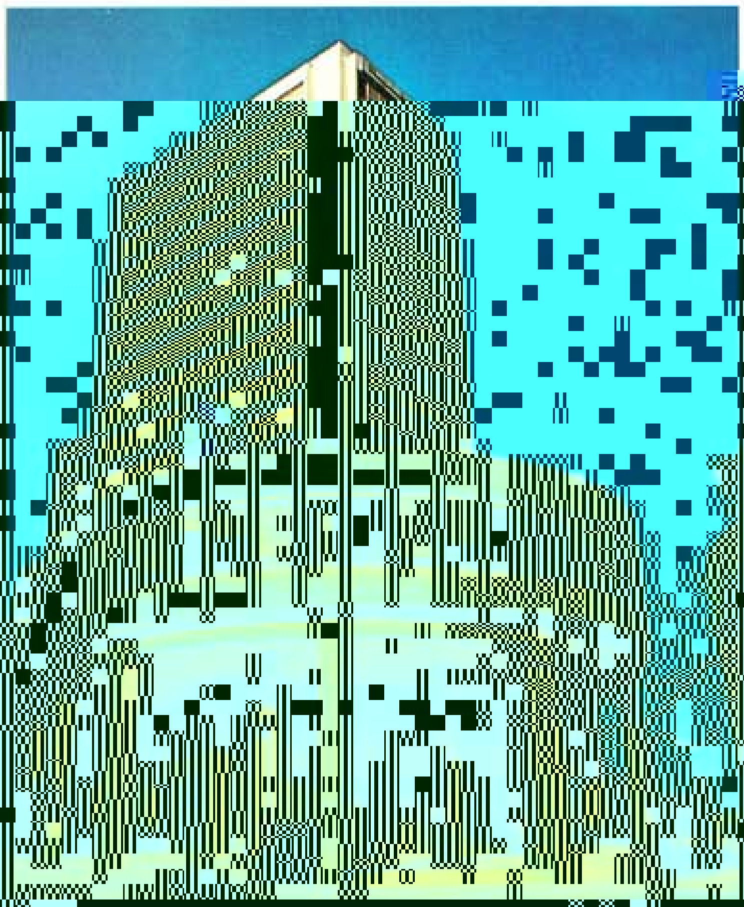
كانت الرباط ميناء له اهميته في تاريخ المغرب الشقيق لكن ميناء الدار البيضاء – تجاريا – سحب هذه الاهمية من الرباط مستأثرا بالحركة التجارية .. والاتصال بالعالم الخارجي.

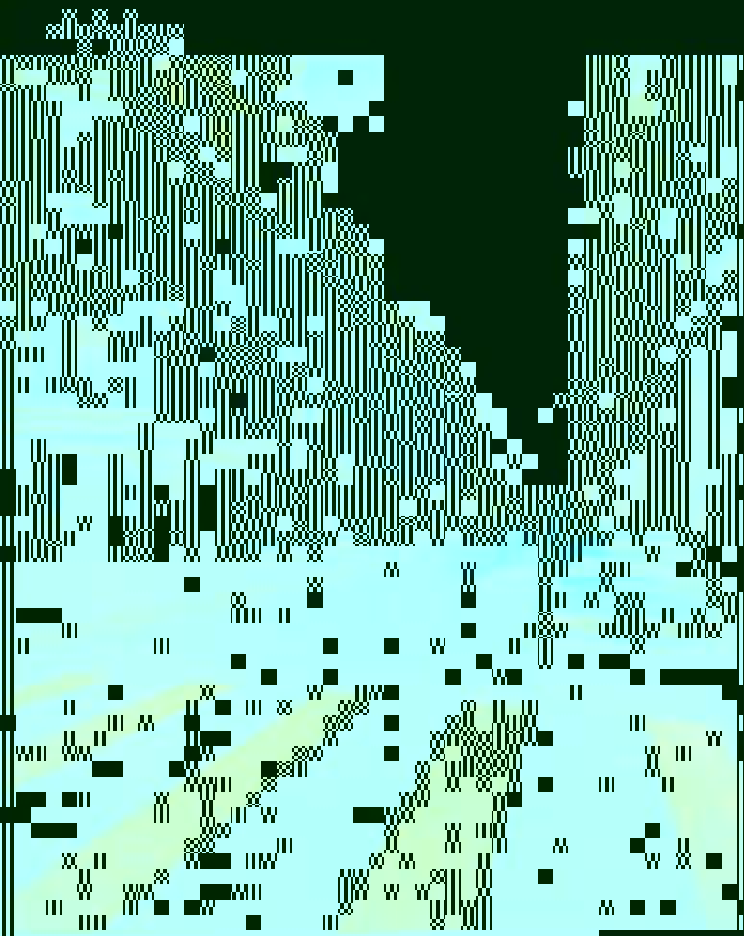
ومع ذلك لم تفقد الرباط حيويتها فظلت كما كانت مدينة تشتهر بالصناعات التقليدية من خزفية .. وفخارية .. ومعدنية .. وجلدية .. وخشبية .. والتفنن في هذه الصناعات بشكل يستهوي السياح في كل انحاء العالم .. والصناعات التقليدية في المغرب الشقيق لها اهميتها .. وتوليها الدولة اهتمامها الكبير .. كما يتم في مدنها المعارض السنوية الخاصة بها.

ويشاهد القارئ نماذج من هذه الصناعات التقليدية التقطتها عدسة المجلة اثناء زيارتها لمعرض الصناعات التقليدية بالرباط لعام ١٩٧٧م.



بالفخامة والقوة والابداع فهي تشكل مع منارات الكتبية





بهم في اخر الامر وكانت القصبة آنذاك تصوب فوهات مدافعها الى رباط الاندلسيين كما توجه بطارياتها تجاه البحر لصد غارات المراكب الاوروبية على ان القصبة نفسها كانت تخضع لمراقبة قصر مولاي رشيد الجديد المشرف عليها. وكانت باب من خشب تقفل المدخل الاساسي للقصبة التي توافرت في جنباتها المساكن والاصطبلات والمخازن حول القصر الموحدي المقابل للجامع العتيق بسراديبه المشحونة بالعتاد بمنأى من قنابل العدو فكانت القصبة كناية عن حاضرة صغيرة ينعقد تحت جدرانها سوق النخاسة للاسرى.

وعند انبثاق عهد السلطان محمد بن عبدالله دعت الحاجة الى تنظيم الادارة وتعزيز الثغور وتجديد الاسطول وتشجيع القرصنة والتجارة فأسهمت حاضرة الرباط بحظ وافر في هذه البادرات وكان السلطان يتوفر – حسب شينيي[٢٥] – على ستين مهراسا ومائتين من المدافع معظمها في الرباط والصويرة وهو عدد ضخم بالنسبة للعصر. وقد قام السلطان بدعم القصبة من جديد وترميم ما تهدم منها وبناء برج كبير يسمى صقالة على يد احد الاعلاج الانجليز معززا ببطاريات تحرس الساحل على طول المسبح وبرج الصراط والغي الممر المغطى بين القصبة والقصر الجديد، كما هدم القصر الموحدي الذي احتفظ الى ذلك العهد بجميع مقومات الراحة وكان السلطان قد اسس خزينة (بيت المال) لاداء اجور الجند في جميع مراسي المحيط الاطلنطيكي. وكانت خزينة الرباط قائمة في غرف باب القصبة ويظهر ان الباب الثانية للقصبة أسست في هذه الفترة لان الخطر اصبح محصورا في جهة البحر حيث ازدهرت القرصنة ضد اساطيل العدو.

وقد عمل السلطان سيدي محمد على اقامة صرح مدينة جديدة في اكدال بالمشور الحالي واسس دار المخزن وجامع السنة وجامع اهل فاس وهو اول عمل معماري عرفته الرباط منذ يعقوب المنصور الا ان الحاضرة العلوية تجاوزت آنذاك السور الاندلسي واستحالت الى حضرة سلطانية وقد اكد الناصري في الاستقصا ان اكدال ازدان آنذاك بستة مساجد علاوة على جامعي السنة واهل فاس الا ان المدينة ما لبثت ان فقدت من قيمتها في عهد مولاي اليزيد وقد عمل السلطان المولى سليمان على توسيع معالم المدينة ببناء قصر القبيبات «دار البحر» (الذي يوجد فيه الآن المستشفى العسكري) وجامع مولاي سليمان (بين البويبة والسويقة) وجامع الجزارين (بشارع القناصل) وجامع القبة (بحمام العلو) وجدد باب شالة في السور الاندلسي وكذلك باب الحد بينما اهمل القصبة كل الاهمال ومع ذلك فقد اصبحت الرباط مثل فاس ومكناس حضرة من حضرات السلطنة لاسيما في ايام المولى عبد الرحمن الذي اصبح قناصلة الدول يقدمون له بالرباط اوراق اعتمادهم الا ان هذا السلطان لم يضف الى المدينة مآثر جديدة اذا استثنينا جامع سيدي فاتح وبعض الابراج والدور الجميلة وسط جنان وحدائق غناء زرعت خارج السور. وقد اصبح الملوك العلويون المتأخرون وخاصة سيدي محمد بن عبد الرحمن والحسن الاول يواصلون المقام بالرباط. وقام السلطان محمد الرابع بتغيير وجه جانب من الحاضرة بما احدثه من بنايات اهمها القصر الجديد في اكدال على انقاض القديم وهو القصر الملكي الحالي مع سور المشور المحيط بتواركة (اي ساحة البلاط السلطاني) علاوة على تجديد معالم جامعي السنة واهل فاس وايصال قنوات عين غبولة الى دار المخزن على قناطر معلقة لم تعد مستعملة منذ عقود من السنين. ولم يكد يبزغ فجر القرن العشرين حتى اصبحت الرباط مدينة حضرية بتراثها وتقاليدها التي اضفى عليها جوار القصر الملكي طابعا من الروعة والمهابة بالاضافة الى ما تستلزمه جودة المناخ من رغد وازدهار حدبا الجالية الاوروبية الى الاستيطان على ضفاف ابي رقراق وخلق نوع جديد من التبادل الفكري والحضاري الذي تبلور مع الزمان في اروع مظاهره حتى قال بعض المؤرخين الاجانب ان الرباط امست «مفتاح المغرب».

اما السور الرشيدي فانه يحاديه حديقة الاودابة وساحة سوق الغزل على طول ٦ر١٣١م. وقد اسسه بأمر من مولاي الرشيد قائد العدوتين احمد الربي ضمن مجموع مسدس الزوايا والاضلاع يضم المتحف والحديقة وتخترقه اربعة ابواب معززة ببرجين من الطابية ومن مميزات هذه الابراج الرشيدية التي خالف فيها شكلية التحصينات الاندلسية المغربية ان ما يسمى بالسجف او البدنة (وهو جدار الحصن القائم بين برجين) بارز بالنسبة للسور ظاهرا وباطنا اي سواء من جهة الساحة ام الحديقة وقد نقشت على جانب من البرج خمسة رسوم تمثل المراكب بصواريها واشرعتها ومجاديفها الاثنى عشر في كلتا الجهتين وهذه النقوش اشبه بالرسوم المنحوتة على ابواب السور الموحدي بالرباط او في شالة ومهدية وباب المريسة (بسلا) وحصن تازا ومكناس وزرهون.

ويقع المتحف في الجهة الغربية من الحديقة. وقد اسس في عهد مولاي اسماعيل (كما تشهد بذلك الكتابة المنقوشة على

---

(٢٥) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٣٧

الخشب في ساحة المتحف[٢٦] وتزدان خزانته بنسخة من القرآن كان قد حلى تجليدها بتمويهات الذهب الخليفة الموحدي عمر المرتضى عندما كان واليا على القصبة قبل اعتلائه العرش ويحتوي المتحف على ساحة مركزية على غرار ساحات الدور الكبرى وغرف مستطيلة تمتد على الجوانب الاربعة مع مخادع صغرى وبرج في الركن الجنوبي من خمس طبقات وثلاث ملحقات وهي مسجد وحمام[٢٧] وقاعات صغرى وتسند الابهاء الاربعة خمس حنايا بأقواسها المكسورة والحدوية وقد اطلق اسم مدرسة على هذا المتحف في آخر عهد الحسن الاول الا ان تصميمها لا ينطوي على بيوت للطلبة اذا اعتبرنا ان المدرسة كانت منذ العصور الاولى عبارة عن حي جامعي مصغر اللهم الا اذا كان ملوكنا الامجاد قد استغلوا قرب هذه البناية من المرسى لاحالتها الى معهد للملاحة[٢٨] بعد ان كانت مجرد دار ملكية للسكنى محاطة بحديقة ومسجد وحمام.

وكان السور العلوي الخارجي ينطلق من شاطئ المحيط الاطلنطيق في نقطة تبعد بالف وستمائة متر في الطرف الشمالي للسور الموحدي وينقسم هذا السور الى شقين يبلغ طول احدهما ٣٢٠٠م ويصل الى اكدال بعدما يقطع شارع تمارة وشارع النصر الى باب مراكش التي مازالت قائمة الى الآن بالقرب من السكك الحديدية (خلف حديقة التجارب) اما الشق الثاني فانه يتصل مباشرة بالسور الموحدي ويبلغ طوله الفا ومائة متر، وقد فتحت في السور اربعة ابواب (باب القبيبات في جهة البحر (او باب الدار ايضا) وباب تمارة في الشارع الذي يحمل هذا الاسم او باب تامسنا، وباب مراكش (او باب الجديد او باب المجاز او باب العدير البراني) وباب المصلى (لقربها من المصلى الحالي) وهكذا يمكن القول بان السور العلوي بلغ طوله اربعة كيلومترات وثلاثمائة متر وكانت المساحة التي تفصل المحيط عن السور الموحدي اربعمائة وواحدا وعشرين هكتارا بينما كان مجموع المساحة - بادراج المدينة العتيقة - يزيد على ثمانمائة واربعين هكتارا اي الضعف ولا نعرف بالضبط تاريخ بناء هذا السور نظرا لسكوت المصادر المغربية ككتب الزياني والضعيف والناصري عن ذلك عدا مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي الذي ذكر ان بانيه هو السلطان محمد الرابع[٢٩] وقد هدم هذا السور ابان الحماية لتسهيل عمارة المدينة الاوربية ويظهر ان هذا السور لم يكن على طريق معلقة ولا على ثغرات للرماية.

وهناك بنايات اقامها الملوك العلويون في السور الموحدي مثل برج لالة قضية قرب باب البحر التي كانت الفلك (المراكب) تنقل اليها الناس من سلا الى الرباط عندما كان ماء النهر يبلغ في مدة هذا الجدار العلوي الا ان ارصفة جديدة اسست منذ نصف قرن فصارت تحجز مياه الوادي وقد اقيمت عليها مخازن الديوانة واماكن لارساء السفن الصغرى ومستودعات ملاحية مختلفة.

المشور: ويشكل المشور (اي ساحة القصر الملكي) مربعا تبلغ مساحته تسعة واربعين هكتارا وهو يحتوي الآن بالاضافة الى القصر الملكي المذكور على جامع اهل فاس والمجلس الاعلى للقضاء ووزارة الدفاع ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وملعب الفروسية والمطبعة الملكية ومساكن الحرس الملكي التي احيلت الى دور عصرية بعد ان كانت عبارة عن «نوايل» او أخصاص قصديرية واصبح المشور في هندامه الجديد بحدائقه الغناء وفواراته النافورية واضوائه اللامعة وارصفته المبلطة صورة حية للمجهود الذي بذله المغرب بعد الاستقلال في مجالات التخطيط والعمران.

وينطبق سور المشور غربا وجنوبا على السور الموحدي بينما اضيفت لاستكمال تربيعة الجانبان الشمالي والشرقي وقد بنيت البابان الاساسيتان في المعهد المحمدي وصارتا تحملان اسم «باب السفراء» و«باب القيادة العليا» وتدل الكتابات المنقوشة عليها ان احداهما من بناء السلطان عبد الرحمن (عام ١٢٨٣) والاخرى من بناء ولده محمد الرابع مما يدل على ان السور يرجع عهده الى هذا التاريخ. ويبلغ طوله ١٣٧٣م كما تزدان ابوابه بحنايا مشرعة رائعة بنواتئها الخفيفة وعقودها الركنية ومصاريعها الخشبية الثقيلة وتحصيناتها.

اما التجديدات والترميمات التي قام بها الملوك العلويون بالنسبة للسور الاندلسي فانها مستوحاة من تطور الحاجيات

(٢٦) يقول مؤرخ سلا محمد بن محمد بن علي الدكالي ان نجل السلطان مولاي احمد الذهبي سكن في المتحف عندما كان ينوب عن والده في العدوتين.

(٢٧) الحق بالمتحف عام ١٩٤١م.

(٢٨) اشارت الى ذلك مصادر اجنبية وخاصة كتاب «الرباط وناحيته» الذي نشرته البعثة العلمية الفرنسية في اربعة مجلدات عام ١٩١٨م بباريس (ج١ ص ١٥١)

(٢٩) يلاحظ كايي في تاريخ الرباط ان ذلك غلط لان سيدي محمد بن عبد الرحمن هذا لم يعتل العرش الا عام ١٨٥٩م في حين ان نائب قنصل فرنسا بالرباط تحدث منذ عام ١٨٥٦م، عما سماه بالسور الثاني للرباط ولعل كايي واهم في ذلك على ما يلوح لنا لانه ربما كان المقصود بالسور الثاني هو سور الاندلسيين وهو اقرب الى الاحتمال.

ولوازم الحضارة فمن ذلك باب تسمى «تقوية الراعي» (كانت بجانب المجزرة التي يحمل اليها الرعاة الغنم والبقر) التي تحمل كتابات يرجع صنعها الى السلطان محمد بن عبدالله عام ١١٩٣هـ بينما توجد باب اخرى متصلة بشارع الجزاء تعرف بتقويسة الطرافة (اي باب الاسكافيين او مصلحي الاحذية) وتدل الكتيبات المنقوشة عليها انها جددت في عهد السلطان مولاي عبد العزيز عام ١٣١٥هـ امام باب شالة المؤدية الى الجامع الكبير فقد جددها المولى سليمان في ١٦ جمادي الثانية عام ١٢٢٨هـ (كما في النقش)[٣٠].

وكانت مدينة الرباط تضم بين جنباتها ازيد من خمسين مسجدا وزاوية في اوائل هذا القرن، وقد اسس معظمها في العهد العلوي اهمها جامع السنة وجامع اهل فاس وجامع اهل سوس وجامع اهل مراكش وكلها من بناء السلطان محمد بن عبدالله علاوه على ستة مساجد اخرى تهدمت مع ما تهدم في اكدال[٣١] وسنستعرض على التوالي المظاهر المعمارية في ثلاثة من هذه المساجد هي جامع السنة وجامع اهل فاس وجامع مليين.

جامع السنة

اما جامع السنة فقد اقيم بالجامع الغربي والطرف الشمالي الخارجي لمشور تواركة قرب ليسى مولاي يوسف الحالي وقد اكد الضعيف ان بناءه تم في جمادي ١١٩٩هـ (مارس ١٧٨٥م) علي يد الملك محمد بن عبدالله الذي انفق عليه اموالا طائلة. ويظهر انه ظل منذ تأسيسه نحوا من عشرين سنة خاليا لبعده عن المدينة وقلة السكان حوله مما حدا السلطان سليمان الى نقل اخشاب سطوحه لتسقيف جامع علي ابن يوسف الذي انمحت آثاره الآن بمراكش[٣٢] وكان بجانب المدرسة التي تحمل نفس الاسم. وقد قام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بتجديد بناء جامع السنة الذي اصبحت الصلوات الخمس تقام فيه بانتظام مع خطب الجمعة وذلك بعد ما بادر الى زيادة تعمير حي تواركة بعبيد البخاري واهل سوس ثم اقامة دار المخزن والمشور السعيد ولم تزد الترميمات الجديدة على دعم صحون الصلاة بروافد خارجية دون تعديل التخطيط الاصلي للجامع مع اضافة جناح وباب حديدين خلف المقصورة وربما ايضا دار للوضوء قرب الصومعة ومخدع مستطيل وراء المحراب يرجع تاريخه الى عهد السلطان مولاي عبد العزيز (١٣٢٥ – ١٩٠٧). وأول ما يبده الزائر لجامع السنة مساحته الشاسعة وتناسق اجزائه وبساطته، واذا اعتبرنا تخطيطه الاصلي فان المساحة تكون عبارة عن مربع كامل (٧٤٫٧٠م في ٧٤٫٥٠م) اي ٥٥٦٥ متر مربع. وهذا الجامع من اكبر مساجد المغرب ولا يفوقه في الضخامة عدا جامع حسان (٢٥٥٢٣ متر مربع) وجامع القرويين (٦٣٠٠ متر مربع) بينما تزيد مساحته على مساحات جامع القصبة بمراكش (٥٥١٢ متر مربع) وجامع الروى بمكناس (حوالي ٤٩٣٠ متر مربع) وجامع الاندلس بفاس (نحو ٤٧٦٠ متر مربع) والجامع الكبير بتازا (٣٠٠٠ متر مربع) والجامع الكبير بالرباط (نحو ٢٠٠٠ متر مربع) واذا كان شكله المربع عاديا بالنسبة للمساجد الصغرى فانه نادر اذا نظرنا الى الجوامع والمساجد الكبرى.

وكان للجامع ثلاثة صحون معترضة مفصولة بعضها عن بعض بخمس عشرة حنية في الاتجاه الشمالي الشرقي والجنوب الغربي كما هو الشأن في جميع مساجد العهد العلوي وخاصة في جامع الروى ولالة مودة (مكناس) وجامع مولاي سليمان الرباط وجامع الرصيف (فاس) وهو اتجاه مقتبس من الهندسة المعمارية التي عرفت منذ القرون الاولى في كل من جامع القرويين وجامع الاندلس بفاس ولعل الاتجاه الملحوظ في عهد العلويين يعكس الخلاف القائم بين الفقهاء حول مفهوم الحديث الشريف «ما بين المشرق والمغرب قبلة» والذي قرر العلماء المتأخرون انه خاص بموقع المدينة المنورة خلافا لما ارتاه الظاهرية في عهد الموحدين وان المفهوم الصحيح لهذا الاتجاه

بعض وغير اما ساحة الجامع فان شكلها حرد (اي بعضها اطول من بعض وغير متساوية في الطول) وهي اوسع من الصحن وتحتوي في طول الجدار الشمالي الغربي على سلسلة غرف (كان الطلبة يسكنون بها) ورواق مربع (استخدام كزاوية ثمانية داخل الجامع) تقابله الصومعة في الطرف الآخر الملاصق لدار الوضوء، وكان المصلون ينفذون الى الجامع من خمسة ابواب (ثلاث منها في واجهة المسجد) علاوة على الباب السادس المضاف وراء المحراب.

وقد بنيت معظم جدران الجامع من الملاط المقوى القليل الكلس والمخلوط بشظايا القرميد والآجر اما هياكل الابواب فانها من الحجر المنحوت المغطى بطبقة كثيفة من الجير بينما

---

(٣٠) [illegible] الضعيف هذا التاريخ (مخطوط المكتبة العامة بالرباط ص ٤٩٩)

(٣١) كما ورد في الاستقصا وفي البستان لابي القاسم الزياني (ص ١٧٣ من مخطوط مكتبة ابن زيدان) وفي تاريخ الرباط للضعيف.

(٣٢) كايبي – تاريخ الرباط ص ٤٥٨

بنيت الاساطين الداخلية المربعة بالآجر وكذلك الحنايا والاقواس ويتجلى المحراب في شكل هرم ذي خمسة رفارف او ذبول وتغطي سقوف جملونية من البرشلة ذات منحدرات اربعة صحون المسجد الواسعة التي يبلغ طولها واحدا وسبعين مترا وعرضها سبعة امتار وتعتمد اربطة الجملون (وهي خشبات تصل كل واحدة منها طرفي الجملون، وتباعد بينهما) في اطرافها على مساند ناتئة مغروزة في الجدران وتزدوج هذه الاربطة فوق الاقواس الا ان المجموع يخلو من طابع الرشاقة الذي عمل السلطان محمد الرابع على اضفائه على الجامع عندما اضاف الى الصحن اروقة جديدة وابهاء بأساطينها الضخمة الاربع عشرة التي تصلها حنايا مكسورة ومتفتحة من الحجر المنحوت تقابلها في الصحون الداخلية اقواس مكسورة حدوية (اي على شكل نعل الفرس) واسعة ذات مركزين يبلغ علوها ازيد من خمسة امتار وانفتاحها ثلاثة امتار ونصف متر اي تسعة اضعاف البعد الذي يفصل المركزين وتقضي التقاليد المعمارية في المغرب بان تكون هذه الاقواس مأطورة ضمن مربع مستطيل ومشرع (اي يرتفع عقد قبته فوق القوس التام او النصف الدائري) وارتفاع هذه الحنايا هو الذي يضفي نوعا من الرشاقة على البناية التي تتسم بسبب امتداد الصحون (٧١٫٧ مترا) بشيء غير قليل من الضخامة والجلال يزيدها بساطة وروعة خلو قبة المحراب المثمنة الشكل من العقود الركنية ومن المقربصات اللهم الا تلك القولبة الخلابة التي تمتاز بها العضادات التقليدية الجامعة بين الزينة المقعرة والخيوط المشبكة ولا ينفذ النور الى الصحون الا من خلال الحنايا المتفتحة على الساحة الخارجية المنتظمة الهندام التي كانت مساحتها تبلغ ٧٢ مترا عرضا في ٢٧٫٤م عمقا قبل التوسعات الملحقة آخر القرن الماضي والتي جعلت منها باحة مربعة (٧٢م في ٧٧٫٧٣م) وتتوسط ساحة الجامع فسقيه من الرخام الابيض تحملها دعامة مرمرية ضمن مربع من الزليج العصري تفور من جانبها مياه غبولة وتقوم بين الصومعة والرواق المربع (الزاوية التجانية) على طول الجدار الشمالي الغربي اربع بنايات تحيط بابواب الواجهة وتبلغ كل واحدة منها ٤٫٧٥م عمقا و ١٢ الى ١٤ م عرضا وتحتوي كل بناية على اربع غرف كانت مأوى للطلبة الذين انزلهم السلطان محمد بن عبدالله[٣٣] بالجامع وامدهم على ممر الايام بالمئونة اللازمة تعميرا للجامع وتشجيعا لحملة العلم.

أما الصومعة فقد ظلت في شكلها الاصيل ومكانها الاول الى ان نقلت بأمر من جلالة الملك الحسن الثاني الى الركن المقابل حيث كان رواق التجانيين وذلك لتكون في سمت شارع محمد الخامس، وكان علو المنارة يبلغ ٢٤٫٢٥م اي ستة اضعاف القاعدة المربعة التي لا تتجاوز اضلاعها ستة امتار اما الصاري الواقع تحت الجامور فان قسمة المربع يبلغ كل ضلع منه ٣٫٧٥م وعلوه ٦٫٤١ م وقد فتحت نافذة في كل ضلع ويحتوي الجامور على ثلاث كور من الخزف الاخضر المبرنش.

وكانت الزخرفة بسيطة فالسواري مجردة من التيجان كما ان الاقواس عارية من كل نقش ولا يوجد الخشب المنحوت الا في الباب الشارع من جدار القبلة وهي باب ذات حنية مكسورة ومشرعة مفصصة الزينة على غرار القويسات المطرزة في اطراف الثوب وهذه المفصصات مرسومة في شكل ثلاثة اشرطة دقيقة متداخلة وتحتوي الالواح الماطورة على صور نباتية ملتفة محلاة بالافنان والورق ضمن طيقان زخرفية مقوسة نافذة تتوسطها زهرة رائعة المنظر في الوانها الزاهية من ابيض واخضر واحمر في خلفية زرقاء تبرز المجموع في حلة قشيبة يتكاثف سعفها وبراعمها وانوارها وكؤوسها وتخاريمها وهذه الالوان الرائقة والرسوم المتشابكة مظهر من التراث الاندلسي المغربي الذي تزاوج على مر العصور مع معطيات الفن الشرقي وخاصة السوري والمصري بفسيفسائه الزهرية وانتظام اجزائه ووضاءة جنباته ويمتاز المحراب الى جانب ذلك بالنحوت على الجبس وتراكب الاقواس والكتابات الكوفية والحنايا المقفلة وقبة قد رسمت عليها نجمة ذات تفاريع تتوسطها قبية منجمة وهي زخرفة حديثة من معطيات فن القرن العشرين، تزيدها روعة ما تمتاز به من قولبة هندسية رقيقة وانتظام في التخطيط وجلال في الهيكل.

وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بتجديد هيكل جامع السنة فنقلت عام (١٩٦٩م) منارته من الطرف



جانب من حي شعبي

(٣٣) تاريخ الرباط للضعيف (محطوط المكتبة العامة بالرباط ص ٤٤٤)

الشمالي الى الطرف الجنوبي للمسجد، وكان ذلك عنوانا ناصعا على امتداد روعة الفن المغربي الاندلسي بطابعه الخاص الذي اندرست معالمه في الوطن العربي كما تجددت سقوف الصحون والبلاطات وازدانت مختلف الاروقة بنقوش خلابة وبرزت براعة الصانع المغربي في النحت على النحاس الاصفر اللماع الذي لبست به ابواب الواجهة بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ الفن بالمغرب فكانت هذه المظاهر وكثير من اشباهها في اجزاء هذا التجديد صورا حية لعمق المكاسب الاندلسية والشرقية الاسلامية في حضارتنا الحديثة التي تضم الى رواء الجمال العصري جلال الفن التقليدي، وقد اصبحت الصومعة الجديدة شامخة في هيكلها الضخم يراها الناظر وقد أطلت في سمت هندسي محكم على اكبر شارع في العاصمة وهو شارع محمد الخامس.

جامع أهل فاس

وجامع أهل فاس هو جامع المشور الذي اكد الضعيف انه من مآثر السلطان محمد بن عبدالله. الا ان بعده عن المدينة جعله كجامع السنة قليل الرواد خالي الوفاض الى ان جاء



الكبرى السبعة المسندة بسوار ضخمة مربعة القاعدة علاوة على ثلاثة اقواس تصل البلاط بالصحن الخارجي والمحراب المثمن الشكل البارز في نتوء رباعي مستطيل خلف جدار القبلة والصحن اكبر بقليل من بلاطات الصلاة (٢٠٩ متر مربع بدل ٢٠٣ متر مربع) وله شكل حرد (اي بعضه اطول من بعض) وينفذ اليه المصلون من باب واحد قبالة المحراب في الطرف الآخر والشيء الذي يمتاز به هذا المسجد بالاضافة الى بساطته هو اعتراض بلاطية على غرار المساجد العلوية وجامعي القرويين والاندلس. ولا أثر لأي نقش ولا ترخيم عدا في المحراب المحلي بقولية من الجبس وبقية مفصصة القويسات مثل باب الرواح، وجامع حسان مع تناسق وانتظام في

الحجر غير



وجـهتا نظـر متـعارضتـان .. بـين الأخـذ



والخطـاء..

التعاقدات الدولية .. ماذا نقصد بها!!

نحن جميعا تقريبا أفرادا ومؤسسات نعرف ماذا يعني العقد .. أو التعاقد وكثير منا من وقع بنفسه عقدا مع آخرين سعوديين كانوا أم أجانب ... والعقد كما يقول القانونيون هو «شريعة المتعاقدين» اي المصدر الذي يستقي منه اطراف العقد حقوق والتزامات كل طرف تجاه الآخر.

والعقد في مفهومه البسيط الدارج هو مجموعة من النصوص القانونية تلزم كل طرف باتباعها خلال فترة معينة وفي اطار شروط واضحة ... ولا يمكن الاخلال بمحتويات العقد الا بموافقة الطرفين المتعاقدين.

ونحن هنا لسنا بصدد دراسة مستفيضة لأنواع العقود من الناحية القانونية او النظامية، ولسنا ايضا بصدد دراسة وتحليل التطور التاريخي للنظام التعاقدي ولكننا سنركز اهتمامنا على جانب واحد في عملية التعاقد هي «طبيعة التعاقدات على النطاق الدولي وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية» مع التركيز على أهم المشاكل التي قد تجابه اطراف العقد الدولي خلال مفاوضات العقد وتنفيذه واضعين ايضا نصب أعيننا هذه المشكلة في التعاقدات السعودية الدولية، ومن خلال هذا الاطار، سنقوم بعرض الموضوع على النحو التالي:

أولا: طبيعة التعاقدات الدولية وانواعها المحتملة.

ثانيا: مشكلات التعاقدات الدولية في المملكة العربية السعودية.

ثالثا: الحلول المقترحة لاحلال الانسجام والتفاهم بين اطراف العقد في المملكة العربية السعودية.

أولا: طبيعة التعاقدات الدولية

تتخذ التعاقدات الدولية صفات متعددة اذ قد تكون هذه التعاقدات على شكل اتفاقيات تجارية بين دولتين او بين شركتين او بين فردين كل منهما يعيش في دولة اخرى .. وقد تكون التعاقدات ايضا على شكل اتفاقيات ثقافية او فنية او ادارية، كان تتفق مؤسسة معينة مع مؤسسة نظيرة لها على القيام باعمال الصيانة او الادارة خلال فترة معينة من الزمن حتى يتم تدريب كادر من الموظفين المحليين المؤهلين. وقد يتم التعاقد بين الدولة او من يمثلها في المؤسسات الحكومية وبين مؤسسة دولية اخرى للقيام بعمل انشائي عمراني، او دراسة استشارية اولية يقصد منها معرفة الجدوى الاقتصادية لتأسيس مشروع معين.

على ان الملاحظ اليوم ان التعاقدات بين الدول والمؤسسات اصبحت على قدر كبير من الاهمية وخاصة بين الدول النامية والدول المتقدمة نظرا لما تحتويه هذه التعاقدات من التزامات تصل الى بلايين الدولارات كذلك فان التعاقدات الدولية بين دولة نامية واخرى متقدمة غالبا ما تنحصر اليوم في اطار المساعدات الادارية والفنية، والانشائية، وفي الدراسات الاستشارية. وعلى سبيل المثال فان المساعدة الادارية التي تقدمها شركة T.W.A. لمؤسسة الخطوط الجوية العربية السعودية هي من قبيل التعاقدات الادارية التي تلتزم فيها شركة T.W.A. بتطوير الجهاز الاداري والفني للسعودية لفترة معينة حتى يتم تدريب

الكادر السعودي المؤهل والكافي للقيام بأعمال الادارة والتشغيل والصيانة. ومثل هذا العقد يرتب بلاشك التزامات اخرى على الجانب السعودي ممثلة اساساً في التزامات مالية واخرى غير مالية. وهناك

ايضا الكثير من الأمثلة على التعاقدات الفنية والانشائية في المملكة العربية السعودية مثل عقد بناء مطار جدة الدولي الجديد مع شركة «أختيف» الألمانية، وعقود توسعة الموانئ البحرية في كل من جدة والدمام وجيزان وينبع والجبيل خلال الخطة الخمسية الثانية ... والحقيقة ان غالبية العقود الدولية الموقعة بين المملكة العربية السعودية والمؤسسات العالمية هي عقود من النوع الانشائي والعمراني والاستشاري.

ثانيا: التعاقدات الدولية في المملكة العربية السعودية

ليس من شك في ان النهضة الاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها المملكة العربية السعودية هي وليدة التعاون البناء بين المملكة والدول الصديقة وهي ثمرة الدخل الاقتصادي المتزايد الذي أفاد الله به على هذه الارض الطيبة.

واذا كانت خطة التنمية اليوم تستلزم تظافر كافة الجهود المحلية والدولية الصديقة لتنفيذ العديد من المشروعات الانشائية والاستشارية والادارية وغيرها فان الامر قد لا يكون سهل التطبيق كما قد يتبادر الى الاذهان نظرا للمصاعب التي قد تنشأ بين طرفي العقد واقصد هنا حكومة المملكة او ممثليها والاطراف الدولية. ويحضرني في هذا الاطار من الموضوع ما جرى من مناقشات حدثت منذ عام في ندوة عقدتها كلية الاقتصاد والادارة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة مع مجموعة من ممثلي الشركات الاجنبية الملتزمة بتنفيذ عقود مختلفة مع الدولة وبعض المؤسسات الخاصة. وفي هذه الندوة اوضح المجتمعون وجهات نظرهم المختلفة في المشاكل العديدة التي تبرز من خلال العقود المبرمة قبل واثناء وبعد تنفيذ هذه العقود. وقد وضع كل طرف ابعاد هذه المشاكل من خلال التجربة والممارسة ومدى تأثيرها على الاطراف موضوع العقد. ويمكنني هنا ان اوضح نوعية هذه المشاكل التي ابداها الجانبان في هذه الندوة لنرى بعد ذلك كيف يمكن علاجها او تجنبها.

(أ) الطرف الأجنبي في العقد:

تختلف بطبيعة الحال المشاكل التي يتعرض لها الطرف الاجنبي في العقد باختلاف حجم العقد ونوعيته ومدة التنفيذ المحددة للعقد .. ولكن المشاكل التي يشكو منها اطراف العقد الاجانب يمكن ان تتلخص فيما يلي:

١-انخفاض مستوى السلطة في الجانب السعودي المفاوض:

وهنا يرى الطرف الاجنبي المفاوض ان من العقبات التي تعترض مرحلة ما قبل توقيع العقد هو اما عدم الكفاءة الفعلية للجانب السعودي المفاوض احيانا او لتردد هذا الجانب اثناء المفاوضات بسبب اضطراره للعودة الى المسئولين في البت في اية نقطة من نقاط العقد او لحل اية مشكلة تعترض ابرام العقد. كذلك يرى الطرف الاجنبي ان نقص الكفاءة السعودية تبدو احيانا واضحة اثناء تنفيذ العقد وعدم المام هذا الجانب بدقائق العقد وتفاصيله وخاصة ما يتعلق منه بالجوانب الفنية لبعض المشاريع الانشائية، الامر الذي يجعل الطرف الاجنبي في حيرة من امره حول مدى تقبل الجانب السعودي للانجازات الجزئية للعقد.

٢-بطء الاجراءات في ابرام العقد وتنفيذه:

وكما يوضح الاجانب فان الاجراءات الادارية وخاصة في العقود المبرمة مع المؤسسات الحكومية تستلزم وقتا طويلا من حين تقديم العرض الى حين قبوله وتوقيع العقد. ثم تأتي بعد ذلك مراحل تنفيذ العقد الجزئية والكلية وما يترتب على ذلك من صعوبة الاتصال بين الطرف السعودي الحكومي او الطرف الاجنبي نظرا للروتين والاجراءات الادارية اذ قد يحتاج الطرف الاجنبي لتسليم الاجزاء المنتهية من العقد ويفاجأ بالروتين الاداري وما يحتويه من اجراءات التسليم والاستلام، فهناك نظام المناقصات، وهناك نظام المستودعات، والادخال والاخراج، ثم تأتي سلسلة طويلة من الاجراءات الادارية في الاستحقاقات المالية الواجبة الدفع .. وبطبيعة الحال فان المتعاقد الاجنبي يرى في هذه الاجراءات الروتينية وقتا ضائعا يعود عليه بالخسائر المادية نتيجة لتعطيل صرف مستحقاته في حينها.

٣-عدم تقبل الجانب السعودي لملاحظات الطرف الأجنبي:

يرى بعض اطراف العقد الاجانب ان اطراف العقد السعوديين لا يرحبون عادة ولا يتقبلون بعض الانتقادات البناءة للطرف الاجنبي ويعزون ذلك الى فقدان عنصر الثقة اما بسبب تجارب سابقة او بسبب عدم الظهور

بالمظهر غير المتكافئ مع الطرف الآخر. وتأتي هذه الانتقادات او الملاحظات التي يبديها الطرف الاجنبي عند تحديد الشروط والمواصفات المطلوبة لمشروع العقد .. فقد يجد الطرف الاجنبي ان هذه المواصفات او الشروط غير واقعية في ظل الظروف السائدة اما للمجتمع السعودي او بالنسبة للطرف الاجنبي ومن ثم يقترحون البدائل المناسبة التي قد يرفضها المفاوض السعودي ويصر على شروطه ومواصفاته حتى ولو كانت النتائج النهائية غير سليمة .. وقد يؤدي الامر احيانا الى ان تنسحب المؤسسات الدولية التي تحرص على سمعتها الخارجية من حلبة المنافسة في الحصول على العرض المقدم من الطرف الآخر. وقد يقبل البعض رغم عدم اقتناعه بهذه الشروط والمواصفات تحت الاغراءات المالية للعقد.

٤-عدم المتابعة الجدولية لمراحل العقد:

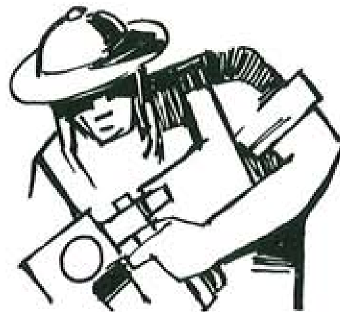
يشكو بعض اطراف العقد الاجانب من ان الطرف السعودي في العقد لا يقوم بمتابعة مراحل العقد الجدولية وفق نصوص العقد ويتركون تقدير المتابعة والتقويم للطرف الآخر نفسه خلال تنفيذ العقد الأمر الذي يسبب بعض النزاعات والاختلافات بعد تنفيذ مشروع العقد، ذلك ان الطرف السعودي قد يفاجأ ان الانجازات المحققة ليست متطابقة مع تصوراته لما هو مطلوب .. وتلاحظ هذه الشكوى عموما في عقود الدراسات الاستشارية حينما يطلب الطرف السعودي من شركة استشارية اجنبية وضع الدراسات الخاصة بمشروع معين، ونتيجة لعدم المتابعة والتقويم المرحلي لهذه الدراسة فان الطرف السعودي قد يفاجأ بان الدراسة غير مطابقة لتصوراته او ان تنفيذها تعترضه بعض الصعوبات .. ومن هنا تبدأ سلسلة من المشاكل بينه وبين الطرف الاجنبي تنتهي غالبا بفقدان الثقة في المؤسسة الاستشارية وتجنب التعاقد معها مرة اخرى، ووضع ما انجزته من دراسات في الأرفف.

٥-الاهتمام بالأشخاص لا بالكفاءات:

يلاحظ بعض الاجانب انه يغلب احيانا في اختيار الاطراف السعودية المفاوضة المركز الوظيفي او الاجتماعي للاشخاص لا المقدرة والكفاءة الشخصية لهم. كذلك الامر خلال مراحل تنفيذ العقد وانجازه اذ يتم اختيار الاطراف السعودية المناظرة وفق القيمة الاجتماعية او الوظيفية للشخص لا مقدرته وكفاءته .. وهذا في نظر اطراف العقد الاجانب يشكل بعض الصعوبات في تفهم وتقدير الاطراف السعودية للعمل المطلوب من الطرف الآخر.

٦-عدم المشاركة في تحمل الأضرار المادية من الجانب السعودي:

كثيرا ما تتعرض بعض المشروعات خلال مرحلة العقد لبعض الاضرار المادية التي لا يكون الطرف الاجنبي مسئولا عنها والتي يتسبب فيها طرف ثالث. وتغلب هذه الحالات في العقود الانشائية كبناء الطرق ورصفها او السدود او العمارات السكنية. حيث تتعرض مثل هذه المشاريع لبعض الاضرار المادية من اطراف اخرى اما لأسباب مقصودة او غير مقصودة، ويلزم بالتالي الطرف المنفذ باصلاحها لان نصوص العقد تقضي باستلام المشروع في حالة سليمة. وهذه الناحية مجال شكوى من الاطراف الاجنبية التي ترى انها غير مسئولة عن هذه الاضرار التي قد تضيف الى اعبائها المادية اكثر مما هو مقدر لها ولابد ان يتحمل الطرف الثاني جزءا من هذه الاعباء او ان يحمل الطرف المتسبب كافة الاعباء المالية المترتبة على ذلك.



٧-التدخل في الأعمال اليومية اثناء تنفيذ العقد:

يشكو بعض المتعاقدين الاجانب ان الطرف السعودي كثيرا ما يتدخل في اعمالهم اليومية وهو امر خارج نصوص العقد، وقد يؤدي هذا التدخل احيانا الى تغيير مسار المشروع عما هو محدد في العقد او ان يؤخر تاريخ التسلم. ويرى الطرف الاجنبي في هذا التدخل نوعا من عدم الثقة من الطرف السعودي الامر الذي يسبب له الاحراج والارتباك في التنفيذ.

٨-التكليف بأعمال خارج اطار العقد:

واخيرا تلاحظ بعض الاطراف الاجنبية ان الطرف السعودي قد يطلب منهم تنفيذ بعض الاعمال التي لم ترد في العقد بحجة ان هذه الاعمال هي بديهية ومتممة للمشروع في الوقت الذي يرى فيه الطرف الاجنبي ان هذه الاضافات حتى ولو كانت صغيرة او غير هامة تضيف اليه اعباء

مالية جديدة، او قد تؤخر اتمام المشروع في الوقت المحدد.

(ب) الطرف السعودي في العقد:

وكما ان للأطراف الاجنبية في العقود الموقعة في المملكة العربية السعودية الكثير من الشكاوي والمآخذ على الطرف السعودي فان لهذا الاخير ايضا بعض همومه ومآخذه على الاطراف الاجنبية، ولعلنا نذكر اهمها فيما يلي:

١-جهل الاوضاع الاجتماعية والحضارية والثقافية للمجتمع:

تمثل هذه الشكوى القاسم المشترك لكل الاطراف السعودية سواء في القطاع الحكومي او القطاع الخاص. وهذه الشكوى قد لا تكون مرتبطة فقط بالاطراف السعودية في العقد ولكنها شكوى عامة من المتعاقدين الاجانب يلاحظها كثير من افراد المجتمع الذين لا يشاركون في العقد. وتبدو هذه الظاهرة واضحة في العقود الطويلة الأجل وذات الطابع الاداري او الفني وهي العقود التي تطلب فيها الحكومة السعودية او بعض القطاعات السعودية الخاصة المساعدة الفنية والادارية من بعض المؤسسات الاجنبية عن طريق استيراد القوة البشرية لادارة مرفق معين لفترة معينة حتى يصبح هذا المرفق قادرا على تهيئة وتدريب الوطنيين لادارته فنيا وتنظيميا. وفحوى هذه الشكوى هو انه غالبا ما لا تكون لدى القوة البشرية المستقدمة اية فكرة عن الحياة الاجتماعية والواقع الحضاري والثقافي للمجتمع السعودي او قد تكون لديها بعض المعلومات ولكنها غير صحيحة او واقعية .. ونتيجة لذلك غالبا ما يحدث الصدام الفكري بين الطرف الاجنبي والاطراف السعودية سواء الموقعة على العقد او المتأثرة به. ذلك ان الطرف الاجنبي بواقعه الاجتماعي والحضاري المختلف عن الواقع السعودي قد يفرض تنظيما جديدا او لوائح عمل جديدة ربما تتعارض مع الأوضاع السائدة في المنظمات والاعمال القائمة بالمجتمع السعودي.

من ناحية اخرى فان جهل الاوضاع الاجتماعية والحضارية من قبل الاطراف الاجنبية للمجتمع السعودي لا يقف فقط عند حدود التصادم او التنافر الفكري في المجال الثقافي ولكن قد يتجاوزه الى التنافر الاجتماعي وهو ما نقصد به التنافر او التصادم في التقاليد والعادات الاجتماعية .. وتلاحظ هذه الظاهرة في عقود البناء والانشاء ذلك ان الطرف الاجنبي قد يضع تصميما لمشروع معين هو قمة في الروعة والاتقان بمنطق المجتمع الذي ينتمي اليه ولكن عند تقديم هذا التصميم او تنفيذه قد يصطدم بالواقع الاجتماعي للمجتمع السعودي المختلف عن المجتمع الذي ينتمي اليه الطرف الاجنبي.

٢-انخفاض مستوى النوعية البشرية لاطراف العقد الاجنبي:

تشكو بعض الهيئات الحكومية والخاصة من ان المؤسسات الاجنبية لا ترسل النوعيات الممتازة من قواها البشرية لتنفيذ المشروعات الموكلة اليها في المملكة العربية السعودية. وتبدو هذه الظاهرة واضحة في الدراسات الاستشارية التي تستعين فيها المؤسسات الحكومية ببيوت الخبرة الاجنبية، وفي المؤسسات والشركات التي يسند اليها ولفترة زمنية محدودة ادارة وتنظيم بعض المرافق العامة حتى يتم تدريب كادر مؤهل من المواطنين السعوديين.

٣-عدم الاخلاص في الاداء والتدريب:

نظرا للاغراءات الشديدة التي يحصل عليها المتعاقد الاجنبي وخاصة في المؤسسات الحكومية فانه ينسى المهمة التي جاء من اجلها وهي تدريب المواطنين السعوديين، ويصبح حرصه الاكبر هو البقاء لفترة اطول في وظيفته دون اعتبار للهدف الذي استقدم من اجله ولضمان هذا البقاء فانه كما يرى الاطراف السعوديون لا يقدم كل ما لديه من خبرة وتجارب وعلم لنظيره السعودي آملا في البقاء اطول فترة ممكنة.

ثالثا: بعض الحلول المقترحة لاحلال التفاهم والانسجام بين اطراف العقد في التعاقدات السعودية الدولية:

ان ما اثير من مشكلات التعاقدات السعودية الدولية من اطراف العقد هو امر واقع وملموس ولا يمكن احلال سياسة الوفاق والوئام من خلال اللمس بالعصا السحرية .. ان الامر يحتاج الى بحث جوانب الموضوع الاجتماعية والاقتصادية والادارية وايجاد نوع من التقارب الأولي في المبادئ والافكار قبل الخطوة الاولى في التعاقد.

ان المطلوب من الجانب السعودي التدقيق الكامل في نوعية المشروعات

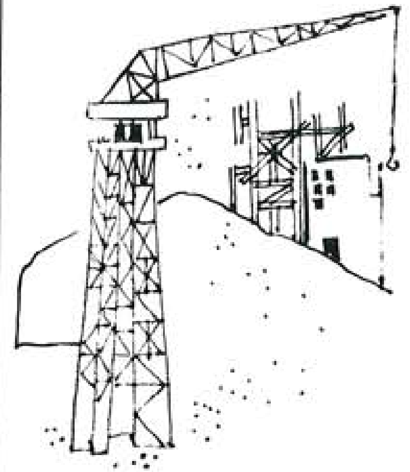
المطروحة وحجمها وتقدير الخبرات المطلوبة لها قبل اللجوء الى السوق العالمي للبحث عن المؤسسات المتخصصة .. ويمكن في هذا الاطار الاسترشاد بالمعايير التالية لتحوير ما اذا كانت هناك حاجة ماسة فعلا للتعاقد الدولي.

١- التأكد من ان هناك ميزة اقتصادية للتعاقد الخارجي بالمقارنة بالتعاقد الداخلي او قيام الحكومة ممثلة في اجهزتها بتنفيذ العمل المطلوب.

٢- التثبت من ان المتعاقد الاجنبي سيؤدي العمل المطلوب بفاعلية وكفاءة اكبر تعوض الضخامة في القيمة المالية للعقد.

٣- معرفة فيما اذا كانت امكانات المتعهدين او المقاولين في الداخل اضعف من ان تؤدي المهمات المطلوبة.

٤- التعرف من خلال الخبرات السابقة فيما اذا كانت هناك بعض المؤسسات الاجنبية ذات الكفاءة العالية والخبرات الممتازة والسمعة العالمية والتي تعمل داخل الدولة على استعداد لان تتولى تنفيذ المشروع او ادارته وفقا لاحدث النظم العالمية ولمتطلبات البيئة الحضارية والاجتماعية والاقتصادية.



غير ان التمسك بهذه المعايير كلية قد لا يحقق المرونة المطلوبة في التعاقد من قبل اطراف العقد وقد تؤخر لبعض الشيء تنفيذ العمل المطلوب .. وعليه ربما كان من الافضل ترتيب هذه المعايير والأخذ بالأهم منها وفقا لطبيعة ونوعية وحجم العمل المطلوب في كل تعاقد على حدة.

وفي حالة ظهور الحاجة الفعلية للتعاقد الدولي فان المشاكل المثارة سلفا قد تواجهنا في مراحل التفاوض على العقد والترسية والتنفيذ .. وعليه لابد لطرفي العقد من الاعتراف اولا والاقتناع بوجود هذه المشاكل ومن ثم العمل على تجنبها .. ويمكننا في هذا الاطار ان نعود مرة اخرى الى تحديد هذه المشاكل في ثلاثة جوانب ثم نوضح كيف يمكن خلق التفاهم والوئام في تنفيذ مشروع التعاقد بعد الأخذ في الاعتبار تلك الجوانب الشائكة في العقد.

أولا: الجوانب الاجتماعية:

ان شكوى الطرف السعودي من ان الطرف الاجنبي يأتي الى هذا المجتمع بأفكاره وقيمه الاجتماعية هي شكوى سليمة وواقعية وهو عيب بارز في جميع التعاقدات الدولية .. وتبدو هذه الشكوى واضحة في الدول النامية التي تتعاقد مع المؤسسات الامريكية او الاوربية. وذلك انه ما ان تطأ قدم هؤلاء المتعاقدين ارض الدولة التي سيعيشون فيها لفترة من الزمن حتى يبدأون في التكتل والتجمع السكني المستقل بعيدا عن عناصر المجتمع .. وبالتالي فانهم يفقدون الصورة الحقيقية لعادات وتقاليد المجتمع ومن ثم يكون العمل الناتج هو مخاض بيئة غريبة عن البيئة المحلية اضافة الى ذلك فان التعامل بين الاطراف الاجانب والمحليين قد يتسم بالتصادم والتنافر وتبدأ من ثم الشكوى من ان الاجنبي جاء للاستغلال وان الطرف المحلي لا يحب العمل ويتميز بالكسل، وقد تكون كلا الشكويين غير صحيحة.

ولقد فطنت بعض المؤسسات العالمية الكبرى ذات النشاطات الدولية الى اهمية الجوانب الاجتماعية والحضارية في التعاقدات الدولية وفرضت على موظفيها ووكالاتها الخارجية بعض الجوانب التعليمية والتدريبية للواقع الاجتماعي والحضاري للدول التي سوف ينقلون اليها كخبراء او كمنفذين لمشروعات قبل سفر هؤلاء الى هذه المجتمعات الاجنبية.

بل لقد تطور الامر الى اكثر من مجرد التعليم او التدريب المؤقت في داخل هذه المؤسسات الى وجود جامعات متخصصة في الادارة الدولية مثل «الجامعة الامريكية للادارة الدولية» بالولايات المتحدة الامريكية والتي تقدم شهادة الماجستير في جميع مجالات الادارة الدولية من تسويق وتمويل وتصنيع اضافة الى دراسة اجبارية لواحدة او اكثر من اللغات العالمية. وتهدف هذه الجامعة الى تعريف الطالب الامريكي المؤهل للعمل بالخارج الى طبيعة المجتمعات الاجنبية والقواعد الحضارية والاجتماعية لهذه المجتمعات حتى يمكن ان تكون اكثر مرونة في استخدام الاساليب والنظم الادارية في مجتمع يختلف بالطبع عن المجتمع الامريكي حضارة وثقافة ولغة.

ولعل هذا يستتبع بالطبع ان نوجه كلامنا الى المؤسسات الاجنبية الراغبة او

الطامحة في التعاقد في المملكة العربية السعودية الى ضرورة التوجيه المسبق لموظفيها وعمالها الى واقع المجتمع السعودي حضارة وثقافة ولغة قبل التعاقد الفعلي حتى يمكن احلال الوئام والانسجام مع الاطراف السعودية بدلا من الصدام والتنافر او تقديم عمل مشوه قد تكون نتيجته تجنب التعاقد مع هذه المؤسسة مرة اخرى او حتى طردها من سوق العمل السعودي.

ثانيا: الجوانب الاقتصادية:

ان للعقد جوانب اقتصادية تتمثل في التزام المستفيد من المشروع في دفع تكاليف العقد وفق النصوص المحددة وفي مقابل التعهدات، وكذلك في الزام الطرف المنفذ في اتمام العمل المطلوب منه وفقا للمواصفات المحددة في الاماكن والاوقات المحددة ايضا .. وبطبيعة الحال فان الاخلال بالتزام احد الطرفين يكلف الآخر اعباء اقتصادية كان يمكن تجنبها.

اذا ما هو مطلوب من الطرف المنفذ للمشروع او للعقد هو ان يلتزم بتنفيذ مواصفات العقد دون تمحك او تباطؤ او تغيير مستتر في المواصفات، وان يبنى تنفيذ العقد على اسس من المعلومات الصحيحة والكاملة اذا كان تعاقده في مجال تقديم النصح والاستشارة اما اللجوء الى التنف في المعلومات او الاعتماد على معلومات تاريخية متقادمة ففي هذا اضرار بالطرف الآخر لا يقابله الا الاخلال بالجوانب المالية من قبل الطرف المستفيد.

واذا كان على الطرف المنفذ مسئولية التعهد بما قرره العقد فان على الطرف المستفيد ان لا يماطل او يساوم في دفع الالتزامات المالية بحجة او بأخرى بل لابد من التمشي وفق نصوص العقد، واذا ما كان هناك اختلاف فالعودة اذا الى القضاء او التحكيم او وفق ما ينص عليه العقد في حالة المنازعات.

ثالثا: الجوانب الادارية:

لعل ابرز الجوانب الادارية في التعاقدات الدولية هي تلك التي تظهر اثناء التفاوض على العقد وفي خلال مرحلة المتابعة.

فكما سبق ان ذكرنا فان المتعاقد الاجنبي يشكو من عدم توفر السلطة الكافية للمفاوضين السعوديين احيانا، وكذلك من الروتين الاداري في الموافقة على العقد او دفع الالتزامات، او عدم كفاءة المفاوض السعودي في مجال العقد او خلال مراحل المتابعة والتقويم.

ونحن وان كنا نعترف بان ذلك قد يكون صحيحا احيانا الا ان ذلك لا يمكن تعميمه في جميع الاحوال، وعلى اي حال فاننا ننصح الطرف السعودي في حالة التعاقد مع المؤسسات الدولية بما يلي:

١-اعطاء التفويض والصلاحيات الكاملة في مرحلة التفاوض على العقد للممثلين السعوديين للوصول الى الصيغة الاجمالية للعقد بجميع نصوصه وترك مهمة التوقيع على العقد للجهات المسئولة خلال مدة محددة بدلا من الرجوع الى هذه الجهة في كل مرة تثار فيها مشكلة جانبية في تحديد صيغة بعض نصوص العقد او الالتزامات المترتبة عليه.

٢-الدقة في اختيار المفاوضين السعوديين وفقا لطبيعة كل تعاقد على حدة فاذا كانت طبيعة التعاقد انشائية وجب ان يكون الى جانب القانوني السعودي مهندس سعودي في نفس المجال الانشائي ويكون لهذين المفاوضين خبراء مساعدون لرئيس لجنة التفاوض الذي لابد وان يتم اختياره ايضا وفقا للكفاءة والمقدرة الشخصية لا على اساس مركزه الاداري او الشخصي او الاجتماعي.

٣-لابد من ان تكون هناك لجنة متابعة لمراحل تنفيذ العقد مهمتها مساعدة الطرف الاجنبي في تقديم المعلومات او توجيهه للجهات التي يمكن ان يحصل على المعلومات منها، وتقويض المصاعب التي يمكن ان تحدث خلال مرحلة التنفيذ، وكذلك تقويم التقدم في مراحل التنفيذ على فترات دورية، فاذا كانت مدة العقد مثلا سنتين كان من الافضل ان يتم التقويم الدوري كل ستة اشهر والقاعدة هي انه كلما طالت فترة التنفيذ كلما كان من الافضل ان تتباعد فترات التقويم الدورية وكلما قصرت فترة التنفيذ كلما ضاقت فترات التقويم بين تقويم وآخر .. والهدف بطبيعة الحال من التقويم الدوري المنتظم هو التأكد من ان التنفيذ يسير وفقا لنصوص العقد ومواصفات العمل المطلوب، وان المعلومات المجمعة سليمة وحديثة وان التنفيذ النهائي سيكون وفقا للمواصفات المطلوبة، او ان الدراسات الاستشارية النهائية ستكون قابلة للتنفيذ وفق ظروف ومتطلبات البيئة السعودية.

تلك في الواقع اهم الجوانب

الرئيسية التي يمكن ان تسبب بعض المشاكل في التعاقدات الدولية السعودية وخلق التفاهم حول هذه الجوانب كفيل بان يطوع بقية المشاكل الاخرى لصالح الطرفين.

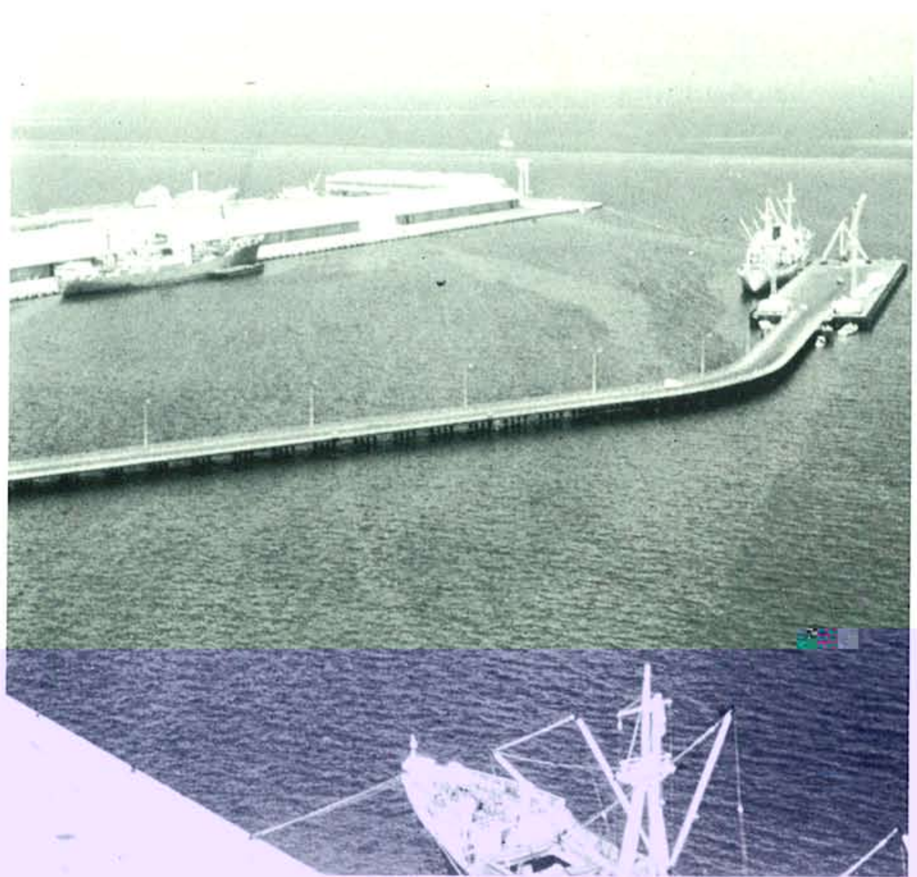
ونحن نرى انه لا يكفي للمتعاقد الاجنبي ان يعترف بينه وبين نفسه باختلاف المحيط السعودي بل لابد وان يتكيف معه خلال تنفيذ التزاماته، على ان هذا التكيف لابد وان يراعي الاصول والقواعد القانونية في تنفيذ متطلبات العقد، ويجب ان يدرك الطرف الدولي في العقد ان من مصلحته التكيف مع الواقع السعودي اذا اراد الاستمرار في العمل والحصول على المزيد من العقود.

كما انه يجب على الطرف السعودي في العقد ان يدرك ان الهدف من استقدام الاجنبي هو الحصول على الخبرة والاستشارة التي لا تتوفر في بلده وانه من هذا المنطلق لابد وان يتعاون الى اقصى الحدود مع الطرف الآخر حتى يمكن تحقيق الانجاز المطلوب في ظروف من الثقة والتعاون والشعور بالمسئولية.

ويجب ان لا ننسى في هذا المقام ان مبدأ المكافأة والعقاب هو مبدأ سليم وجائز التطبيق في التعاقدات السعودية الدولية. ذلك ان على الطرف السعودي ان يكافيء المتعاقد الاجنبي الكفوء وان يعبر عن هذه المكافأة اما بتوقيع المزيد من العقود او بشهادة دولية بحسن الالتزام والاداء. ويمكن ان يكون اللوم صورة من صور العقاب على المؤسسات الاجنبية التي لا تؤدي العمل المطلوب منها بالصورة المطلوبة وفي الوقت المطلوب، كما ان عدم التعاقد معها مرة اخرى او حض الاجهزة الحكومية الاخرى على عدم التعاقد معها في المستقبل يعتبر صورة اضمن وافضل من صور الردع والعقاب.



مطار الظهران الدولي



ميناء جدة الجديد

«الإيهام بأن المستحيل أصبح ممكنًا وأن الممكن أصبح مستحيلًا، هو فيصل التفرقة بين الفن واللافن، أو بين الأدب واللاأدب»

العربية الاسلامية بالنسبة للكاتب العربي او الاديب الاسلامي، ولكنها تتجاوز هذا كله الى تحديد العلاقة بين المادة التاريخية وبين القالب الادبي من ناحية، وتحديد دور الكاتب او الاديب في تفسير الواقعة التاريخية، دون ان يكون ذلك على حساب التكنيك الفني او الاطار الادبي، وذلك من ناحية اخرى، ومن ناحية ثالثة واخيرة الحفاظ على قدرة الفن على الايهام رغم الحقائق التاريخية، لان هذاالايهام .. الايهام بأن ما نراه امامنا من احداث ادبية قد وقع فعلا او يمكن ان يقع، لان هذا الايهام بان المستحيل اصبح ممكنا، وان الممكن اصبح مستحيلا، هو فيصل التفرقة بين الفن واللا فن او بين الادب واللا ادب.



الممكن .. وغير الممكن

كان لقاؤنا الاول مع **الدكتور محمد علي مختار، عميد كلية الآداب بجامعة ام درمان الاسلامية بالسودان، وكانت اجابته:**

«لا اعتقد ان القصة او الرواية تستطيع تسجيل التاريخ كما هو بمعناه العلمي، لان التاريخ العلمي يحتاج الى دراسة علمية تقوم على اسس منضبطة وقواعد ثابتة.

لكن من الممكن كتابة قصة تستعرض حادثا تاريخيا بعينه، وذلك بعد الرجوع الى المصادر التي يفصح فيها الكاتب لقارئه عن جوانب الخيال. وانا اذكر من القدماء من صاغوا التاريخ في قصائد وذلك في العصور الوسطى في مصر، ولا تزال مخطوطة في بعض مكتبات بريطانيا، وتحكي حوادث العصر العباسي الثاني بكل ما كان فيه من انقسامات ونزاعات. هذا عن القصة، اما عن المسرحية، فيصعب بالنسبة لها ان تخدم التاريخ، لان الشاعر المسرحي او الكاتب الدرامي يعبر عن رأيه الخاص في تحليل الشخصيات واستعراض الاحداث، فضلا عن طغيان النزعة الموسيقية على العمل المسرحي».



الفرق بين المؤرخ .. والاديب

اما لقاؤنا الثاني فكان مع الدكتور **لطفي عبد الوهاب، وكيل كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية،** وفي رايه ان الرواية والقصة والمسرحية لا يمكن ان تصنع تاريخا، لان التاريخ تحقيق، ولان عنصر الخيال لا بد ان يدخل على هذه الاشكال الادبية مما يجعلها مجافية للواقع، واستطرد الدكتور لطفي عبد الوهاب قائلا، ان التاريخ يستعرض وقائع محققة تحقيقا علميا في حين ان هذه الاشكال الادبية تطوع الواقعية التاريخية للخيال الفني حتى يستطيع الكاتب او الاديب ان يبلغ هدفا بعينه او يوصل فكرة بالذات، ان المؤرخ يريد ان يصل الى التحقيق العلمي لموقف موجود، اما الاديب فيريد ان يثبت موقفا خاصا، وهو من اجل تحقيق هذه

الارادة، يستخدم كل الطرائق التي من شأنها ابراز هذا الموقف الذاتي امام عيني القاريء.



القصة التاريخية

والاجابة الثالثة على السؤال الذي طرحناه للبحث، كانت للدكتور **اكبر محمد، الباحث الباكستاني، الذي يعمل استاذا مساعدا لمادة التاريخ الاسلامي «بجامعة بينجهتون» بالولايات المتحدة الامريكية**، يقول الدكتور اكبر محمد، «انني اتصور امكانية ان يكتب المؤرخ قصة تاريخية، والامثلة على ذلك كثيرة في اوربا ومصر. ومن ذلك مثلا **جرجي زيدان** في رواياته **وطه حسين** في بعض كتبه مثل **«الوعد الحق»**. وقد صدرت في امريكا رواية **«المانيا الهتلرية»** تحكي تاريخ المانيا ايام هتلر، وهناك الافلام التاريخية كذلك. وهذا معناه انه من الممكن كتابة قصة وفيها تخيل جيد يوضح فكرة صادقة لاحداث تاريخية صادقة.

ولكي يكتب المؤرخ قصة تاريخية، لا بد ان يكون محصورا في الواقعة ذاتها، وذلك بالرجوع الى المصادر، واستقاء الاحداث الصحيحة، دون ان يؤثر ذلك على الخيال الفني.

ولا يقتصر عمل المؤرخ على الرجوع الى المصادر التاريخية، بل لا بد له من الرجوع الى كتب الادب لمعرفة بعض تفصيلات الحادثة التاريخية، من ذلك مثلا كتاب الاغاني **لابي الفرج الاصفهاني**، وكذلك كتب **ابن قتيبة** وكتب **الجاحظ**.

واخيرا يعلق الدكتور اكبر محمد على هذا كله بقوله انه من الاهمية بمكان ان يكون المؤرخ ملما بالقضية التي يريد مناقشتها، وان يكون هذا الالمام من كافة الابعاد، ومن مختلف الزوايا.



اختيار الاسلوب

والدكتور ألفريد بيستون استاذ مادة تاريخ العرب قبل الاسلام، بجامعة اوكسفورد بانجلترا، له رأي في هذه القضية، ومؤدى رأيه ان اسلوب كتابة التاريخ اسلوب فريد جدا ويسمح بالحرية في اختيار الشكل الادبي الذي يستعرض الاديب من خلاله مراحل الحادثة التاريخية وتفاصيلها، وعلى هذا فان الشكل الادبي كائنا ما كان شعرا او قصة او رواية او مسرحية، يمكن ان يكون طريقا لايصال الحقائق التاريخية الى اذهان الجمهور. على ان ذلك فيه ما فيه من ابتعاد نسبي عن الاسلوب القديم، الذي كان يعتمد على الرواية المجردة للحدث التاريخي.



الاستحالة المطلقة

ومن اليمن، يقول **القاضي محمد بن علي الاكوع**، شارحا رأيه في هذه القضية «كان القدامى يعتمدون اعتمادا كليا على الرواية بمعنى «تناقل الخبر»، وهذا هو الطريق الاسهل، اما الآن، فلم يعد للرواية مكان، وذلك لعدة اسباب ... منها اختلاف الناس، واختلاف المؤرخين، ومنها كذلك دخول الاعتبارات الاخرى التي تخرج بكتابة التاريخ عن الهدف الاساسي، وهو الهدف المتمثل في نقل الحقائق الامينة».

ويستطرد القاضي محمد بن علي الاكوع في شرح وجهة نظره، فيقول:

«لئن كانت هناك محاولات في العصر الحاضر لكتابة التاريخ بالقصة والرواية والمسرحية، فان هذه المحاولات انما تقصر عن الوفاء بالحقائق التاريخية التي لا تحتمل ادخال اي نوع من انواع الخيال، ولان الخيال نوع من الكذب، فلا يمكن ان يكتب التاريخ على اي شكل من الاشكال الادبية السابقة».



الاستجابة لرغبات العصر

ومن المغرب، نلتقي **بالباحث اللغوي الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله**، وبسؤاله عن وجهة نظره في القضية المطروحة

للبحث، قال، ان الاسلوب القصصي الروائي اذا افرغت فيه حقائق تاريخية بأسلوب سهل مبسط، فانه يكون في متناول الجماهير، التي اصبحت تعشق القصة، وتقبل على قراءتها، اكثر مما تقبل على قراءة الاحداث مجردة.

وبسؤاله عن السبب في ذلك قال:

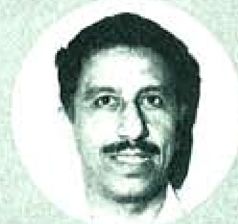
«ان في هذه القصص تقريب للمفاهيم، واستجابة لرغبات العصر، وابتكار في فنون استعراض الحقائق التاريخية، وانا شخصيا قد اصدرت قصصا تاريخية عبرت فيها عن حقائق تاريخية، دون ان احاول ان احيد عن هذه الحقائق، الا في خلق جو المرح الذي لا يبعد عن جو ذلك العصر، بكل ما فيه من جواذب وطباع، وعادات ومغربات.

ويستطرد في شرح وجهة نظره، فيقول، ان كاتب القصة اذا لم يكن مؤرخا حقيقيا ملما بجوانب ذلك العصر، من نوعية الحياة، ونوعية الفكر، ونوعية المجتمع، والاتجاهات الفكرية، والعلائق بين الشعوب المتعايشة في مكان واحد، اذا لم يكن ملما بكل ذلك، فلا يمكن ان يحقق ذلك القرب المتطلب.

ثم يقول الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله:

«انني اؤيد كتابة التاريخ بهذه الاشكال، ولكن بشرط ان تجاري الحقائق التاريخية باسلوب يتمشى مع روح العصر، فلا يسمح للكاتب بالخروج عن المناخ التاريخي ولا العلمي ولا الاجتماعي ولا الاقتصادي، للمجتمع الذي تدور فيه احداث القصة.

ويعود الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله، فيختم حديثه بالتأكيد على الكاتب في ان يرتدي ثوب المؤرخ، ذلك الانسان الذي يحافظ على امانة نقل الحدث التاريخي، كما يرتدي فوق هذا الثوب معطف العالم النفساني والعالم الاجتماعي والعالم الاقتصادي كل ذلك لكي يتوصل الى اعطاء صورة واضحة لابعاد الحدث الذي يناقشه من خلال كتابته، واعطاء فكرة اوضح عن ذلك العصر الذي يدور فيه هذا الحدث.



التاريخ .. بين المنهجية .. والفنية

وفي ختام هذا الاستطلاع الفكري والادبي حول قضية الفن القصصي والتاريخ العلمي، وعلاقة كل منهما بالآخر، يجيء رأي **الدكتور مصطفى عبد القادر النجار، مدير مركز دراسات الخليج، بجامعة البصرة بالعراق**، يقول الدكتور النجار، شارحا رأيه «ان هناك اساليب مختلفة يمكن استعمالها في نقل الحقائق التاريخية، اما على هيئة شعر، او على هيئة قصة او رواية واما على هيئة العمل المسرحي، وهذه الوسائل جميعا يمكنها ان تحقق اغراضا ذات فائدة للمجتمع، وهي في الاحيان، افضل من منهج البحث العلمي الاكاديمي المحدد، الذي لا يناسب طبيعة البسطاء من جمهور القراء.

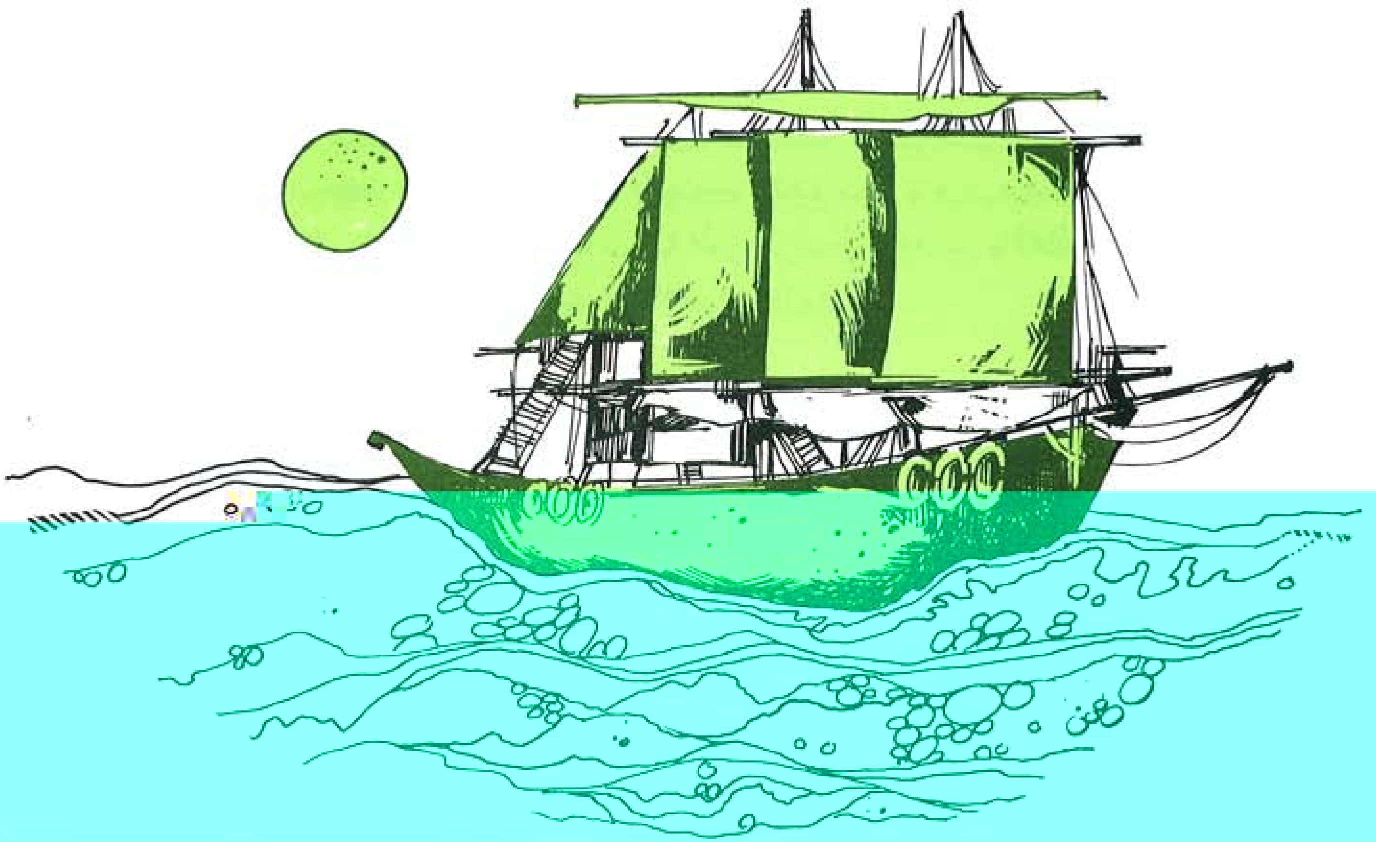
وتفسير ذلك في رأي الدكتور النجار، ان البحث العلمي له منهج بعينه، وهناك اشخاص بأعينهم يقدرون على فهم ذلك المنهج، اما الرواية والقصة والمسرحية، فهي لجميع الناس، مهما تباينت ثقافاتهم، وتفارقت مستوياتهم الاجتماعية.

ويدعو الدكتور النجار عند استخدام هذه الاشكال الادبية في اعادة صياغة التاريخ ان يكون الاعتماد الكلي على الحقائق الواقعة دون ادخال عنصر الخيال، ثم صياغتها في قالب شعري او روائي او مسرحي، كما فعل الكثير من كتاب الرواية التاريخية. وان كان بعضهم قد خرج عن المسار التاريخي الامين، فأحدث تشويهات بالغة في حقائق التاريخ، تجعلني اهيب بالكتاب والروائيين المسلمين ان يستعملوا هذه الطريقة التي اشرت اليها، من اجل تصحيح المفاهيم الخاطئة التي وقع فيها كتاب الروايات الاسلامية.

تعقيب

هذه هي طائفة من الآراء التي نوقشت في ندوة هذا الشهر، والقضية التي طرحناها للبحث، والتي تطرح نفسها بالفعل على مائدة العصر.

ومهما اختلفت الآراء وتعددت وجهات النظر، فذلك لان القضية تحتمل هذا كله، ولأننا من ناحية اخرى نعتقد في ان اثراء الفكر النظري، ونجاحاته في مجال الفن الادبي .. شعرا كان او نثرا لا يكون الا بتعدد الآراء وتباين الرؤى. وعلى ان يجد الاديب العربي الاسلامي فضلا عن القارئ في هذه القضية الادبية .. طرحا ومناقشة .. ما يفتح امامه آفاقا ارحب وابعد مدى.



رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية

بقلم : محمد حسين زيدان

جزيرة العرب العريقة في التاريخ أم الانسان الحضاري هي المعلوم في كل ثبت وبكل الاثبات. وهي المجهول فيا بعد. كانت في علم الانسان وضعت طابعها على الدنيا كلها. بحضارة قوم عاد وثمود والانباط وامبراطورية ذي القرنين المصعب بن الحارث ثم جاءت الرسالة المحمدية بالقرآن الكريم. وبالفتح المبين. والفتح العظيم. تهدي الانسان الى الخير .. تشرع لهذا الانسان شريعة القرآن صالحة لكل زمان ومكان. لا تضيق باصلاح وترفض كل فساد حتى إذا عرفت بالرسالة والخلافة وحتى إذا أعطت من بينها الأباطرة في أمبراطورية أمية في دمشق وامبراطورية العباسيين في بغداد والدولة العظيمة في الأندلس .. أشرقت بكل ذلك على أوروبا شمس المعرفة تأخذها أوروبا من الأستاذ والكتاب بينما الأصل الأصيل الممد من جزيرة العرب قد ساهم في ان تكون هذه الجزيرة مجهولة أبناؤها أمويون .. انصرفوا عنها .. وعباسيون اسرفوا عليها. فاذا أوروبا تأخذ علمها بينما هي تجهله كأنها لم تكن المصدر الأول الذي أمدها بالمعرفة.

لكن رجالا من الغرب أرادوا أن يعرفوا مصادر المعرفة في هذه الجزيرة .. حجازها ونجدها ويمنها .. فأرسلوا أنفسهم باحثين عن معرفة لهم جديدة عن تعريف لهذه الأرض كانوا به حريصين على ان يعرفوا وكانوا به أكثر حرصاً على أن نعرف .. فقد عشنا جهلاً لهذه الجزيرة حتى ان الذين كتبوا الأمهات عن الأماكن قد أخذنا منهم العلم بالمكان ولم نأخذ منهم العلم بالامكان. ولان قدسنا المكانة بالمعرفة للحرم .. القبلة والمسجد .. في دار الهجرة. فانا قد جهلنا ان

كانت هذه الرحلات ذات وجهين : رحلة للعلم هي التي بقيت ننتفع منها ، ورحلة للسياسة انتفعوا بها زمناً طويلاً ، ثم زال ما أعطوا للسياسة ، وبقي ما منحوه للعلم .

نذوق ما مكن لهذه الارض من الاصالة تبقى راسخة رغم كوارث الغزو لها وكوارث الطبيعة عليها، وشظف الصحراء فيها، والرجعة الى البداوة .. وكل هذا اعطاني فكرة عن موضوع كمحاضرة اشرح فيها جهد المستشرقين .. أرفض هذه التسمية فاسميهم المستعربين، وقد نتحايل على القول والرفض فنسميهم الرحالة.

أضع بعض التوضيح عنهم في ملامح كدليل .. لعلي أجد من هو أكثر علماً مني أو تعمقاً .. ان يعطي هذا الامر حقه .. ولم يفتني ان هؤلاء الرحالة، مع قصدهم الى المعرفة، كانوا رسلا للسياسة، يعطون الامبراطوريات المستعمرة كل التفاصيل، فالرحلات كانت ذات وجهين: رحلة للعلم هي التي بقيت ننتفع منها، ورحلة للسياسة انتفعوا بها زمناً طويلا .. وكان من تمام المعرفة لنا عرفاننا لهذا الغرض، ثم زال ما أعطوا للسياسة وبقي ما منحوه للعلم.

لا نجرحهم بما أخذوه منا للسياسة، ومن حق العلم ان نحترم النتيجة العلمية، فقد ذهب مفعول السياسة وبقي فعل العلم.

كانت شبه الجزيرة العربية مكاناً مجهولا بالنسبة للأوروبيين حتى مطلع القرن التاسع عشر، تحيط بها الأساطير وافكار العصور الوسطى .. ولم تكن هناك معلومات جغرافية الا ما هو مستمد من كتب الجغرافيين والرحالة القدامى، وكان قد مضى عليهم اربعة قرون من الزمان.

ولذلك فانه لما نشطت حركة الاكتشافات الجغرافية في اوروبا منذ القرن السادس عشر، أخذ عدد من الرحالة الأوروبيين يتطلع الى ارتياد شبه الجزيرة لاكتشافها والكتابة عنها، ففي سنة ١٧٥٩ فكر جماعة من الاوروبيين في ارسال بعثة علمية لاكتشاف شبه الجزيرة، ويبدو ان صاحب الفكرة كان هو ميكايليس جوتنجن الذي عرض الفكرة على فريدريك الخامس ملك الدانيمرك. فجهزت سفينة حربية عليها خمسة اشخاص كل واحد منهم متخصص في فرع علمي معين.

ورحلت السفينة الى اتجاه الشرق في ٧ يناير ١٧٦١ وكانت تحمل الأشخاص الآتية اسماؤهم :

- بيتر فورسكال – طبيب سويدي وله معرفة متخصصة بالنبات.
- كريستيان شارلس كرامر – جراح وعالم بالحيوان.
- فريدريك كريستيان فون هاقن – عالم باللغات ومستشرق.
- ولیم بورنفيد – فنان.
- كارستن نيبوهر – مهندس ورياضي.

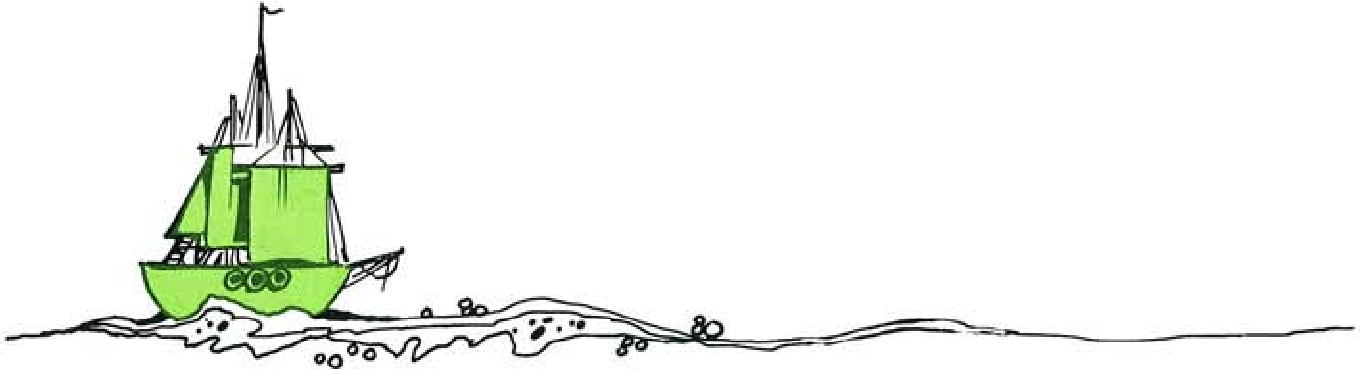
ولقد شاءت الاقدار الا يعود من هؤلاء الرجال الذين نزلوا الى البر العربي في اليوم الأول من اكتوبر سنة ١٧٦٢ إلا رجل واحد هو نيبوهر رغم انه لم تكن هناك اية فاجعة. وقد كان رأي نيبوهر الذي بقي على قيد الحياة ان الاجهاد الذي سبب الموت لرفاقه كان ناتجاً عن تحملهم المشاق في زيارة البلاد دون ان يحسبوا حساب الحرارة المحرقة.

وقد وصف لنا نيبوهر في كتابه الذي اخرجه تحت عنوان «رحلات في بلاد العرب» بعض مراحل رحلتهم وكيف استقبلهم الامام في صنعاء باللطف ثم طريق عودتهم الى المخا وسفرهم الى الهند. وقد نشرت قصة هذه الرحلات باللغة الالمانية في سنة ١٧٧٢ ونشرت باللغة الفرنسية في السنة التالية أتبعت بطبعة ثانية سنة ١٧٧٩ ثم صدرت منها طبعة نهائية باللغة الألمانية سنة ١٨٣٧.

وعلى الرغم من انه كان من المقرر ان تمكث البعثة ثلاث سنوات في شبه الجزيرة الا ان نيبوهر لم يمكث سوى اثني عشر شهراً ولم يزر الا جزءاً صغيراً منها.

ولكن هذه الرحلة التي لم يشعر بها الناس في حينها زادت في المعلومات التي لدى الأوروبيين عن شبه الجزيرة زيادة عظيمة ان لم يكن في الكم ففي النوع.

فلقد كان هؤلاء الرحالة يلاحظون كل شيء يمرون عليه ويدونون ملاحظاتهم، وقد جمعوا معلومات شتى تنتقل بين نقل بعض النقوش الى وصف الجبال وتجهيزها الى الرياح الصحراوية الى اسراب الجراد وعندما قرأ الاوروبيون كتاب نيبوهر اطلعوا منه على الكثير من شئون العرب: انسابهم وطبقاتهم



والخلافات المذهبية القائمة بين الشيعة والسنة وهم لم يكونوا في ذلك الوقت يعرفون الكثير عنها وعرفوا كذلك بعض العادات مثل عادة الثأر للدم التي كانت السبب في كثير من النزاع بين العشائر وعادات المأكل والمسكن والاستقبال والتحية والزواج. كما عرفوا الكثير عن منتجات شبه الجزيرة من المعادن والحجارة والاشجار والنباتات والزراعة وغير ذلك.

وكان أهم من ذلك كله الخرائط التي رسمها للمناطق التي زارها.

ولاشك ان نيبوهر قد عرف اليمن أكثر من غيرها، فقد أظهرها بمناطقها المزروعة والفقيرة ودساكرها واسواقها وقلاعها وقراها الزراعية.

اما عن شبه الجزيرة فقد اعطى نيبوهر فكرة واضحة من المعلومات التي جمعها عن حضرموت وعشائر البدو المستقلة فيها ومدنها وبخورها وتجارتها. كما زار مسقط في عمان وتحدث عن الخليج العربي وعن المشيخات الصغيرة المنتشرة على ساحل الخليج وعن صيد اللؤلؤ في سواحله.

وتحدث كذلك عن الاحساء وعن الساحل الفارسي للخليج الى غير ذلك من المعلومات التي اتيحت معرفتها لأول مرة عن طريق كتابه، ثم عاد مرة أخرى للحديث عن نجد فتحدث عن الدرعية وعن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وأصبح كتاب نيبوهر هو المثل الذي اقتدت به الجمعية العلمية الفرنسية عندما عهد اليها نابليون وهو في طريقه الى مصر بتشكيل فرقة من العلماء لتصحبه في حملته.

ولقد كانت نتائج رحلة نيبوهر العلمية .. ان كل المجامع العلمية في اوروبا اخذت تشكل برامج اسئلتها بالنسبة للاكتشافات طبقاً لمجموعة المعلومات التي اوردها في كتابه، وبذلك يعتبر رائداً للتفكير العلمي عند الأوروبيين عندما ارادوا اكتشاف شبه الجزيرة، وعلى الرغم مما حققته رحلته فإن الاجزاء الاخرى من شبه الجزيرة العربية كانت لا تزال مجهولة وكان لابد من ارتيادها للحصول على معلومات صحيحة عنها.

ولقد كانت رحلة الحج ودخول الأماكن المقدسة من اكثر الامور استثارة لرغبة الاوروبيين في معرفتها ولكن دخول مكة والمدينة كان محظوراً على غير المسلمين ورغم ان رحالة آخر هو جيمس بروس قام برحلته البحرية الى الحبشة ووصف بعض سواحل الحجاز وكذلك قام ابليس اروين في سنة ١٧٧٧ باكتشاف طريق البحر الأحمر لحساب شركة الهند الشرقية الا ان المعلومات التي اوردها كانت قليلة وقد جمعها من الاستقصاء وليس عن طريق المشاهدة.

ولكنه في سنة ١٨٠٧ وصل الى مكة شخص يسمي نفسه «علي بك العباس» ومعه مجموعة كبيرة من الخدم وآلات علمية كثيرة وكان يحيط نفسه بمظاهر السيادة ويبسط الخدم امامه سجادة الصلاة ولم يدر بخلد احد في ذلك الوقت ان هذا الحاج المسلم الشريف النسب سليل العباسيين الذي يتقن عدة لغات اوروبية منها الفرنسية والايطالية والاسبانية هو نفسه الرحالة الأسباني دمينجو باديا ليبليش الذي كان قد رحل من قادس في اسبانيا سنة ١٨٠٣ بعد ان استشار كثيراً من الشخصيات البارزة في باريس ولندن في اتجاه مراكش ومنها الى الاسكندرية.

واعتقد بعض الباحثين فيما بعد ان علي بك كان جاسوساً للامبراطور نابليون الثالث ولم يكن ذلك بالأمر المستبعد اذ ان نابليون الثالث كان يود معرفة شيئ عن موقف مسلمي الشرق الأدنى من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لانه وان خرج نابليون الأول من مصر فقد عاد نفوذ نابليون الثالث الى الشرق بواسطة قناة السويس ولكن المهم ان علي بك العباس هذا كان يحمل اجهزة علمية دقيقة جداً منها مقياس للرطوبة الجوية وآلات اخرى فلكية تمكنه من الحصول على معلومات علمية دقيقة عن مستوى البحر عند جدة وينبع، وتمكنه من تحديد مواقع المدن بالنسبة لخط الاستواء، كما تمكنه من الوصف الجيولوجي للجبال ووصف النباتات والحيوانات والحشرات (لم يحدد مدار السرطان في ابحاثه وكان المشهور انه يمر بالمدينة).

رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية

ولقد قام علي بك العباس بنشر قصة رحلته للمرة الأولى في باريس سنة ١٨١٤ وفي لندن سنة ١٨١٦. وغادر دمشق سنة ١٨١٨ ليعود الى مكة ثانية، ولكن المنية عاجلته وهو في الطريق.

ولقد سار تساؤل شديد حول حقيقة اعتناقه للاسلام، فقد كان يؤدي الفرائض خلال رحلته، ويظهر التعظيم لكل الشعائر الاسلامية الا ان بعض العبارات التي اوردها في كتابه أثارت الشك حول صحة عقيدته.

ومهما يكن من امر اسلامه فان الفضل يرجع اليه في انه قدم للغرب اول تقرير علمي دقيق مفصل عن الحج الى مكة الذي رآه وعاش فيه كأحد المسلمين وكان وصفه للمسجد الحرام مطابقاً تماماً للواقع فقد وصف ابوابه ومصابيحه كما وصف بئر زمزم والسعي بين الصفا والمروة.

وكانت تلكم الاوصاف اول ما عرفه الاوروبيون بصورة مفصلة عن مناسك الحج.

ولقد كان لقصة رحلة علي بك فائدة اخرى هي انه وصف للمرة الاولى عيشة اتباع الدعوة السلفية التي بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووصف دخول جيوش الدرعية الى مكة للحج وعلى رأسهم الامام سعود وأبو نقطة، ووصف جمالهم وأحمالهم وبيارقهم والعلم المنقوش عليه «لا إله إلا الله محمد سول الله».

واذا كان الاوروبيون قد اهتموا بمعرفة كل شيء عن المدينتين المقدستين مكة والمدينة.

فان منطقة اخرى من شبه الجزيرة العربية اخذت تفرض على الأوروبيين الالتفات اليها في اوائل القرن التاسع عشر لا على رجال السياسة فحسب وإنما على اعضاء الجمعيات العلمية والأدبية .. تلك هي المنطقة المعروفة باسم «البتراء» «سلع» و «مدائن صالح» الحجر وقد وصل رحالتان الى شواطئ سورية بالتتابع هما «سيتزن» في سنة ١٨٠٢ و «بوركهاردت» في سنة ١٨١٠ بقصد الدخول الى هذه المنطقة وكان سيتزن مستشاراً في احدى الامارات الالمانية الصغيرة التابعة آنئذ لقيصر روسيا ولكنه كان يحلم دائماً بأن يصبر مكتشفاً فجد في تحصيل المعلومات وحصل على الثقافة اللازمة وتضلع في اللغة العربية ثم غادر المانيا في سنة ١٨٠٢ متوجهاً الى سوريا وفي سنة ١٨٠٦ وجد دليلا من البدو وكان معتنقاً للنصرانية – وقد سبق ان عاش ثلاثين عاماً بين قبائل عنزة فسأله سيتزن عن احوال البدو في المنطقة كلها. وكانت محادثاته مع ذلك البدوي مثمرة، حيث أنه عندما عاد الى القاهرة نشر كتاباً تحت عنوان «بحث يصلح للتعرف على قبائل البدو العربية في سورية والبتراء».

ولقد تجول سيتزن مع دليله في المنطقة الواقعة الى ما وراء البحر الميت، وبلغ حدود شبه الجزيرة العربية، حيث كان يريد اكتشاف موقع مدينة البتراء القديمة الا انه على الرغم من قربه منها لم يتمكن من الاهتداء اليها.

ولكي نفهم الصعوبة التي تعترض الرحالة في هذه المنطقة في مثل ذلك الزمن لابد لنا ان ندرك طبيعة البدو الموجودين في تلك المناطق ومدى استطاعة الدليل الذي يصحب الرحالة التفاهم معهم.

وعاد سيتزن الى مصر عن طريق سيناء ثم السويس وأعلن انه اعتنق الاسلام وانه يريد ان يتم دينه فاستطاع ان يرافق رحلة الحجاج وبلغ المدينة التي لم يصل اليها علي بك العباسي ثم رحل الى اليمن وهناك مات مسموماً وضاعت معظم الدفاتر التي دونها والتي كانت تحتوي على تسجيلات لمشاهداته.

أما «بوركهاردت» فانه غادر انجلترا في مارس سنة ١٨٠٩ متوجهاً الى سورية لمحاولة اكتشاف شمال شبه الجزيرة وكان قد أعد نفسه لذلك بان اخذ يدرب نفسه على حياة البدو كما درس القرآن وتفاسيره الى درجة انه



لم يستطع اقناع الناس بانه الشيخ ابراهيم المسلم فحسب بل على انه احد علماء المسلمين الأفذاذ وقضى بركهاردت عامين على الحدود السورية العربية يجمع المعلومات وعلى غرار الكتاب الذي اصدره سيتزن اصدر بوركهاردت كتابه الذي سماه «ملاحظات عن البدو والوهابيين».

على انه يجب ان نلاحظ ان بوركهاردت قد اوغل في البحث ابعد مما ذهب اليه سيتزن، فقد تمكن من ان يقدم صورة عن المجموعات القبلية والمميزات السياسية الخاصة بكل منها وعن حالتها الاقتصادية وتنظيمها الاجتماعي ومبادئها الاخلاقية وعاداتها.

ولقد زار بوركهاردت البتراء وان كان لم يستطع ان يقدم معلومات علمية عنها لأن البدوي المرافق له شك في امره عندما حاول استعمال اجهزته العلمية.

واذا كان سيتزن وبوركهاردت قد اجتازا الحدود الشمالية لشبه الجزيرة، فان المنطقة الداخلية الى شمال جبلي شمر (آجا وسلمى) كانت لا تزال مجهولة لدى الأوروبيين.

وكان يستثير اهتمامهم بها عوامل شتى وان كان اهم ما اشار اليه المؤرخون انه مع مطلع القرن التاسع أخذ آل الرشيد يوطدون سلطانهم في تلك المنطقة .. فكان هذا دافعاً لكثير من القوى على الاتصال بهم لمعرفة مدى قوتهم ونفوذهم وأدى ذلك الى ان يبعث محمد علي بشاب فنلندي كان يدرس في القاهرة ليقوم برحلة عبر شمال شبه الجزيرة.

فقد كان هذا الفنلندي ويدعى «أوغسطس والان» قد حصل على منحة للدراسة من جامعة هلسنكي، فقضى سبع سنوات متنقلا ما بين بلاد الفرس والعراق وسورية واستقر اخيراً في مصر وعزم على اكتساب ثقافة عربية تمكنه من التنقل بحرية في شبه الجزيرة.

ويبدو ان محمد علي قد بعث به اما ليشتري له خيولا من نجد او ليستطلع احوال جبال شمر .. وقد قام والان برحلتين الى حائل عاصمة جبال شمر .. وقد استطاع ان يفعل ذلك نتيجة دراسة لعادات البدو وعقليتهم واكتساب القدرة على كسب ثقتهم وقد وصلت لنا كل هذه العادات .. فما بعد

وعلى الأخص ما وصفه من رسم «الخوة» وهي تلك الاتاوة التي تدفعها كل قرية او مدينة لتقاوم هجمات البدو. كما وصف لنا علاقات التحالف بين القبائل وبعضها كما لاحظ والان انواعاً من العشائر البدوية بعضها يسرح في البادية مع قطعانه اثناء موسم الرعي في الربيع، وأثار دهشته ان افراد عشيرة المعازة الذين يشغلون المنطقة الممتدة من معان حتى الحدود المصرية يجهلون دينهم الاسلامي اشد الجهل .. ولا يكاد ان يعرف واحد منهم شيئاً عن شعائر الاسلام.

وأوغل والان في شمال شبه الجزيرة بصحبة ثلاثة من قبائل الشرارات حتى وصل الى وادي السرحان ثم دخل مدينة الجوف وكان وصف والان لهذه المدينة فريداً في نوعه إذ كان من الدقة بحيث وصف أحياءها ومنازلها.

ثم رحل والان من الجوف بصحبة البدو مخترقاً صحراء النفود حتى وصل الى قرية «جبه» ثم وصل الى حائل عاصمة جبلي شمر التي وصفها وصفاً مفصلا كما وصف قصر عبدالله آل الرشيد .. وتبع والان رحالة ايطالي هو «كارلو جوارماني» .. ولقد كان لدى جوارماني الاستعداد الطيب لاختراق نجد نتيجة لصلاته الوطيدة مع البدو اذ كان قد اقام لسنين طويلة في القدس وهو يعمل كوكيل لشركات النقل البحرية الامبراطورية الفرنسية وانشاء علاقات مع العشائر الرحل في تلك المناطق.

وقد استدعاه وزير الزراعة الفرنسي الى باريس في سنة ١٨٦٣ ليعهد اليه بشراء خيول للاصطبل الامبراطوري. وقد بدأ

رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية



جوارماني رحلته في ٢٦ يناير سنة ١٨٦٤ مرتدياً زي بدوي واخترق المناطق الشمالية من شبه الجزيرة حتى وصل الى تيماء، وكان والان قد زارها من قبل، ثم دخل الى منطقة حرة خيبر، ووصفها بعض الوصف .. وان كان وصفه لهذه المنطقة اقل في مجموعة من بقية الأوصاف التي أوردها .. مما دعا بعض الباحثين الاوروبيين المتأخرين الى الشك في صحة روايته عن زيارته لحرة خيبر، ولقد راع جوارماني ان يجد جميع سكان منطقة خيبر من السود حتى ظن انه انتقل الى السودان، وغادر جوارماني منطقة خيبر الى منطقة يقطنها فخذ من عتيبة يعرف «بالروقة» فلحق بهم وسار معهم ولكنهم كانوا في حالة حرب مع الامير عبدالله بن فيصل آل سعود وحضر جوارماني معركة وقعت بين قوات الأمير وافراد هذه القبيلة.

ثم سار جوارماني حتى دخل مدينة «عنيزة» ووصف اسواقها والخيل فيها، ثم سار الى بريدة ثم الى حائل واميرها طلال بن الرشيد، وهناك زار جوارماني على انه المسئول عن اصطبل فؤاد باشا التركي وان اسمه هو «خليل أغا» .. فرحب به الامير واجلسه معه في مجلس القضاء ورأى كيف كان يقضي الامير في القضايا بسرعة وكيف كان يفرض الاحكام والعقوبات الصارمة اذ كان يحكم بالقتل على القتلة وعلى الكذابين وشهود الزور بحرق لحاهم.

ولاشك ان جوارماني كان أفضل من وصف الخيل العربية في هذه المنطقة، اذ انه كان خبيراً بالخيول وكان يعرف عنها الشيء الكثير.

وكانت الخريطة التي رسمها لرحلته من اهم الخرائط التي استفاد منها من تبعه من الرحالة.

واذا ضربنا صفحاً عن رحلته بالجريف وما احاط بها من شكوك فاننا ننتقل الى رحلة «الليدي بلندت» وزوجها «ويلفريد» اللذين اخترقا صحراء النفود ووصلا الى حائل واعطيا وصفاً كاملا للمناطق التي مرّا بها وتميزت كتابتهم بانها اكثر انسانية وابعد في وصف بعض المواقف التي لم يكن لتتاح لغيرهم لانه لاول مرة تخترق سيدة اوروبية مناطق البدو وكانت فرصتها فريدة ان تدخل الى الحريم وتتعرف على احوال النساء في مختلف المناطق التي زارتها وتعطي بذلك وصفاً فريداً ما كان ليتمكن القارئ الاوروبي من الاطلاع عليه لولا رحلتها.

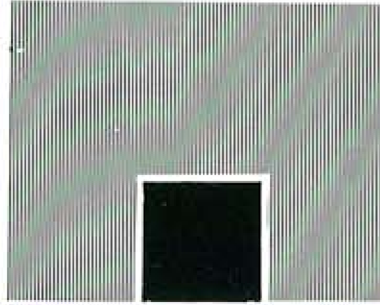
تلك هي بعض اللمحات عن رحلات الرحالة الاوروبيين خلال فترة من الزمان .. كان الجهل يخيم فيها على كثير من بقاع شبه الجزيرة، ولم تكن الحضارة الحديثة بكل امكاناتها قد تقدمت ليحدث الاتصال بين معطيات تلك الحضارة وبين القبائل الضاربة في الصحراء ولذلك فان عالم هذه القبائل كان يختلف كلية عن العالم الذي يعرفه الاوروبي، وكانت الرحلة لاشك بالنسبة لأي اوروبي مخيفة وكان على الرحالة الذي يخترق تلك الجهات ان يكون على دراية واسعة باحوال اهلها وعاداتهم وان تكون له القدرة الكافية للتعبير عن نفسه باللغة العربية وباللهجة البدوية حتى لا ينكشف امره.

ولذلك رأينا ان معظم هؤلاء الرحالة قد ارتدى رداء الاسلام ظاهراً، وان كان في باطنه لا يزال يضمر الولاء لدينه .. وتلك الخطة هي التي سيتبعها الاوروبيون دائماً تحقيقاً لمصالحهم.

مبتكر معادلة المربع السحري

ثابت بن قرة

بقلم :
د. علي عبد الله الدفاع



اصل ثابت بن قرة بن مرفان ابو الحسن الحراني، وطنه الاصلي حران الواقعة بين النهرين دجلة والفرات وذلك شمال العراق. عاش فيما بين ٨٢٦-٩٠١ ميلادية، واشتهر ثابت باشتغاله بعلوم مختلفة مثل علم الرياضيات، والطب، والفلك، والفلسفة. وهو اول من ترجم مؤلفات بطليموس منها المجسطي وكتاب جغرافية المعمورة. ولقد ذكر المؤلف لين ثورنديك في كتابه «ملخص تاريخ الحضارة» ان ثابت بن قرة كان رياضيا ولغويا بارعا، وله مخطوطة مهمة في علم الجبر وفيها حل المعادلة ذات الدرجة الثالثة س٣+أ٢ب=جـ س٢. كما اضاف الدكتور فرانسيس كارمودي في كتابه «اعمال ثابت بن قرة الفلكية» ان ثابت بن قرة طور وترجم معظم الانتاج العلمي لاقليدس، وارخميدس، وبطليموس حتى صارت مؤلفاتهم كتبا مدرسية معتمدة في جميع الدول الاسلامية.

كتب البروفيسور ديفيد يوجين سمث في كتابة «تاريخ الرياضيات» المجلد الثاني ان ثابت بن قرة صاحب الفضل في اكتشاف علم التفاضل والتكامل حيث اوجد حجم الجسم المكافئ وذلك في عام ٨٧٠ ميلادية. ومن المعروف ان علم التفاضل والتكامل اعان على حل عدد كبير من المسائل العويصة والعمليات الملتوية.

كما اهتم ثابت بدراسة الشمس وحركتها، ويقول المؤلف سيدني فيش في كتابة «الشرق الاوسط» ان ثابت بن قرة درس حركة الشمس وحسب طول السنة النجمية ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ١٠ ثواني فتكون اكثر من الحقيقة بأقل من نصف الثانية. كما انه حسب ميل دائرة البرج ٢٣ درجة و ٣٣ دقيقة و ٣٠ ثانية. واعطى اهتماما كبيرا لعلم الهندسة والاعداد المتحابة وللمربع السحري التي لعبت دورا عظيما عبر التاريخ.

اشتهر ثابت بن قرة بين علماء العصور الوسطى بعلم الهندسة، فكانوا يصفونه بسرعة البديهة وبأصالة التفكير. ولقد مدحه المؤلف الكبير ول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» الجزء الثاني من المجلد الرابع حيث قال ان ثابت بن قرة اعظم علماء عصره في علم الهندسة وكان لامعا بين اخوانه العرب.

* المجلة: في مجلة «الدارة» التي تصدر في الرياض العدد الاول – السنة الثالثة – ربيع الاول ١٣٩٧ هـ فبراير ١٩٧٧م نشر للكاتب موضوع عن «نظرية فيثاغورس الجديدة لثابت بن قرة» وقد أورد فيه مقدمة عن حياة ثابت بن قرة مع ذكر بعض مؤلفاته وهو ما اورده في موضوعه المنشور هنا عن معادلة المربع السحري .. وهذا امر عاد حيث لا مجال فيه للتأليف

تعريف المربع السحري:

اذا جمعت الارقام في المربع السحري عموديا، او افقيا، او قطريا يكون مجموعها متساويا واشهر هذه المربعات المربع الثلاثي كما بالشكل الآتي:

٢	٧	٦
٩	٥	١
٤	٣	٨

هذا المربع يتكون من تسعة ارقام في تسع خانات ومجموع هذه الارقام ٤٥، واذا وزعت في ثلاثة صفوف او ثلاثة اعمدة خص كل صف او عمود ١٥، ويجب ان يكون مجموع كل من القطرين ١٥ أيضا.

ومن خواص هذا المربع السحري الثلاثي:

١– ان مجموع الثلاثة ارقام التي يحتوي عليها الصف او العمود، او القطر عدد فردي، لهذا يجب ان تكون الارقام التي يحتوي عليها الصف او العمود او القطر اما جميعها فردية او يكون منها رقمان زوجيان.

٢– لتكون هذا المربع السحري الثلاثي ضع ٥ في الخانة الوسطى، ثم ضع ٢ في احدى الزوايا وضع ٨ في الزاوية المقابلة لها على القطر، ثم ضع ٤ في الزاوية التي بين ٢، ٨ وضع ٦ في الزاوية المقابلة لها على القطر، ثم وزع الاعداد الباقية في الخانات على شرط ان يكون مجموع كل ثلاثة اعداد في خط مستقيم يساوي ١٥ كما في الشكل.

٣– الارقام الزوجية ٢، ٤، ٦، ٨ احتلت الاركان فسماها العرب «بدوح». والارقام الفردية توسطت المربع وهي خمسة ارقام فسماها العرب «خمسة وخميسة».

دور بعض العلماء الذين اهتموا بالمربع السحري:

والكثير من علماء الرياضيات اهتموا اهتماما بالغا بالمربع السحري، في اليابان العالم الرياضي المشهور مورا ما تسوكود يوموسي الذي كتب عدة كتب في علم الحساب والهندسة في عام ١٦٦٣ ميلادي، اعطى الكثير من وقته للمربع السحري.

اما في بلاد الغرب فان علماء العلوم خطوا فيه واعطوه جزءا من وقتهم حيث يعتبرونه وسيلة للتسلية، مثل لغز الكلمات المتقاطعة التي تحظى الآن بعناية عظيمة في الجرائد والمجلات لانها وسيلة للتسلية والترفيه.

العالم الرياضي المشهور اورثر كيلي (١٨٢١–١٨٩٥ م) انجليزي الاصل، وقد حاز على جائزة اسمث المشهورة في انجلترا في ايامه الدراسية – بدون شك ان البروفيسور كيلي ابدع في الرياضة البحتة وله انتاج مرموق في المربعات السحرية، المجموعة الجبرية المبهمة، والدالة الزائدة والمحدودة، والمصفوفات المنهية والهندسة الفوقية، ونظرية تعبير جبري ثابت (ALGEBRAIC THEORY OF INVARIANCE) وهذه النظرية اعطت الدكتور كيلي الشهرة العظيمة عند علماء الرياضة، والانتقاد الحاد من بعض الفيزيائيين مثل تايت (TAIT) المشهور الذي قال مع الاسف ان كيلي الموهوب يقضي وقته في مثل هذه النظرية والمربع السحري. والآن الذين يستخدمون هذه النظرية وطوروا العديد من المربعات السحرية هم الفيزيائيون. وقد نشر لكيلي ما يقرب الالف مقالة، ومعظم اعماله الرياضية موجودة في جامعة كمبردج وهي ١٣ مجلدا.

بنجامين فرانكلين (١٧٠٩–١٧٩٠ م) من الولايات المتحدة الامريكية برع في علم الفيزياء فكون عددا كبيرا من المربعات السحرية، وحفظ الشحنة الكهربائية، وقال ان البرق ظاهرة طبيعية كهربائية وان الزجاج يحمل شحنة كهربائية موجبة. والتي تتكون مثلا على المواد الراتينجية بالدلك تعمل كهربائية سالبة.

النمساوي ليونهارد اويلر (١٧٠٧–١٧٨٣ م) لمع بين معاصريه في جميع فروع الرياضة وسمي الموسوعة الرياضية للقرن الثامن عشر حيث له الفضل في المربعات السحرية، الرياضة التحليلية، الاعداد المتحابة، ودالة بيتا وجاما، ومعادلة للسائل المتحرك، متسلسلة القوى الطبولوجية (دراسة الخصائص الهندسية التي لا تتأثر بتغير الحجم او الشكل)، والتفاضل والتكامل، والمعادلة التفاضلية، والهندسة التفاضلية، ونظرية الاعداد وحساب التغيير، وعلم الميكانيكا، وعلم الجبر الكلاسيكي، والدالة المركبة، ومعادلة اويلر، ومعادلة متعددة الحدود لاويلر، والكمية الثابتة لاويلر، والمتكامل لاويلر، وخط اويلر المعروف في علم الهندسة وقد كتب ما يقارب الاربعمائة مقالة وعدة كتب بعد فقدان بصره.



ارشميدس

علماء المسلمين طوروا المربعات السحرية حتى انهم استعملوا في بعض الحالات الحروف الابجدية بدلا من الارقام مثل «أبجد هوز حطي كلمن» فلو اعتبرنا المربع السحري الثلاثي :

أ	١
ب	٢
جـ	٣
د	٤
هـ	٥
و	٦
ز	٧
ح	٨
ط	٩
ي	١٠

د	ط	ب
جـ	هـ	ز
ح	أ	و

وكأن فكرة استعمال الحروف وصلت للغز الكلمات المتقاطعة التي تلعب الآن دورا هاما في الصحافة الحديثة.

معادلة المربع السحري :

اولى ثابت بن قرة المربعات السحرية عناية كبيرة فطور معادلة



بنجامين فرانكلين

للمربع السحري كالآتي :

- * ترتيب الاعداد الصحيحة من ١ الى ن ٢
- * مجموع الارقام في اي عمود، او صف، او قطر يساوي جـ
- * يوجد ن عمودا
- * مجموع الارقام في اي مربع سحري يساوي جـ ن (١)
- * ١+٢+٣+...+ن٢ = ن٢(١+ن٢) / ٢ (٢)
- * من (١) و (٢) نجد أن

ن جـ = ن٢(١+ن٢) / ٢

ملحوظة أ ن جـ = ن(١+ن٢) / ٢

مثال : المربع الرباعي

المكون من

١+٢+٣+...+٤٢ = ١+٢+٣+...+١٦

مجموع كل صف او عمود او قطر = جـ = ن(١+ن٢) / ٢

= ٤(١+٤٢) / ٢

لذلك جـ= ٢(١٧) = ٣٤

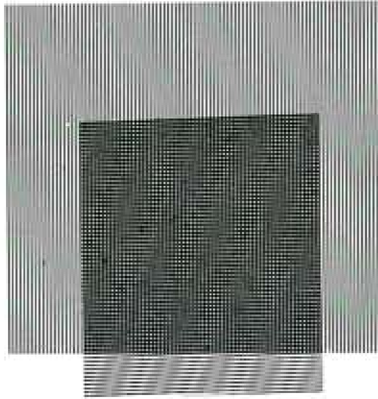
١	١٥	١٤	٤
١٢	٦	٧	٩
٨	١٠	١١	٥
١٣	٣	٢	١٦

المربع السحري الآن له دور كبير في الهند، والصين، والجزر المجاورة لها حيث ان بعضهم يعتقد ان المربع السحري حرز حامي لهم من المصائب ولذلك يوجد في كأس الدواء، وطاسة البخت والعقود الذهبية المعلقة بالعنق. كما ان البعض يعتبر المربع السحري ايضا طلسما يحي الخائف من البلية.

بعض مؤلفات ثابت بن قرة في علم الرياضيات:

خلف ثابت بن قرة مؤلفات كثيرة في الرياضيات، والطب، والفلك، والفلسفة، ولكن الذي يهم المؤلف في المقالة هو تصانيفه في علم الرياضيات. وقد كتب في جميع فروع الرياضة - كتبا، ورسائل، ومخطوطات عديدة منها:

١- كتاب سهل فيه وعلق على المجسطي لبطليموس.
٢- كتاب حساب الاهلة.
٣- كتاب المدخل الى الاعداد.
٤- رسالتان في اعمال ارخميدس بالهندسة.
٥- رسالة في الدوائر المماسة.
٦- رسالة في الاعداد المتحابة.
٧- رسالة في الجبر.
٨- رسالة في حساب خسوف الشمس والقمر.
٩- رسالة في مساحة الاشكال المسطحة والمجسمة.
١٠- رسالة في قطوع الاسطوانة وبسيطها.
١١- رسالة في مساحة المخروط المسمى المكافئ.
١٢- رسالة في اصول الهندسة لاقليدس.
١٣- رسالة في كتاب المناظر لاقليدس.
١٤- رسالة في المخروط لثيودوسيوس.
١٥- ثمان رسائل عن المخروط معتمدا على مؤلفات ابولونيموس.
١٦- مخطوطة في اختصار المنطق.
١٧- مخطوطة علق فيها على كتاب المخروط لابو لونيموس.
١٨- مخطوطة علق فيها على الكرة المتحركة لاوتولوكوس.
١٩- مخطوطة علق فيها على الكرة والاسطوانة لارخميدس.



وفي الختام نوضح ان ثابت بن قرة ولد في حران وتعلم في بغداد، وكان في اول امره متجها الى التجارة فكان صرافا في حران، ولكنه عدل عن هذا ووفق في دراسته لعلمي الرياضيات والفلسفة، فاشتهر بين معاصريه علماء العرب بأنه «مهندس العرب».

كما ان الشهرة في ابتكار الاعداد المتحابة والمربعات السحرية وتطويرها لا يرجع لاي عالم غربي بل تعود لعالمنا العربي ثابت بن قرة، ولكن علماء الرياضيات في اوروبا وامريكا الذين حصلوا على السيطرة الكاملة على العلوم بعد القرن الثالث عشر الميلادي تجاهلوا ان العرب والمسلمين لهم الفضل الاول في ابتكار معظم العلوم التي بين ايديهم.

ويظهر للقارئ مما تقدم ان علماء الرياضيات في الغرب وهم ذوي الشهرة العظيمة في هذا الحقل يحبون ان ينالوا الشهرة على انهم مبتكرو الأعداد **المتحابة والمربعات السحرية ونسوا عالمنا العظم ذا الشهرة في جميع فروع الرياضة ثابت بن قرة الحراني صاحب الابتكارات القيمة في علم الرياضيات.**

حلم ميت

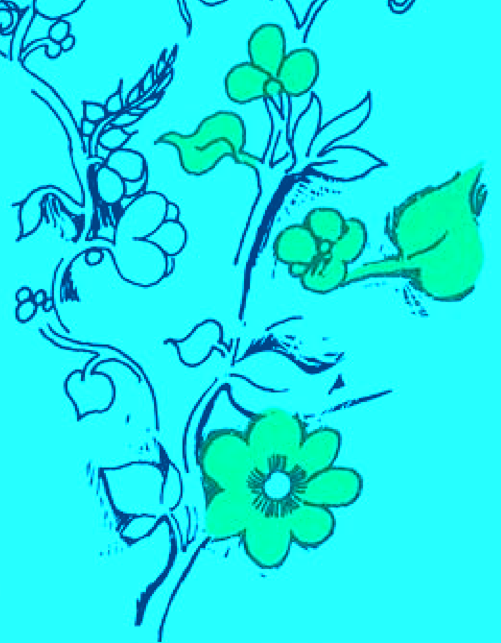
شعر
د. طلعت الرفاعي



لا تلمني ..
إنّ في جفني حلماً لم يفسر
يانعاً كالوردة الحمراء
بل أشهى وأنضر
مثلما الينبوع
نادته السواقي فتفجر
نسجته الشمس
من ذوبِ السنا للبدرِ مئزر
قلعة للموج
فانهد صريعاً يتكسر
وسقيت البحرَ منه
فرأيت البحرَ يسكر
كلما لملمته راح
وراء الأفقِ ينثر
صوراً سحريةً
فوقَ السما تطوى وتنشر
سكَب الليل عليها
دمعةَ النجمِ المحير
طف بي المجهول
يازورق إن الفجرَ أسفر
وكما غنيت سربي
لا تكن دوماً مسير
مربي لا ترهب الإعصارَ
فالهدأة أخطر
إن يَطل في البحرِ ليلي
لست أرضَى الليلَ اقصر
لا تلمني رب طرف
عندما أغمض أبصر
لا تلمني لم يَعد
في ناظري الشاطئ أخضر

أخبارهم





حب العرب للزهور

من أجمل ما سجله التاريخ من عادات العرب في أمجد عصورهم تلك التي تتصل بشغفهم بالزهور والرياحين .. ويقال ان الخليفة المأمون كان يفضل الورد عن كل ما عداه، بل ويقدّر كل من يهواه، ويروى أن النعمان بن المنذر شهد في إحدى نزهاته نوعاً من الزهر ذا وريقات حمراء فأعجب به وأمر بحمايته فكان لا يقطف الاّ له ولم يلبث ان حمل إسمه، فأطلق عليه الى يومنا هذا (شقائق النعمان) ويقال ان هذا النوع من الشقائق الحمراء يستمد أسمه في الحقيقة من لونه لأن النعمان من أسماء الدم .. والدم أحمر ..

تشرشل .. كان تلميذا فاشلا !!



ونستون تشرشل السياسي البريطاني .. كانت حياته الدراسية الاولى فشلا محققا .. وترك المدرسة جاهلا، وكان ذلك مدعاة ألم وحزن لوالده الذي عرف عنه الذكاء، مما دفعه الى تجاهل ابنه وعدم تدريبه على فنون السياسة.

ولذا فان ما عرف عن تشرشل بما قدم لمواطنيه من خدمات سياسية عظيمة كان نتيجة اعتماده على نفسه، فقد علمّ نفسه بنفسه، وتلقى دروسه الأولى وهو برتبة (ملازم) بسيط في الجيش على حدود الإمبراطورية الرومانية، ولن يكون مستغربا أن يقال ان تشرشل لم يتبن فلسفة سياسية خاصة.

سماعة الطبيب



في عام ١٩١٦م استدعي طبيب باريسي اسمه (رينيه ليناك) لفحص فتاة تشكو من مرض في قلبها. وأبت الفتاة أن تسمح للطبيب بوضع اذنه على صدرها لسماع دقات قلبها كما جرت العادة في ذلك الحين .. وتصادف أن وجد بجوارها صحيفة فَلَفَّها على شكل اسطوانة، ووضع طرفا منها على صدرها والطرف الآخر على أذنه، فدهش حين سمع دقات القلب بوضوح، وما أن فرغ من فحصها حتى كانت قد أختمرت في رأسه فكرة (السماعة) التي يستعملها الأطباء اليوم في مختلف انحاء العالم.

مولع بالحيوانات



كانت اول حديقة حيوان أنشئت في اوربا خلال العصور الوسطى هي حديقة فريدريك الثاني ملك صقلية .. وأكثر محتوياتها أهديت اليه .. ومن بينها أسود وفيلة وفهود وجمال وعصافير .. وبلغ من شغف فريدريك بعلم الحيوان أن وضع بنفسه كتابا عن الصيد والقنص .. وترجم كتاب أرسطو في علم الحيوان، ومما يذكر أنه أهدى الى هنري الأول ملك انجلترا ثلاثة فهود هي التي اتخذ منها شعاره الملكي .. ووضعت هذه الفهود في برج خاص .. من برج لندن المشهور ..

يكتب مسرحياته في القطارات



كانت أول مسرحية وطّدت شهرة الكاتب الساخر (برنارد شو) هي (كانديدا) وفي أحد الأيام كان على موعد مع المخرج والممثلين ليقرأها عليهم، ولما دخل عليهم أخذ يخرج من جيوبه كراسات صغيرة الأحجام، متنوعة الأشكال، وكأنه (لاعب أكروبات) يريد أن يبهر (النظارة) بمهارته.

ثم علق قائلا: (اني لأراكم مندهشين مما ترون، ولعلكم تعذرونني إذا علمتم أنني أكتب مسرحياتي في (الباصات) وفي (القطارات).

ونجحت (كانديدا) على المسرح مما أضطر الى أن يقف في الجمهور خطيبا يقول: (أهنئكم لأنكم أثبتم بإعجابكم بالمسرحية أنكم متقدمون تسع عشرة سنة عن زمنكم).

أخبارهم



القبعات .. والخوذات

يرفع الأوربيون قبعاتهم للتحية أو عند دخولهم البيوت، وهذه عادة قديمة ترجع الى عصر سيادة الفروسية في أوروبا، يوم كانت قبعات الرجال والشبان خوذا حديدية تقيهم في الحروب والمعارك، وكان الرجل في ذلك العهد إذا دخل منزلاً خلع قبعته، كأنه يعترف بصداقته لأهل المنزل، أو لمن يرفع قبعته له عند رؤيته، وأنه لا يخشى سوءا، وقد زال عصر الفتوة لديهم، وبقيت عادة رفع القبعات.

التين يسبب حربا بين اليونان والفرس !!



كان (زينون) الفيلسوف اليوناني القديم يرى أن أكل التين خير علاج لكثير من الآلام الجسدية والاضطرابات العصبية.

وكان الشعراء اليونانيون يعدون التين مصدرا للإلهام .. كما كان المصارعون في روما لا يأكلون غيره أثناء استعدادهم لمباريات المصارعة.

وقد قامت الحرب بين اليونان والفرس لرغبة اليونان في الاستيلاء على البلدان الشرقية التي تنتج التين.

والرومان كانوا يعدون التين خير غذاء لمن يريد ان يكتسب القوة والسمنة، ويروون ان (كاتون) الروماني كان في موسم التين، يمنع الخبز عن عماله ويقدم لهم التين ..

عنترة .. وسيرانو



هناك تشابه عجيب بين كل من الفارس العربي «عنترة بن شداد»، والفارس الفرنسي «سيرانو دي برجراك». فعنترة شاعر وفارس يعشق ابنة عمه عبلة ويزاحمه عليها نبيل عربي هو «عمارة» و «سيرانو» شاعر وفارس يعشق ابنة عمه «روكسان» ويزاحمه عليها نبيل فرنسي اسمه «كريستيان».

وكما كانوا يعيّرون الشاعر العربي بسواد وجهه، كان الشاعر الفرنسي يعيّر بضخامة أنفه، وكما قتل عنترة بسهم مسموم أطلقه أعمى قتل سيرانو بخشبة سقطت عليه من احدى الشرفات، واكثر من ذلك أن كلا منهما كان يفاخر بنسبه وعزة نفسه وأدبه وعلو همته ..



الملك الراحل عبد العزيز آل سعود



رحلة في كتاب

رحلات الكابتن شيكسبير في شبه الجزيرة العربية

بقلم : احمد العناني

رحلة في كتاب

يعتبر وليم ايرفن شيكسبير المعروف بالكابتن شيكسبير من أبرز الرحالة المغامرين الأجانب في شبه الجزيرة العربية وان جاء متأخرا فيما بين سنتي ١٩٠٩ – ١٩١٥ للميلاد ذلك بأنه يعتبر الرائد الأوروبي الأول في مسافة تبلغ الفا ومئتي ميل ضمن كبرى رحلاته التي قطع فيها شبه الجزيرة ما بين الكويت فالرياض فالجوف فالعقبة



فالكونتيلا قريبا من الحدود المصرية الفلسطينية في سيناء فالنخل فالسويس. كما كانت له عدة رحلات أخر بين الكويت، وعدة اماكن شملت السدير والزلفي والرياض وغيرها كما قام بجولات بحرية عديدة كان خلالها جميعا يؤدي دور الرحالة والمساح والعالم الطبيعي ورسام الخرائط والسياسي المكلف بمهام بارزة.

ومع أن شيكسبير لم يحظ بمثل السمعة الذائعة التي نالها بعض الذين سبقوه **كدوتي ونيبور ويلجريف** أو الذين عاصروه أو جاؤا بعده من الأوروبيين الرحالة والسياسيين **كسينت جون فيلبي ولورنس** الا أن المؤلف الأول والوحيد الذي اصدره عنه «**اتش في اف ونستون**» منذ عامين يبرز للعيان قسمات رجل يجب ان يعتبر أهم من سائر الذين استأثروا من دونه بشهرة واسعة كما تصدق فيه فراسة المغفور له **الملك عبد العزيز آل سعود** الذي يروي المؤلف نفسه على لسانه بأنه **اعتبره اعظم اوروبي عرفه** ..

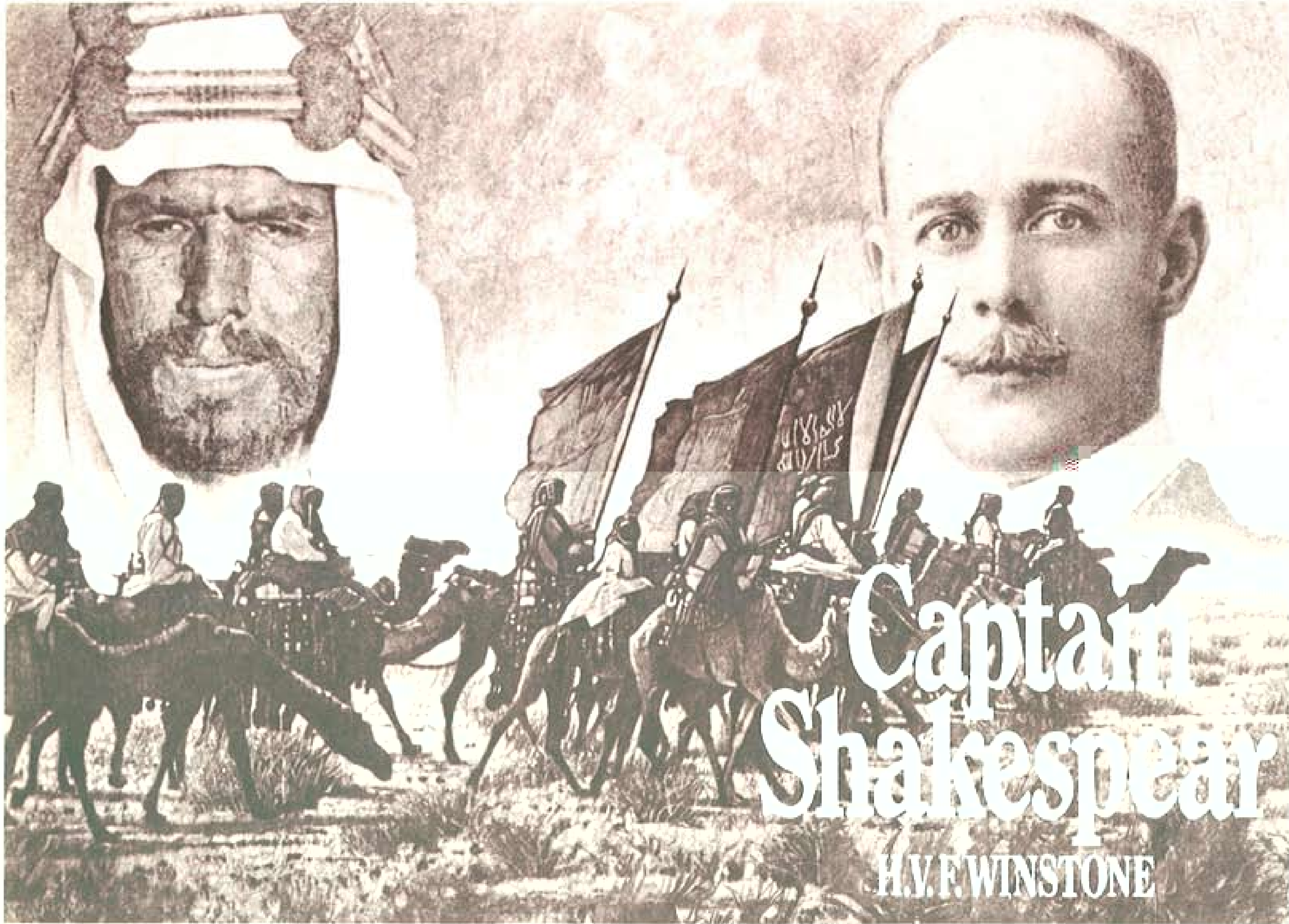
ويعزى عدم ذيوع اسم هذا الرجل الى عدة اسباب منها ان سائر مذكراته وخرائطه وصوره قد أودعت في الجمعية الجغرافية الملكية بلندن، وظلت مقصاة عن اهتمامات الباحثين الى حين

تعرض لها لاول مرة **دوجلاس كارروثرز** الذي وضع بحثا «عنوانه» «**الرحلة الاخيرة لكابتن شيكسبير**» نشره في العدد الخامس من المجلد التاسع والاربعين للمجلة الجغرافية، مستخلصا اياه من محفوظات شيكسبير المشار اليها آنفاً، وقد

تضمن البحث وصفا موجزا لرحلة شيكسبير الكبرى والاخيرة، ونماذج من رسوماته لطبوغرافية الأرض في الباطن (القسم

كذلك وردت نتف عن شيكسبير في النشرة العربية التي كان يصدرها طائفة من السياسيين الانجليز المعروفين في مكتب المقيم البريطاني في القاهرة. كما يرد ذكره ورودا شبه عرضي في

مؤلفات بعض الانجليز **كديكسون وفيلبي**، وفي بعض المؤلفات العربية ككتاب **فؤاد حمزة** عن قلب الجزيرة العربية، وهذا كلام يصور ذهابي في البحث عنه، **وان كنت موقنا ان اي**



الاسفل من وادي الرمة) فوق حفر. ورسما اخر لجلاجل.

وشعيب جلاجل في سدير ولسهول بديدة جنوب الكويت،

وللشارع الرئيسي للرياض من ناحية البوابة الشرقية. فضلا عن بعض النقوش السبأية التي عثر عليها شيكسبير في تاج وحنه قبل ثلاث سنوات من رحلته الكبرى. فرسمها بعناية فائقة عن النقش.

متعرض لبحث تاريخ الكويت ونجد في السنوات الخمس السابقة للحرب العالمية الاولى، لا يستطيع ان يتجاهل دور شيكسبير ولا مصرعه في معركة جراب اوائل عام ١٩١٥

من هو شيكسبير؟

ينفي ونستون أية علاقة بين اسم شيكسبير هذا واسم الشاعر

رحلة في كتاب

وليم شيكسبير، كما يعلل كيفية حذف آخر حرف زائد في اسم الشاعر من اسم الرحالة السياسي، وهو يستقصي تاريخ اسرته فيروي انها أسرة متوسطة الحال تخصصت في العمل للادارة

اخباره الى **سير هنري مكماهون** الذي كان اذ ذلك وزيرا لشئون الهند فأوصى به **كوكمن المعتمد البريطاني العام أو** المقيم العام بالخليج، ومن هنا جاءت خدمته في الخليج.

[1] سياسي التي شغلها شيكسبير

واذا ما عرفنا أوضاع الطرق في تلك الأيام، ونوعية السيارات، واذا ما علمنا ان معدل سرعة السيارة مئة كيلومتر باليوم، اذا هي نجت من اعطال خطيرة على الطريق، اذا ما عرفنا ذلك كله، وأضفنا اليه مشكلات الأمن على الطريق، لاسيا على الحدود الايرانية التركية، فان العمل الذي انجزه شيكسبير يعتبر مغامرة بكل ما في الكلمة من معنى. وايما كان الحال، فقد استأثر شيكسبير باعجاب السفير البريطاني المشهور في اسطنبول **السير نيكولاس اوكونور**، كما واتته الفرصة اثناء استراحته بسويسرة، بالتعرف على عائلة **بيارد** من الانجليز المقيمين بالهند والذين كانوا يقضون اجازة، وهو تعرّف أفضى الى حب انعقد بينه وبين ابنتهم **دوروثيا** المثقفة ثقافة عميقة في شئون البلاد العربية، فقد كان أبوها الكولونيل **اندرو ولسون بيارد** عسكريا ولغويا وعالما واداريا ممتازا. **وسنجد ان ذلك الحب على عنفوانه لم يستطع ابدا ان ينتصر على حب أكبر منه، هو حب المغامرة في نفس ذلك الشاب الطموح**. ولم تدرك دوروثيا ولا أدرك هو الا بعد بضع سنوات ان حياتهما لن تكون سعيدة بزواج بينهما، ما دام الرجل مشغولا ذلك الانشغال كله بمغامراته، وفي نهاية ١٩٠٧ ظهر شيكسبير ثانية بسيارته اياها في حيدر آباد بعدما تلقى من والدته في بريطانيا دفقات اخرى من التشجيع والتحميس لتحقيق انجازات تجعله علما بارزا بين اعلام الامبراطورية.

شيكسبير بعد ١٩٠٨

كانت اهتمامات بريطانيا وتركيا وروسيا والمانيا القيصرية والولايات المتحدة تتجه جميعا نحو منطقة الخليج بعدما اتضحت حقيقة غناها بالزيت، وكان التوتر الدولي قد بدأ مراحله المبكرة التي أفضت الى قيام الحرب العالمية الأولى. وكانت بريطانيا تحس طبعا بالمنافسة المحمومة لتلك الدول منذ زيارة **كرزون نائب الملك في الهند** للمنطقة في اوائل سنوات القرن الحالي، وما ألقى من خطب تهديدية تجاه مساعي الدول الأخرى في الخليج. وبعد تلك الزيارة عام ١٩٠٤ عينت بريطانيا اول وكيل سياسي لها في الكويت وهو **الكولونيل نوكس**، وكانت الكويت بشكل خاص تبرز سريعا الى قمة الاهتمام عبر مساعي الالمان لايجاد نقطة نهاية للخط الحديدي المقترح توصيله لقطار الشرق السريع حتى الخليج. وفي نطاق ذلك الاهتمام عين شيكسبير مساعدا **لبيرسي كوكس** المقيم العام للخليج، وذلك لمنصب الوكيل السياسي في الكويت خلفا لنوكس، غير انه قبل استلام المنصب كان عليه قضاء فترة من الوقت في بوشهر حيث مركز رئيسه ليواصل دراساته عن سياسات الجزيرة العربية، وأوضاع المنطقة فيما كان في الوقت نفسه يتلقى باستمرار رسائل **دوروثي بيارد** التي أهدته **كتاب بلجريف** عن رحلة سنة في أواسط وشرقي الجزيرة العربية، وقصت عليه حياة **الليدي آن بلنت** كبرى بنات الشاعر المعروف **بايرون**، والتي كانت وصلت هي وزوجها الى عاصمة آل رشيد في حايل فضلا عما كان يتلقاه من والدته من تشجيع.

وفي سنة ١٩٠٩ اصبح شيكسبير خلفا لنوكس يمارس صلاحياته كوكيل سياسي في الكويت ويطلع الناس على وجه جديد بكل معنى الكلمة، فقد كان سلفه رجلا هادئا وان كان فعالا وفي مستوى المسئولية، لكن الوكيل الشاب الجديد كان اشبه بالعاصفة في عنفوانه، وقد ظهر بمظهر غاية في الرسمية والأبهة حين قصد لزيارة حاكم الكويت المشهور **الشيخ مبارك**، وقبل ان يصبح الرجلان صديقين اجتازا فترة من التوتر والاختلاف، وقد شغل شيكسبير وظيفته هذه مدى ست سنوات كان في كل واحدة منها يقوم برحلة الى مناطق اما مجهولة تماما بالنسبة للأوروبيين على الأقل، او هي معروفة معرفة سطحية خالية من التحقيق العلمي. **وقد توج تلك الرحلات برحلته الكبرى التي بدأها يوم ٣ فبراير شباط عام ١٩١٤ وانتهت به الى مدينة السويس في ٢٢ مايو من ذلك العام، قاطعا فيها مسافة الف وثمانمئة وعشرة أميال ثلثاها في أرض لم توضع لها خرائط من قبل الخرائط التي وضعها هو.**

الرحلة الأولى لشيكسبير

بدأ شيكسبير رحلته الأولى يوم الاثنين ٢٢ نوفمبر تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ ومن اول يوم بدأ يسجل ملاحظاته بطريقة لم يحد عنها طوال رحلاته حتى لقى مصرعه اوائل سنة ١٩١٥.

وكان هذا الرجل يقوم بقياسات دقيقة ويسجل وصفا علميا خاليا من كل حشو لكل منطقة يدخلها مع النطق البدوي الصحيح لأسماء المواقع، وكانت الرحلة الأولى كما يقول **كارروترز** رحلة استطلاعية لمدة ٧٥ ميلا الى الجنوب من الكويت، مرورا بالأراضي الواقعة بين السهل الساحلي الكويتي ومنخفض الشق.

ويضيف وينستون بان الرحلة لم تذهب الى ابعد من الفنطاس على الساحل، ثم اتجهت داخلا الى ارض برقان المرتفعة في مسيرات مثلثية ومستطيلة حتى انتهت الى الشق، وهو

منخفض يتجه من الشمال الى الجنوب ويحوي بعض المناطق الوعرة.

وكان الرائد الانجليزي يستخدم لركوبه ناقة ظلت معه الى نهاية رحلاته وكان يطلق عليها اسم «ظبية» وقد جعل لها رحلا وحمائل مزخرفة ومفضضة كما كان مهتما بالقنص ولديه صقر ومجموعة من كلاب السلق المستخدمة في الصيد، وكان يحرص على المظاهر الرسمية في لقاءاته مع شخصيات المنطقة.

الرحلة الثانية ولقاء الملك عبد العزيز

بدأت هذه الرحلة في وقت متأخر من يناير ١٩١٠ متجهة من مدينة الكويت الى الصفا عبر قفار «دبدبة» الخالية من الماء والتضاريس، ومن ثم الى آبار الحفر ثم عودا على امتداد الباطن وهو منطقة طويلة جافة تمتد من جنوب شرقي البصرة الى اعماق نجد، **ولم يأخذ شيكسبير معه اية عدة للصيد هذه المرة، ولكنه كان مجهزا بادوات الدراسة وعمل الخرائط**. وقبيل نهاية الشهر نفسه وصل الركب الى موقع يدعى «**ثميلة التركي**» شرقي وادي الشق في منطقة شملتها الرحلة الأولى، ثم اتجه جنوبا غربيا لمسيرة مئة ميل عبر منخفض الشق، وفي الصحراء المجهولة المفضية الى الصفا، وكان شيكسبير يحدد موقع السير بالنظر للشمس وبدون كل ظاهرة يشاهدها، وكل صغيرة وكبيرة بشأن التضاريس والمناخ والمواقع وسرعان ما هبت على السفر هناك ريح الشمال تذرو الرمال عليهم، فصار الوقوف صعبا كما هو السير لأن اوتاد الخيام لا تستطيع الثبات في الرمل الناعم مع هبوب الريح، وصاروا يتشبثون بقماش الخيام لئلا تطير مع الريح. ثم اتجهوا الى اليمين في منخفض كانوا يأملون ان يجدوا به ملاذا، لكن الريح في الليل ازدادت شدة، كما نزل المطر فزاد ذلك من صعوبة موقفهم، كما كانت الخيام تتقوض بين فترة واخرى ولم يكونوا خلال الليل متأكدين من موقعهم، وان كانوا يعلمون انهم متوجهون الى صحراء «القارة».

واصر شيكسبير على مواصلة السير رغم اعتراضات بعض رجاله، الى ان مروا على موقع «**قصر بلال**» وتلال «**الخارجة**» التي تفضي الى آبار الريغية، ومن ثم واصلوا السير حتى خيموا في يومهم السابع عشر على أطلال سد مائي فيه آثار لمجموعة برك قديمة في موقع قلبان، وهنا يصبح الشق قليل العمق فاتجهوا فيه نحو الجانب الغربي حتى وصلوا الى موقع حلايبة، **وهناك توقف شيكسبير ليدرس آثار جدران مهدمة وآبار جافة وجذوم نخل منقعر، مما يدل جميعه على تواجد سكان ذات يوم في تلك التخوم**، وفي ذلك الموقع التقى الركب بجماعة من الشيوخ بينهم **الشيخ جابر بن مبارك** كانوا تبعوهم لاخبارهم بأن **الملك عبد العزيز بن سعود** كان عندئذ في الكويت، ومع اهتمام شيكسبير بسرعة العودة لكنه لم يهمل شيئا من اهتمامه بالمواقع وتضبيط تسجيلاته. ولدى عودة شيكسبير الى الكويت سارع لحضور عشاء اعده الشيخ مبارك لضيفه الكبير، **وسجل ليلتها أولى انطباعاته عن الملك السعودي بانه شاب في سن الحادية والثلاثين طويل وجميل، وانسان كبير القلب، بالغ التهذيب كما أن وجهه يعكس ما في نفسه من قوة وصرامة ووضوح قصد.**

وفي اليوم التالي اقام شيكسبير دعوة حافلة للملك، وسجل يومها ايضا انطباعاته الاخرى عن الملك فكتب يقول «لقد وجدت في عبد العزيز رجلا نبيلا كريما، لا يمكن اطلاقا ان يسمح لخاطره بالانشغال بسفاسف الامور.

الرحلة الثالثة

في ٧ يناير من عام **١٩١١** قام شيكسبير برحلة ثالثة طويلة ليواصل اكتشافه في مناطق جديدة باتجاه الجنوب الشرقي، **وكان هدف شيكسبير هو ملاقاة الملك عبد العزيز لدى وصوله المقرر الى الاحساء**. وقد أعد نفسه اعدادا جيدا لعلمه بأنه سيجتاز منطقة شبه مجهولة، يحدها شرقا ساحل الاحساء، وغربا حزام صحراء الدهناء.

اتبع شيكسبير طريقا تقع الى جنوبي طريق نوكس عام ١٩٠٨ ميمما شطر آبار دَجل، وكان الريح والمطر يعوقان مسيرته، وفي يوم ٢ مارس أقام الركب مخيمه الثامن جنوبي غربي ما يسميه بالبركة المالحة التي يطلق عليها البدو اسم «**أم الخرايصة**» قرب غار الخفا ذات المياه الحلوة. وهناك أجرى تدقيقا على معلومات نوكس فوجدها صحيحة. ثم انحدر الركب الى وادي (**أبو ظاهر**) فوجدوا هناك **الشيخ علي بن خليفة** مخيما فشاركه شيكسبير وعاد معه بوفير من الغزلان والحبارى – **وكانا قد اتفقا على ذلك التلاقي في الكويت** – ثم خرج من وادي أبو ظاهر الى موقع «الحنة» في منطقة بعيدة غير مخرطة، وهناك في ارض رطبة وسبخة التقوا ببعض **شيوخ بني خالد** ممن كانوا وفدوا لتحية الملك السعودي، ومن هناك الى موقع صحراوي يسميه البدو (**علايمية**).

وفي ٧ مارس تم اللقاء بالملك عبد العزيز حيث يذكر شيكسبير في مذكراته انه وجد الملك كعادته مفعما بالاستبشار

واضح الرزانة والهدوء.

وفي ٨ مارس تحرك موكب كبير وتم التخييم على بعد أميال ملحوظة لم يحددها من خرائب الثلج في واد يسمى مصبيع موات لرعي الجمال. وقد قصد شيكسبير تلك الخرائب فوجد بينها حجارة عليها نقوش فجلس ونسخ تلك النقوش بكل روية في مكان يسميه البدو الغرة **(قريب من تسمية سترابو الجرعاء)** وقد حسب ان النقوش كانت حميرية فيما هي في الواقع نقوش سبأية **(اللغة السبأية شاعت ما بين ٨٠٠ ق.م الى حوالي ٤٠٠ ق.م).**

ويقول **كاروثرز** ان **الدكتور دي. جي. هوجارث** الذي ارسل اليه النقوش قبل ان يحولها الاخير الى **مارجوليوث** بان هذا الاكتشاف قد يؤثر في الفكرة المختلف عليها كثيرا بشأن أصل السبأيين، فلقد كان الرأي السائد بانهم تأسسوا في شمال شرقي الجزيرة العربية قبل ان يظهروا في جنوبها الغربي، **ولكن هذه النقوش هي أول أثر منهم يعثر عليه في شمال-شرقي الجزيرة.**

الرحلة الرابعة

في ٢٤ مارس من عام ١٩١٢ قام شيكسبير برحلة رابعة باتجاه جنوبي غربي، وذلك لتأكيد بعض المعلومات الخاصة بالجزء الأسفل من منخفض الشق كما يقول **كاروثرز**. وكان خط الرحلة من الكويت الى سيرة الى تلة يسميها واره ثم الى آبار القلع في النهاية الشمالية للشق ثم باتجاه الكويت الى الزور ثم على ساحل البحر الى الخويصات.

واستغرقت هذه الرحلة خمسة عشر يوما حيث كانت العودة في نهاية الاسبوع الأول من ابريل نيسان ١٩١٢.

الرحلة الخامسة

بدأت الرحلة الخامسة في ٨ آذار ١٩١٣ وهي تقصد الدهناء ذلك الحزام الرملي الواقع بين النفوذ شمالا، ورمال نجد في الجنوب، على هيئة هلال واسع. وقد عبر الركب الشق ثم انحدر الى السهان حيث تختلط التربة بين سهول رملية وتلال متغايرة العلو وفي الحالين كان التقدم بطيئا، ولكن حالما دخل السفر الدهناء تقدمت خطاهم حتى قطعوا خلال ١٧ يوما مسافة ثلاثمئة ميل.

الرحلة الكبرى السادسة عبر شبه الجزيرة العربية

كان الركب هذه المرة يتألف من احد عشر رجلا وسبعة جمال **(رواحل للركوب)** وأحد عشر جملا للحمل، وبعض الخراف لذبحها للأكل على الطريق.

فصلت العير من موقع الجهرة الى بندر الشيوخ ثم اخذت تتابع طريق القوافل المتجهة من الكويت الى بريدة، وكان خروجها في الساعة التاسعة والنصف صباح ٣ فبراير ١٩١٤ **ولم تقطع في اليوم الأول سوى مسافة قصيرة نسبيا لاضطرارها للتخييم بسبب اشتداد المطر.**

في ثالث ايام الرحلة اصبح الركب على بعد ستين ميلا من الربخية وقد سبقوا قافلة بريدة ورغم شدة الريح والمطر كان شيكسبير مواظبا في أخذ سائر قياساته التي اعتاد عليها

وشهدهم يوم ١٢ فبراير وهم ما يزالون في دبدبة في تاسع ايام رحلتهم في أرض قاحلة خالية من التضاريس ينحدر فيها وادي الباطن حوالي مئتي قدم عن منسوب الصحراء من الجانبين، وقد مروا بقصر بلال الى ان وصلوا الى حفر يوم ١٣ فبراير حيث يوجد اربعون بئرا موزعة في سهل دائري.

وفي يوم ١٧ فبراير مروا بقرية الارطاوية حيث تكثر الخرائب القديمة والآبار المهجورة، وعند نهاية الباطن انتهوا الى مجرى ماء جاف تغزر فيه الاعشاب وخيموا في قلبان حيث بدأوا يدخلون منطقة النفوذ ذات الرمال الحمراء. وقد شاهدوا اطلال مخيم لبني طوالا من قبيلة شمر.

وفي يوم ٢١ شباط وصلوا الى عجيبة، فأصبحوا امام عنق الحزام الرملي المسمى بالدهناء وامتداده ستمئة ميل.

في يوم ٢٥ شباط اقتربوا من الزلفي واحة السدير الغنية فخيموا على حافة الطريق الذي يسميه بلجريف **«قوقاز البلاد العربية»** وفي يوم ٢٦ وقفوا على قمة طويق وقد امتد الوادي من تحتهم تطرز حواشيه هنا وهناك حدائق النخيل وصفرة سنابل القمح وقد بدت الزلفي من امامهم.

وتأخذ الرحلة طريقها في ٢٨ شباط من الطويق الى النفود وسبق الغاط في اولى مراحل سيرها. وبحدود ٨ مارس كان الركب يتحرك على ارض قاحلة الى ان انتهى الى بنبان حيث وجدوا بئرا وستة بيوت وعشرة رجال وبعض حقول القمح. وفي ٩ مارس بدت لهم الرياض من البعد ورأوا رجالا ذاهبين لاحضار قطعان الملك من مرعاها في الدهناء وذلك معناه التهيؤ لحركة ما ولاقى الركب ترحيبا جيدا في الرياض، وطفق شيكسبير يصور حركة عمرانية ناشطة لاعادة بناء قصور الاسرة الحاكمة التي كان الرشيديون هدموها خلال فترة استيلائهم على الحكم.

وفي ٢٦ مارس شاهد الركب **عنيزة** التي يسميها المدينة

رحلة في كتاب

العظيمة على حدود القصيم في الطرف الشرقي لوادي الرمة، الذي يصل عرضه الى اكثر من ميل وعمقه الى ٩ أقدام عقب المطر الغزير ولذلك تتوفر المياه هناك، وكان مضيف الركب هو **صالح بن زامل**. ويمتدح **شيكسبير المستوى الحضاري لعنيزة ويقول انها اعادت له جو الحواضر الضخمة بكثرة رجال الاعمال وتقدم مستوى المعيشة.**

وفي ٧ مايو اقتنع شيكسبير كما لم يقتنع لاحقا امام خطر معركة جراب التي صرع خلالها، بأن يرتدي الكوفية والعقال كوسيلة من وسائل الحماية في وجه غارات بدو الحويطات المحتملة، وقد اجتاز الركب وهو يحس بذلك الخطر **وادي السرحان** متوقفا عند **آبار العرفجية** حيث شربوا واستراحوالكنهم لم يجرءوا على نصب الخيام خشية خطر المعتدين من البدو

وفي صباح يوم ١٨ مايو واصل الركب سفره في سيناء الى بير عباس على طريق الحج ووسط جو حار دخلوا النخل الساعة السادسة من مساء الخميس ٢١ مايو حيث أقام لهم مدير الناحية البريطاني استقبالا في منتهى الحفاوة، وراح شيكسبير هناك يكمل مذكراته، **ويبعث بأهم رسائله قبل الشروع في مسيرة النخل – السويس التي كانت تتطلب مسيرة اربعة ايام.** وفي مركز الحجر الصحي في السويس جرى تصفية القافلة ومكافأة عمالها وصرفهم. أما شيكسبير فبعد ان اعد نفسه اخذ القطار للاسماعيلية ليقدم عرضا عن الاحوال السائدة في شمال شبه جزيرة العرب الى كل من **اللورد كيتشنر والسير ريجنالد وينجيت**، وليؤكد لهما أن **ابن سعود** هو القوة الحقيقية التي تنتظرها مستقبل شبه الجزيرة العربية.

واصالة شيكسبير في حب العمل المنظم لا تحجب طبعا اهتمامه بواجباته كوكيل سياسي لحكومته في الكويت. غير انه كان رجلا واضح الذاتية فلا يحجم عن القول والتصرف وفق ما يعتقد رضي من رضي وسخط عليه من سخط. لقد كان رجلا فكتوريا وفارسا وجنديا وبالتالي متشددا في معتقداته وطريقة فهمه للامور. **وليس هناك من شك ابدا في انه اعجب اعجابا خاصا بشخصية الملك عبد العزيز بغض النظر عن متطلبات موقفه السياسي، فهو قد رأى في الملك نموذجا حيا للفروسية والحزم ووضوح المقاصد** وهو قد رأى بالتالي ان من الخير لبلاده ان يكون تفاهمها مع عبد العزيز دون سائر زعماء شبه الجزيرة.

استدعاء شيكسبير لمهمته الاخيرة

بدا شيكسبير في لندن في الشهور القليلة التي سبقت دخول تركيا الحرب الى جانب الالمان **وكأنه رجل مزعج يحاول تعكير صفو الوفاق الانجلو – عثماني لينجح آراءه الثابتة في ابن سعود وضرورة التعاقد العلني معه**، فلما ان تطورت الاحوال وبدا ان تركيا على وشك دخول الحرب، استدعي شيكسبير وعين «**ضابطا سياسيا لواجب خاص**» مسئولا مباشرة أمام كوكس الذي اصبح وزير خارجية حكومة الهند، مهمته الاتصال بابن سعود للتأهب لمباشرة المهام الناتجة عن تحالف مع بريطانيا فيما لو تأكد دخول تركيا المتوقع عندئذ للحرب الى جانب الالمان. **وأصر شيكسبير على القول بأنه لابد من عقد معاهدة بريطانية مع ابن سعود**، لكن معارضته هذه لم تكن لتحول بينه وبين النهوض لواجبه تجاه دولته، وفي يوم ١٠ أكتوبر ١٩١٤ استقل السفينة «**أربيا**» وفي هذه الاثناء اتصل الانجليز **بالشيخ مبارك** في الكويت للاتصال بابن سعود، ليؤكد له حسن نية بريطانيا تجاه العرب وكراهيتها محاربة الأتراك الا اذا اضطروها لذلك.

وفي ١٢ ديسمبر تحرك شيكسبير الى الباطن، وفي ٣١ من نفس الشهر وصل الى معسكر الحرب السعودي **فوجد عبد العزيز على رأس ٦ آلاف مقاتل من نجد والسدير والعارض ومعهم محاربون من القبائل**، وهو غاضب على الانجليز لانهم لم يتقدموا له بأي تأييد فيما كان الاتراك وحلفاؤهم ينتقمون من كل من يخشون ان يعطي ولاءه لابن سعود من القبائل المجاورة لهم. وقد اكد لشيكسبير ان الوكيل الذي جاء بعده في الكويت وهو **الكولونيل جراي** كان رجلا احمق، وانه كان يسعى جاهدا ليقنعه بقبول لقب متصرف نجد، فرفض ذلك فما كان من جراي الا ان قال له: «**اذا لا تستطيع انتظار مساعدة من بريطانيا**».

كان الاتراك قد قدموا دعما كبيرا لسعود بن رشيد، الذي كان يتجه الآن بقواته من حايل الى الزلفي، وتقدم شيكسبير بوعود كثيرة حول تبدل موقف بريطانيا منه، وبعث الى كوكس برسالة يطالب فيها بالحاح ابلاغ موافقة رسمية من بريطانيا بالاعتراف بمطالب ابن سعود وفيما كان ينتظر الجواب، وردت أخبار بأن عبدالله بن حسين شريف مكة قد تقدم بقوات يريد بها الرياض واحتل موقعا على طريق المدينة – الرياض يسمى شرعة، **وقد نصح عبد العزيز كثيرا لشيكسبير ان يباعد بنفسه عن المعركة، ولكن هذا رفض لان مصلحة بلاده ومصلحته مع صديقه تأبى عليه ذلك.**

وفي لحظة الاصطفاف لمعركة جراب اتخذ شيكسبير له مكانا وراء تلة، وعنده مدفع ومعه ناظور وكاميرا وقد رفض طلب عبد العزيز اليه بتبديل ثيابه الأوروبية .. وفي هذه المعركة قتل شيكسبير وذلك في ٢٤ يناير ١٩١٥ وعمره ست وثلاثون سنة وبضعة أشهر، وقبل أيام من اعلان منحه لقب فارس في الامبراطورية.



الشلالات

بين تحديات الطبيعة وإرادة الإنسان

الشلالات عند الشعراء مواقع جمال خلاب، ومناطق جذب ومصدر إلهام.

وعند العلماء مجال دراسات حسابية، ومواقع مشاريع لتوليد الكهرباء.

ثم هي عند السياح مناطق تجمع لمشاهدة آثار فعل الماء، مما يجعل الأرض معلمًا جماليًا يأخذ بالألباب.

الشلال انحدار مفاجئ في مجرى النهر، يؤدي بالمياه المتدفقة الى السقوط عموديا أو ما شابه ذلك. فاذا كانت الشلالات قليلة الارتفاع أو الانحدار فانها تسمى «**مساقط مائية**» .. واذا تكررت «**المساقط المائية**» في مجموعة على امتداد مجرى النهر فإنها تسمى «**شلالات**».

أما إذا كان اندفاع الماء شديدا نتيجة انحدار مفاجئ في مجرى النهر فإن هذا يسمى «**منحدرا مائيا**».

وتعتبر الشلالات – على أية صورة لها – علامات عرضية هي بمثابة مؤشرات للعمر الجيولوجي للتربة. ويرجع تاريخ أقدم الشلالات المعروفة الى الجزء الاخير من العصر الثلثي (وهو الذي




تكّونت فيه سلاسل الجبال العظمى مثل **الألب والهيملايا**) .. أي منذ فترة تتراوح بين ٢½ مليون الى ٦½ سنة عندما أدى ارتفاع قشرة الأرض الى زيادة ارتفاع الهضاب الكبرى والجروف في افريقيا وامريكا اللاتينية. ومن أمثلتها الشلالات التي تنتسب الى ما قبل العصر البلايستوسيني (الذي يرجع تاريخه الى ٢½ مليون سنة) وهي :-

- شلالات «**كالامبو**» المتاخمة لبحيرة تنجانيقا.
- شلالات «**توجيلا**» بجنوب افريقيا.
- شلالات «**تيسيسات**» عند منابع النيل الأزرق، بهضبة اثيوبيا.
- وشلالات «**اينجيل**» بفنزويلا.

شـلالات لها تاريـخ

وعلى أي حال، فسواء عاد بتاريخ الشلال الى آلاف او ملايين السنين، فإن ذلك ليست له دلالة خاصة. بل المهم هو ان الشلال يعوق استمرار جريان النهر، نظرا لطبيعته التدميرية الهائلة.

ومنشأ هذه الطبيعة التدميرية هو انهيار الماء من ارتفاع كبير كجسم متساقط، مؤديا الى وجود ظاهرة التفتت بمنطقة الشلال. وتلك تعتمد على عدة عوامل منها :

أ - ارتفاع الشلال.

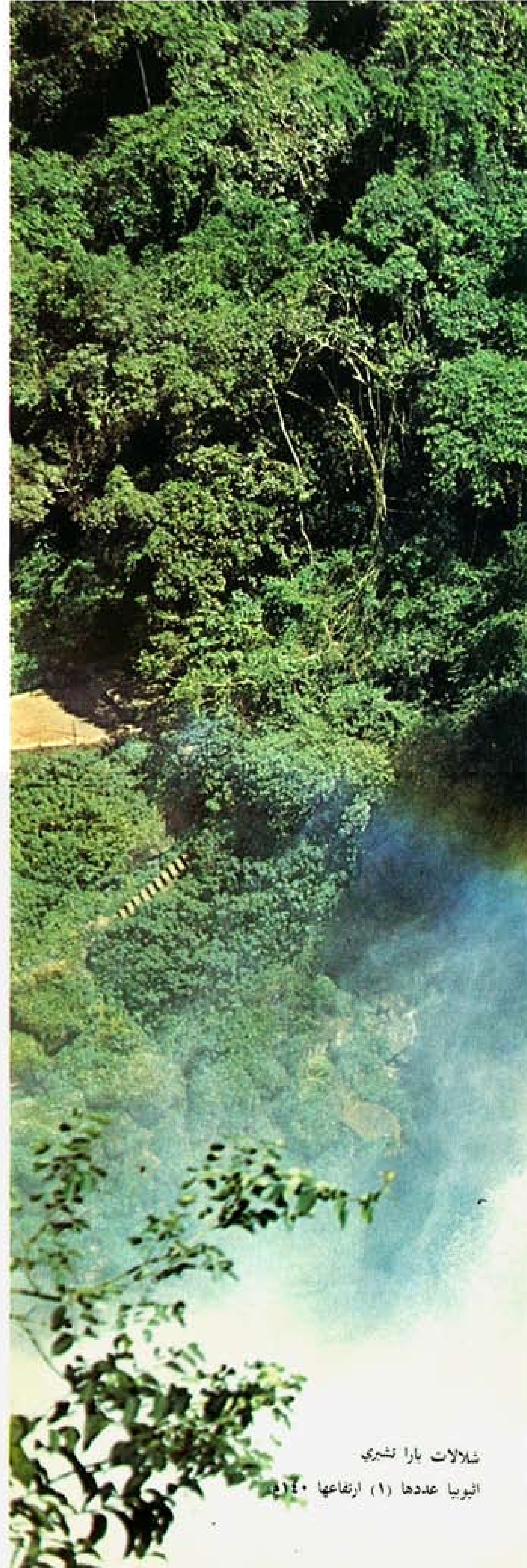
ب - كمية المياه المتدفقة فيه.

جـ - نوعية وتركيب الصخور التي يتعامل معها.

بيد أن الماء -وهو العامل الأساسي في التفتت- يتأثر في سقوطه، بالجاذبية الأرضية التي تؤدي الى سرعة انهياره بمعدل ٩٧٥ سم في الثانية الواحدة. فإذا كان ارتفاع الشلال ٧٥ مترا فإن الماء يقطع المسافة في ٤ ثوان .. أي بسرعة تصل الى حوالي ١٤٠ كم في الساعة. وهذا بالطبع متوقف على كمية المياه المتدفقة بمجرى النهر.

وبالاضافة الى تلك الطاقة التدميرية الناشئة عن تساقط الماء من ارتفاع الشلال فإن هناك عاملا آخر هو بركة المياه المتكونة في قاعه، وما يرتبط بها من مياه تندفع في مجرى النهر من تحت المياه المتساقطة.

وقد لا يكون عمق البركة مساويا لارتفاع الجرف الذي يتكون عنده الشلال. فهو لا يعتمد على الطاقة التفتيتية وحسب



شلالات بارا تشري
اثيوبيا عددها (١) ارتفاعها ١٤٠م

بل وعلى عمر الشلال بمنطقة بذاتها. وعلى سبيل المثال، فإن مجرى نهر **نياجرا**، بالولايات المتحدة الامريكية، في منطقة شلالات «**حدوة الحصان**» يضم من البرك التي تعتبر كلا منها بمثابة موقع دائم، أو مؤقت، في مسار الحركة العامة للشلال. وعلى هذا الاساس يؤول مصير معظم الشلالات الي تحولها، في النهاية الى مساقط مائية لها طاقتها التفتيتية الخاصة.

على ان العلاقة بين ارتفاع الشلال وكمية المياه المتدفقة فيه، علاقة قد تكون عكسية ذلك أن معظم الشلالات التي يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠ متر تكون كمية مياهها اقل من تلك التي تقل عن هذا الارتفاع. ومرجع ذلك إلى تكون الضباب بصفة مستمرة عند قاع الشلال. مثال ذلك، شلالات «**خون**» على نهر الفايكونج جنوبي لاوس التي لا يزيد ارتفاعها عن ٢٢ مترا، في حين يبلغ تدفق المياه فيه حوالي (٤٠٠,٠٠٠ متر مكعب في الثانية) وينطبق نفس القياس على شلالات **فيكتوريا، ونياجرا، ولو أفونسو، وجويرا**.

الانســـان والشـــلال

هذا، ولقد كانت الشلالات دائما مناطق جذب ومصدر الهام للشعراء والعلماء والسياح.

فهي عند الشعراء مواقع جمال خلاب ونبع لعديد من مشاعر الدهشة والإعجاب والمخاطرة ..

وعند العلماء هي مجال دراسات حسابية ومواقع لمشاريع توليد الكهرباء.

ثم هي عند **السياح** مناطق تجمع لمشاهدة أثر حي لفعل الماء كعامل مفتت جبار، يذيب الصخر وينهمر من ارتفاع ناء، ليجعل من الأرض معلما جماليا وطبيعيا يأخذ بالألباب.

الشلالات في العالم

توجد الشلالات في نيف وعشرين دولة، لكن توزيعها بالعالم لا يتخذ شكلا منتظما وذلك ان اجزاء كبيرة من العالم تخلو من هذه الظاهرة، وهو ما ليس بالغريب قياسا الى النسبة الهائلة من مساحة الكرة الأرضية التي تشغلها الصحارى والمناطق شبه الصحراوية والبحار والمحيطات .. إلى جانب السهول المنخفضة، ومناطق القطبين المتجمدين: الشمالي والجنوبي، وأيضا الهضاب.

إلا انه يمكن توزيع الشلالات بالعالم على اساس ثلاثة انواع من المناطق وهي:

١) على امتداد حواف الهضاب المرتفعة، او عند حدودها.
٢) على امتداد خطوط الشلالات التي تحدد المنطقة الممتدة بين الصخور البلورية بالمناطق القارية الداخلية، والتكونات الرسوبية بالمناطق الساحلية.
٣) على المناطق الجبلية الشاهقة، خصوصا تلك التي خضعت للتجلد في الماضي القريب.

الهضاب العالية

وعليها تقع أشهر شلالات العالم، ومنها شلالات «**اينجيل**» بفنزويلا (ويبلغ ارتفاعها ٩٧٩ مترا)، وشلالات **توجيلا** بجنوب افريقيا (٩٤٨ متر) وشلالات **فيكتوريا** على حدود روديسيا وزامبيا (١٠٨ أمتار أرتفاعا)، وشلالات **كالامبو** على حدود تنزانيا وزامبيا (٢١٥ مترا).

ويقدر معدل تدفق المياه في شلالات فيكتوريا ٣٨,٠٠٠ متر مكعب في الثانية، في حين يبلغ معدلها في شلالات جويرا (وهي سلسلة شلالات) على حدود البرازيل وباراجواي ١٣٠٠٠ م^3 في الثانية.

هذا، ويلاحظ ارتفاع ارقام التدفق في موسم الفيضان، كما هو الحال في شلالات **نهر أورانج** وغيرها. كما ان شلالات **جويرا، وايجاكو** (٨٢ مترا) بالبرازيل تقع على حدود الهضاب العالية الواقعة شرق جبال الأنديز، بين فنزويلا والأرجنتين.

خطـــوط الشـــلالات

لو تناولنا شلالات **أوجرابيز** (١٤٦ مترا)، حيث يبعد نهر اورانج عن الصخور البلورية للهضبة الواقعة في جنوب افريقيا، كمثال .. لاتضح لنا أنه من الصعوبة بمكان ان تفرق بين الشلالات الواقعة على خطوط الشلالات، هي تلك المتاخمة للصخور البلورية في جبال ابالبشيان، وعلى السهل الرسوبي الساحلي الممتد شرقي الولايات المتحدة الامريكية. وينتهي خط الشلالات هذا بعدد من المدن على امتداده، تمثل حدود الملاحة الداخلية، وهي مدن: **ترينتون، نيوجيرسي، فيلادلفيا، بالتيمور، ماريلاند، وواشنطن.**

وفي انجلترا كذلك مثال مشابه لعدد المدن الامريكية هذه،



شلالات اجاكو
البرازيل-الارجنتين عددها (١) ارتفاعها ٨٢م

هو **كامبردج** التي تقع على حدود منطقة فينلاندز.

الا ان اوضح مثال على خطة الشلالات هو ذلك الذي يشمل شلالات **تشرشل** (جراند سابقا)، **ولبرادور** (٩١ متر)، **وجوج** (وهي شلالات جيرسوبا)، **و مايسور** بالهند (٢٥٣ متر)، واخيرا شلالات **باولو افونسو** بالبرازيل (٨٤ مترا).

الجبال الجليدية

لا يكاد يتبقى من ظاهرة الجبال والمناطق التي كان يغطيها الجليد في الماضي الا تلك التي تضم شلالات **يوسمايت** بكاليفورنيا (٧٣٩ متر)، وهي تضم شلالات **بيلوسفون ووايومنج** (٩٤ متر)، وكذلك شلالات **ساوزرلاند** بنيوزيلندا (٥٨٠ مترا)، **وكريملر واسرفول** بالنمسا (٣٨٠ مترا).

أما غير ذلك من الشلالات التي تتميز بالارتفاع او بكمية المياه المتدفقة فتوجد في أي مكان من هذه المناطق، اي في جبال الألب، وسيبرانيفادا، وجبال روكي الشمالية بأمريكا الشمالية، وساوت أيلاند في نيوزيلندا.

كذلك يمكن رصد المناطق الخالية من الجليد في أيسلندا، وفي منطقة الوادي المغمور بالنرويج، لأن كلتا المنطقتين تشمل عددا من الشلالات التي يرجع سبب تكوينها الى ظروف جوية

وطبوغرافية مناسبة. الى جانب عدد قليل من الشلالات في استراليا منها شلالات «**ولومومبي**» في نيوساوث ويلز (٤٨٢ مترا).

الشلالات .. أنواع!

لئن كان في الامكان تقسيم انواع الشلالات – كما سبق – حسب موقع حدوثها، وخطوط تواجدها، وماضيها الجليدي .. فان هناك تقسيما آخر لأنواعها يقوم على أساس: «**الطرق النوعية التي تؤدي الظروف الجيولوجية والفسيولوجرافية عند طريقها الى حدوث الشلالات والتأثير فيها**» وذلك من خلال جدول ثلاثي يشمل :–

* الشلالات الناتجة عن تفتت مجرى النهر .. سواء كان ذلك ناتجا عن حركات عمودية في القشرة الأرضية او عن التجلد، او عن عوامل غيرها.

** الشلالات الناتجة عن عوامل التفتت المختلفة، التي تحدث عند مجاورة صخور ضعيفة لصخور شديدة المقاومة، بطريقة أو بأخرى.

*** الشلالات الناتجة عن عمليات تركيبية ينتج عنها الحدود او السدود التي يتساقط من فوقها الماء.



شلالات نياجرا
أو شلالات حدوة الحصان
اونتاريو عددها (١) ارتفاعها ٤٨م



* الشلالات الناتجة عن تفتت مجرى النهر

اذا استبعدنا ما قد يحدث من شقوق نتيجة عوامل تحطيم مجرى النهر والعمليات الانشائية فانه يمكن القول بأن معظم الشلالات تنتج عن هذا العامل ذلك لأن اجزاء كثيرة من القشرة الأرضية تكون في حركة دائمة، بالنسبة لغيرها من الاجزاء المتاخمة لها، وذلك راجع لامتداد أرضية البحر بفعل عوامل التفتت الناتجة عن اصطدام امواج البحر بشواطئه وما ينتج عن ذلك من تآكل في هذه الشواطئ. ومن ثم تؤدي هذه الحركة الواسعة المدى الى وجود طبقة داخل القشرة الأرضية على عمق ما تحت السطح. وعليه تخضع الصخور لمواجهة هذه الظاهرة، فاذا كان وقوعها مفاجئا فانها تؤدي الى حدوث الزلازل.

على العموم، فان الدليل الواضح لهذه الظاهرة هو تكون الجروف أو سلاسل الجروف بامتداد خط واحد او منطقة معينة، وكذلك ظاهرة السطوح المنحدرة التي يتكون منها الجرف.

هذه الحركة الرأسية – **التي ينشأ عنها الزلزال** – قد تؤدي الى ارتفاع قشرة الأرض في منطقة وقوعه، الى حوالي ثلاثة أمتار في الزلزال الواحد. ومع تكررها في منطقة بعينها او على امتداد خط ما، فانها تؤدي الى ارتفاع قشرة الارض لمئات من الامتار قياسا بالفترات الجيولوجية القصيرة.

واذا وقعت ظاهرة ارتفاع القشرة الارضية هذه في منطقة مائية فانها تؤدي الى ظهور الشلالات.

وعلى ان ارتفاع القشرة الارضية لا يعتمد على ظاهرة الارتفاع هذه فحسب بل على مدى رد الفعل الواقع للقشرة الارضية في منطقة النهر. لذلك، فان هذه الظاهرة ترتبط زيادة ونقصانا، بردود الفعل المتمثلة في انخفاض الارض في منطقة النهر، وذلك في تلك المناطق من العالم التي يتكرر فيها ظهورها.

وكذلك، قد تتكون بعض الهضاب، نتيجة ارتفاعات قد تكون اقليمية او تشمل مناطق اكثر اتساعا، وتتخذ صفة الاستمرار النسبي .. لكنها لا ترتبط عادة بظهور الشلالات، ولا بوقوع الزلازل. ومن ثم يمكن اعتبار كل هذه الظواهر جميعا (ارتفاع القشرة الارضية او تكون الهضاب) كعوامل مؤدية الى ظهور الشلالات.

وقد يرتبط ظهور الشلالات بوجود الأودية المعلقة، وهي التي تحدث عندما يفتت الجليد المتجمد احد الاودية مخلفا وراءه واديا فرعيا (او رافدا) معلقا على مستوى اعلى من المستوى الاصلي للوادي. ثم تتساقط مياه هذه الاودية الفرعية – بعد ذوبان الجليد واندحاره – لتتصل بمياه الوادي الأصلي الأسفل. كذلك يمكن حدوث هذه الاودية المعلقة بفعل عوامل التعرية في بعض الأماكن غير الجليدية كما في الأجراف الجيرية بانجلترا مثلا.

وقد يكون الجليد سببا في وقوع بعض الظواهر كالأخاديد والمدرجات الجليدية. اما الأخاديد فان البعض يعتقدون انها نتيجة تدفق الجليد في مكان التجلد مما يؤدي الى تكون حفر شبه اسطوانية في مرقد الثلاجات تحت مجرى التدفق. ثم تتسع هذه الحفر وتزداد عمقا نتيجة جريان الجليد الذائب الذي يزداد ثقلا بفعل الحصى والركامات التي يجرفها معه، فيؤدي ذلك الى ظهور المساقط المائية في كثير من الحالات.

اما المدرجات الجليدية فتشمل انحدارات وارتفاعات ضخمة نسبيا، ناتجة اصلا عن مرور الجليد على الصخور، خصوصا عند مقاومتها – بشكل متباين – لتدفق الجليد. كذلك يؤدي التيار المائي الناتج عن انصهار الجليد الى وجود سلسلة من الشلالات او المساقط المائية في كل بقعة من هذه المدرجات.

وأشهر هذه المدرجات، هي الأودية السحيقة العمق، والناتجة عن السواحل الجليدية الماضية بالنرويج.

على ان ظهور الشلالات يرتبط بوجود هذه الأودية نظرا لارتفاع جدرانها وانخفاضها ولوجودها بصفة عامة في المناطق التي تعرضت للتجلد وتكونت بها الثلاجات في ماضيها البعيد.

** الشلالات الناتجة عن عوامل التفتت المختلفة

تختلف الصخور باختلاف مقاومتها لعوامل التفتت الناتجة عن المياه الجارية. ورغم عدم توفر معدلات عددية لقياس درجة التفتت هذه، الا أن هناك اتفاقا على عدد من العموميات. ذلك أن الصخور المتحولة (وهي التي تكونت من صخور تعرضت لعوامل درجات الحرارة والضغوط المرتفعة) تكون أكثر احتمالا من الصخور الرسوبية. ومن ثم تتوفر فيها درجات للتباين تؤدي الى اختلاف درجة التكلس وانواع الصخور المتاحة. كذلك تكون خصائص الصخور الكربونية


شلالات فيكتوريا روديسيا-زامبيا عددها (١) ارتفاعها ١٠٨م

(وهي الجيرية والدولوميت) عن صخور بركانية متبلورة (تكونت نتيجة برود الحمم البركانية) تميل - رغم ضعف مقاومتها للتفتت - الى **تفريز** مقاومتها للتفتت النهري.

والواقع أن هناك عددا من العوامل الفعلية التي تؤثر في مقاومة الصخور للتفتت وهذا هو سبب اثارة مسألة العموميات التي تحدثنا عنها على انه يكفي القول بأن هذه الصخور تعتبر ضعيفة في مواجهة عوامل أخرى قوية، ولذلك توجد الشلالات حيث تتوفر هذه الظروف.

وفي الطبيعة ثلاثة عوامل جيولوجية هي :-

*- الطبقات الافقية، او شبه الأفقية، التي ترقد فيها الصخور الشديدة المقاومة فوق غيرها من الصخور الضعيفة المقاومة فيتكون عنها غطاء من الصخور الواقية.

**- الطبقات التي تضم مراقد أو طبقات صخرية متفاوتة المقاومة.

***- طبقات الصخور غير الرسوبية، التي تتكون فيها حواجز أو ممرات من الصخور البلورية الملتصقة بصخور ضعيفة.

وفي هذه الحالات جميعا يكون تفتت الصخور الضعيفة، بفعل المياه الجارية، أكثر سهولة وسرعة في حين تبقى الصخور الشديدة المقاومة أكثر ارتفاعا فتكون هي «**صانعة المساقط المائية**».

أما في بعض الخاصة، فإن الشلالات تنتشر أعلى النهر، لأن الطبقات الواقية العالية تتكسر نتيجة لتفتت الطبقات المتآكلة من تحتها.

هذا وتعتبر شلالات **نياجرا** (التي يرجع تاريخ نشأتها الى ١٢ ألف سنة مضت، عندما ارتدت الثلاجات الى أسفل خطوط العرض الوسطى) أبرز مثال على هذه الحالة، لأن القشرة الارضية في مناطقها تتكون من صخور رسوبية.

** الشلالات الناتجة عن عمليات تركيبية

توجد أربعة عوامل تركيبية أساسية تؤدي الى وجود السدود

او العوائق، ومن ثم الى ظهور الشلالات وهي:

أ- ترسب كربونات الكالسيوم من المواد السائلة.

ب- تمزق المجرى المائي بواسطة الحمم البركانية، او تكون الرماد البركاني والمواد القلز البركانية الأخرى.

جـ- السدود الجليدية وركامات الأتربة والحجارة التي تجرفها الأنهار الجليدية، أو الطبقات الرسوبية المتراكمة على جانبي الانهار الجليدية السابقة.

د- تكون المنحدرات الأرضية وأطلال الكتل الجليدية المنهارة.

وقد يؤدي **العامل الأول** - وهو ترسب الكربونات - الى اعاقة الجريان الطبيعي للنهر. ومن ثم يوجد الشلال. اذ أن المياه التي تكون في الكهوف الجيرية، قد تكون غنية بكربونات الكالسيوم التي قد تترسب على العوائق فترتفع الى حوالي ١٥ مترا تحت ظروف معينة. وهي التي تسمى «**السدود الجيرية**» او الشلالات.

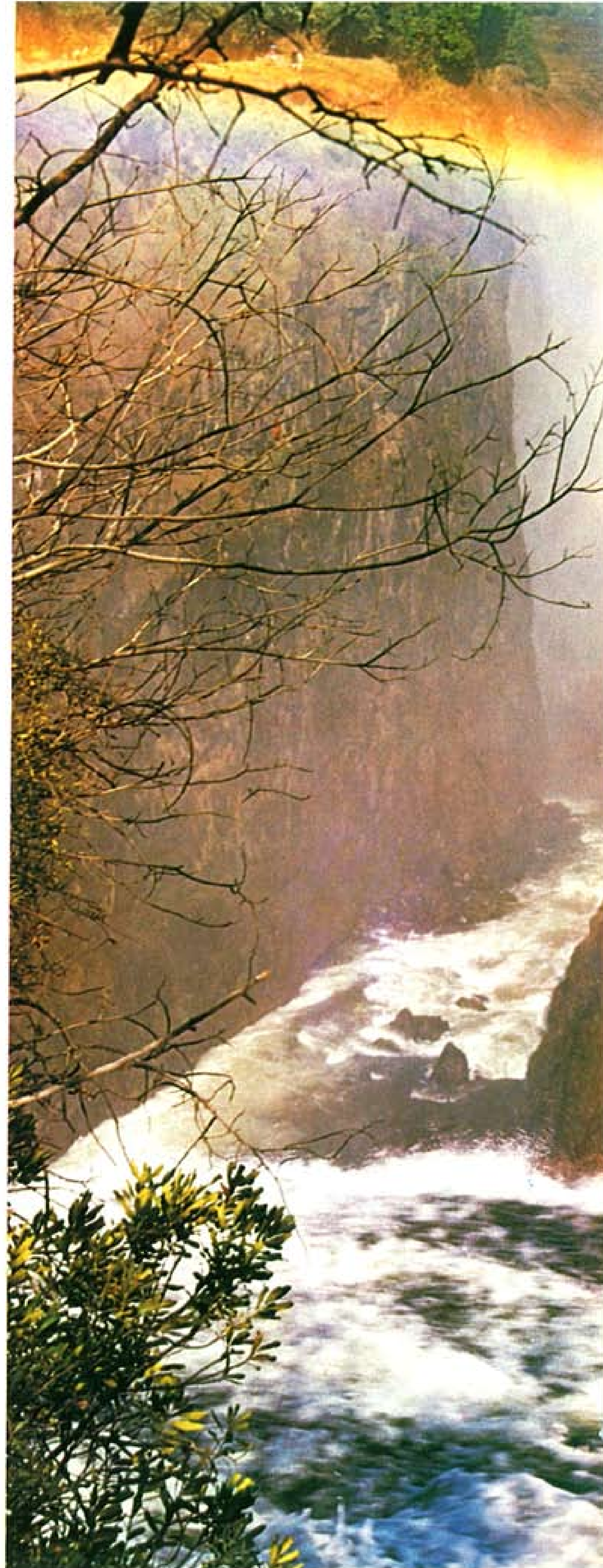
أما النشاط البركاني الذي يتمثل في حمم البازلت، فان له صلة بتطور الشلالات في كثير من أرجاء العالم. اذ تؤدي هذه الحمم الى تكوين مناطق الهضاب العظمى، كما في منطقة نهر كولومبيا بالولايات المتحدة الامريكية، والهند.

ولقد لوحظ، أخيراً، ارتباط ظهور الشلالات بالهضاب - الا أنه - الى جانب ذلك يمكن القول بأن ظهور الشلالات قد يكون ناتجا عن تحول المجرى المائي والمستنقعات والأنهار.. بسبب السدود الناشئة من الحمم البركانية، وهو ما حدث في بعض اجزاء **نيوزيلندا**، **وهاواي**، .. وبصفة عامة في المناطق التي يعتبر النشاط البركاني فيها شيئا مألوفا.

أما السدود الجليدية، فانها قد تحدث آثارا مشابهة. ومن أهم الأمثلة على ذلك المساقط المائية الجافة بهضبة نهر كولومبيا بواشنطون، والتي تكونت في العصر البلايستوسيني.

وتوجد هذه المساقط بامتداد مجرى النهر. وقد يصل ارتفاعها الى حوالي ١٢٠ مترا وعرضها الى حوالي خمسة كيلومترات. ولقد أعاد نهر كولومبيا شق مجراه في اتجاه البحر، وكان ذلك في عصر اختفاء الثلاجات، وهذا هو سبب جفاف المساقط المائية والشلالات بتلك المناطق.

وتعتبر الركامات الترابية، التي يجرفها النهر الجليدي، من العوامل التي تؤدي الى اعاقة مجرى النهر. وقد يصل ارتفاعها الى حوالي ٢٥٠ مترا، كما في الأودية السابق تجلدها بجبال الألب. ولهذا تتسم المساقط المائية الناشئة عن هذه الظروف بعدم



الثبات، نظرا لأن المادة القابلة للتفتت، التي تتكون منها هذه العوائق، تتحطم بسهولة نسبية، ومن ثم يعود النهر الى الجريان في مجراه الأول. لكن الظاهرة الأكثر اهمية في الطبيعة هي الحمم المتدفقة والثلاجات التي تؤدي الى سد مجاري الأنهار، لأن الحمم البركانية تتكون من مواد شديدة الاحتمال ولهذا تؤدي دورها كعوامل تفتيت هائلة.

الشلالات .. تتطور!

من المؤكد ان الشلالات تتطور – مع مرور الوقت – اما لأن تكون مصبات متنقلة للأنهار كما في حالة الشلالات الناتجة عن زحف الركامات البركانية، واما الى ان تؤدي دورها كبؤرة لسلسلة من التكسرات الصخرية التي تكون الشلالات مرحلة من مراحلها.

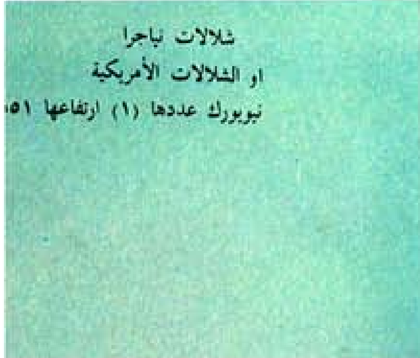
على ان القضية تعتمد – في أي من الحالتين – على ارتفاع الشلال، وكمية المياه المتدفقة فيه، وطبيعة الطبقات الصخرية المتاحة.

وتعتمد مناقشة تطور الشلالات على فهم هذه العوامل.



شلالات اينجيل
فنزويلا عددها (٢) ارتفاعها ٩٧٩م





شلالات نياجرا
او الشلالات الأمريكية
نيويورك عددها (١) ارتفاعها ٥١



الثلاثة. والأهم من ذلك هو معرفة حالة الأرض قبل تكون الشلالات في مناطق ظهورها.

وعلى ان الحقائق المتوفرة عن عوامل التفتت التي أدت الى تكون شلالات «حدوة الحصان» على نهر نياجرا، تعتبر قليلة الى حد ما بالنسبة لوفرتها في أي منطقة أخرى. ولقد أجريت عمليات المساحة الآلية والتصوير لمواقع هذه الشلالات في اعوام ١٨٤٢، ١٨٧٥، ١٨٨٦، ١٨٩٠، ١٩٠٥، ١٩٢٥، وأخيرا عام ١٩٥٠م. كما أجريت عمليات تصوير بصرية عام ١٦٧٨. ولهذا يجب قياس تطور أي شلال على أساس الأرقام التي أمكن التوصل اليها بالنسبة لشلالات «**حدوة الحصان**».

وعلى أي حال، فيجب ان يوضع في الاعتبار ان معدلات التفتت التي تنتسب اليها الشلالات الناتجة عن الصخور البركانية المتساقطة، ليست هي، بالضرورة، المعدلات السائدة في هذا النوع من الشلالات، وسبب ذلك أنها - بالتأكيد - لا تنطبق على الشلالات الناتجة عن غير هذا السبب، كما في الصخور البلورية، مثلا، حيث تكون معدلات التفتت بطيئة.





شلالات فيكتوريا
روديسيا–زامبيا عددها (١) ارتفاعها ١٠٨م

شلالات «حدوة الحصان»

بالامكان معرفة معدلات التفتت لأي شلال عن طريق تحديد المسافة الكلية للتنقل بأعلى النهر، والمدة التي يستغرقها. وفي حالة شلالات **«حدوة الحصان»** تبلغ المسافة الكلية حوالي ١٢ كيلومترا، كما تقدر فترة تكونها بحوالي (١٢٥٠٠ سنة) منذ اختفاء آخر الثلاجات من المنطقة. وعلى هذا الأساس أمكن تحديد المعدل السنوي للتفتت بمتر [illegible] سنويا.

وتشير عمليات المساحة الآلية الى ان المعدل السنوي كان خلال المدة من عام ١٨٤٢ الى ١٨٧٥م يقدر بـ ١٫٢ مترا، وبلغ مترين سنويا في المدة من ١٨٧٥ الى ١٩٠٥م.

وبالمقارنة يتضح ان معدلات التفتت بالمجرى الأسفل للنهر تبلغ ٨ سنتيمترات سنويا، نتيجة لعوامل التصدع التي يحدثها نهر نياجرا.

وعموما، فان معدلات التفتت – ترتبط – الى حد ما – بالظروف المتفاوتة لمقاومة الصخور للتفتت.

والواقع ان الفرق في معدلات التفتت في المدة من ١٨٤٢ – ١٨٧٥ والمدة من ١٨٧٥ – ١٩٠٥م في شلالات **«حدوة الحصان»** والتي كانت تنسب في الماضي الى اخطاء محتملة في عمليات المساحة، ترجع الى كثرة التصدعات في اجزاء مختلفة

مجلة الفيصل – ص ١٠٢

اسم الشلالات	عددها	موقعها	ارتفاعها بالمتر
اينجيل	٢	فنزويلا	٩٧٩
توجيلا	٥	جنوب افريقيا	٩٨٤
يوسميت	٣	كاليفورنيا	٧٣٩
سوذرلاند	٣	نيوزيلندا	٥٨٠
مارد السفوس (الشرقية)	١	النرويج	٥١٧
تكاكاو	١	كولومبيا البريطانية	٥٠٣
ريبون	١	كاليفورنيا	٤٩١
ولوموبي	٢	استراليا	٤٨٢
جافارين	سلسلة شلالات	فرنسا	٤٢٢
كريملر فاسرفول	٣	النمسا	٣٨٠
ستوباتسن	١	سويسرا	٣٠٠
جيرسوبا	١	الهند	٢٥٣
كيتور	٢	جوانا	٢٥١
سكيكجفوس	١	النرويج	٢٥٠
كالامبو	١	تنزانيا - زامبيا	٢١٥
فيري	١	واشنطون	٢١٣

من صخور الدولوميت. ولقد كشفت الدراسات المعاصرة عن جانب آخر اكثر اهمية، وهو تصوير قمة الشلال، ومدى الثبات النسبي الذي يظهر في هذه التصويرات.

تكشف خريطة مواقع شلالات «**حدوة الحصان**» منذ اكتشافها لأول مرة عام ١٦٧٨م - ان قمتها بالمجرى الاعلى للنهر قد تغيرت بمرور الوقت. كما تكشف ان شكل القمة هذه كان على هيئة قوس دائري، واحيانا قوس منكسر على هيئة حرف ٧ ولقد لوحظ شكل القمة على هيئة القوس الدائري في الصور التي أخذت لها في اعوام ١٦٧٨، ١٧٦٤، ١٨٤٢، ١٩٢٧م هي نفس الصور الموجودة حاليا. أما عمليات المساحة التي اجريت اعوام ١٨١٩، ١٨٨٦، ١٨٩٠م فتظهر وجود ممر جبلي واضح ممتد لمسافة ٩٠ مترا.

ولقد أتضح ايضا ان ظاهرة التفتت ووجود برك في مرقد نهر **نياجرا** تتفقان مع اثنين من عمليات تصوير قمة الشلال. فقد كان التفتت سريعا - أساسا - عند وجود الممر الجبلي المشار اليه، حيث أتفق ظهور البرك العميقة مع ظهور شكل القوس بقمة الشلال، ومن ثم أدى ازدواج هاتين الظاهرتين الى تفسير تطور الشلال فيما يتعلق بتصوير قمته.

على ان اكثر عمليات تصوير قمة الشلال ثباتا هي صورة القوس، وذلك لان الطاقة التفتيتية للمياه المتدفقة تميل الى التوزع بانتظام على امتداد القمة. ونظرا لثباتها، فان معدل التفتت يكون بطيئا. ومن ثم تميل الشلالات الى التواجد في

اسم الشلالات	عددها	موقعها	ارتفاعها بالمتر
ريتشنباتش	سلسلة شلالات	سويسرا	٢٠٠
ماليتسونيان	١	ليزوتو	١٩٢
بريدالفيل	١	كاليفورنيا	١٨٩
فرنجسفوس	١	النرويج	١٨٢
أوجرابيس	١	جنوب افريقيا	١٤٦
باراتشيري	١	إثيوبيا	١٤٠
اكاكا	١	هاواي	١٢٨
جويري	سلسلة من ١٨شلالا	بارجواي بالبرازيل	١١٤
فيكتوريا	١	روديسيا – زامبيا	١٠٨
كوفري	١	الهند	٩٨
بيلوستون (الشلالات الواطئة)	١	ويومنج	٩٤
تشرشل (الكبرى)	١	لابرادور نيوفوندلاند	٩١
باولوافونسو	١	البرازيل	٨٤
أجاكو	١	البرازيل الارجنتين	٨٢
نياجرا (أو شلالات حدوة الحصان)	١	اونتاريو	٤٨
نيــــــــاجرا (الشلالات الامريكية)	١	نيويورك	٥١

مكان واحد لمدد طويلة نسبيا. كذلك يؤدي تساقط المياه، في مكان واحد ولفترة طويلة، إلى زيادة نسبة التآكل في قاع الشلال. ولهذا يضم مرقد شلالات نياجرا سلسلة من البرك العميقة التي تمثل كلا منها موقعا ثابتا للشلال عند وجود شكل القوس على قمته.

وعموما فان شكل القوس بقمة الشلال يتحطم باستمرار تساقط الواح الصخر. ويؤدي ازدياد تدفق المياه، وامتداد عمر الشلال، دائما الى ان يتخذ القوس شكل حرف « ٧ » أو ان يتحول الى ممر جبلي.

وهكذا يعتبر تاريخ ظاهرة التفتت في شلالات **«حدوة الحصان»** تاريخا لظاهرتي التنقل السريع والبطيء للمجرى العلوي للنهر، على أساس العمليات المتعاقبة لتصوير قمة الشلال.

على انه ليس هناك داع للاعتقاد بعدم تطابق هذه الظاهرة العامة لتطور الشلالات مع معظم أنواع المساقط المائية الناشئة عن تفتت الطبقات الصخرية، فقد تختلف التفاصيل باختلاف انواع الصخور وتركيباتها وغير ذلك من العوامل. وعلى هذا الاساس فليس هناك نمط معين لمقارنة مختلف انواع الشلالات.

وعليه، فإن تطور جميع انواع الشلالات ليس قضية جامدة تميل الى ظاهرة التفتت الذاتي وحدها، اذ ان النهاية مؤكدة .. سواء قيست ظاهرة الشلالات بآلاف السنين او بملايينها.



الشعر النبطي كمصدر لتاريخ نجد

بقلم : د. عبد الله العثيمين

لعل من نافلة القول الاشارة الى أن بعض الأقطار أوفر حظا من البعض الآخر من حيث تدوين تاريخها وتعدد مصادره، لما لهذه وتلك من ظروف خاصة. ومناطق جزيرتنا العربية لا تخرج عن هذه القاعدة، فبعض مناطقها كالحجاز واليمن حظيت بعناية المؤرخين في عصور مختلفة بدرجة لا بأس بها، لما للحجاز من مكانة رفيعة في نفوس المسلمين، ولما ظهر في اليمن من علماء اهتموا بكتابة تاريخ بلادهم. وبعض مناطق هذه الجزيرة كنجد لم تحظ بمثل تلك العناية لظروف معينة مرت بها.

مضت عدة قرون قبل ظهور حركة **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** والمعلومات المدونة في المصادر التاريخية عن نجد تكاد تكون نادرة، والاشارات العابرة التي وردت عنها في تلك المصادر غير متصلة. وبعد قيام حركة الشيخ كتب عن هذه المنطقة الشيء الكثير وان كان غير واف من بعض الوجوه. وعلى هذا الأساس فإنه لابد للباحث من استعمال جميع الوسائل الممكنة التي تساهم في رسم صورة واضحة لتاريخ هذه البلاد، ووصل ما انقطع من سلسلة الأحداث فيها طيلة القرون السابقة للحركة المذكورة، واكمال ما هو ناقص من بعض النواحي في الكتابات التي دونت عنها بعد قيام تلك الحركة.

الشعر ديوان العرب

والشعر العربي من أهم مصادر تاريخ هذه الأمة الشاعرة في مختلف العصور وفي سائر جوانب حياتها. وقديما قيل «**الشعر ديوان العرب**». وغالبا ما أعطى الباحثون هذا المصدر حقه من العناية والدراسة. وكثيرا ما أمدهم ذلك الشعر بما يبحثون عنه من معلومات مفيدة في مجالات بحوثهم المختلفة. واذا كان الشعر العربي المتقيد بضوابط الاعراب قد اعتني به واستخدم فقدم خدمة جليلة للباحثين، **فإن الشعر النبطي متى نال مثل تلك العناية واستخدم كذلك الاستخدام سيعطي للدارسين خدمة لا تقل عن تلك التي اعطاها ولا يزال يعطيها الشعر الأول**. وسنرى من خلال هذا البحث المتواضع جوانب مما يمكن أن يؤديه الشعر النبطي بصفته مصدرا من مصادر تاريخ هذه البلاد.

ولعله من الواضح ان هذا البحث لا يهدف الى دراسة الشعر النبطي دراسة فنية. غير أن اشارة بسيطة للتعريف به وما حظي به من عناية قد تكون مستحبة في هذه المناسبة.

ما المقصود بالشعر النبطي

المقصود بالشعر النبطي ذلك اللون من الشعر العربي الذي لا يتقيد في غالب الأحيان بقواعد إعراب اللغة العربية وصرفها ولا ببحور الشعر المعهودة.

وهناك من يسميه **الشعر العامي** أو **الشعر الشعبي**، وهناك من يدعوه **شعر البادية**. والتسميتان الأوليتان ترمزان الى معنى واحد وهو ان الفاظ هذا الشعر هي الألفاظ التي يتكلم بها عامة الناس أو سائر الشعب لا لأن الذين يقولونه هم العامة وحدهم فذلك خلاف الواقع. فهناك أناس من الخاصة وعلية القوم قالوه، وهناك افراد من المشهورين كتبوه كما كتبوا الشعر المتقيد بقواعد اعراب اللغة. ولعل أبرز مثال على هذا **شاعر نجد الكبير/محمد بن عثيمين**. وأما اطلاق شعر البادية عليه فتعريف قاصر لأن الحضر لا يقصرون باعا فيه عن البدو بل ان اكثر اصحاب الدواوين الكبيرة فيه من السكان الحضر.

ويرى الاستاذ **خالد الفرج** ان في تسميته بالشعر النبطي دليلا على انه قد أتى الى نجد من سواد العراق أو مشارف الشام لأن اسم الأنباط كان يطلق على فلاحي تلك الجهات التي لحق التحريف اللغة العربية فيها قبل جزيرة العرب.

وقد يكون في هذا شيء من الحقيقة، وقد يكون سبب التسمية ان قائله لا يتقيد باعراب اللغة العربية لانه لا يتقنها مثله في ذلك مثل رجل الأنباط. فكان في تسميته اول الأمر نوع من الازدراء، ثم أصبحت التسمية عَلَماً عليه. **ولذا فهو شعر محلي لم يفد الى المنطقة من الخارج.**

ويعود اول ما روي لنا من هذا الشعر الى القرن السابع الهجري. وظل متوارثا من جيل الى آخر حتى العهد الحاضر. وقد دخلت اليه عبر القرون انواع من التطور. ويلاحظ انه كلما قرب عهده من الوقت الحاضر زاد بعده عن الشعر الملتزم بقواعد العربية على العموم. وظل محفوظا عن طريق الرواية الشفهية في الغالب. ولم يكن قائلوه يكتبونه الا قلة مثل **محمد العبدالله القاضي**. وكان العلماء والمؤرخون يتفادون تسجيله **فابن بشر** – مثلا – حينما تحدث عن معركة الخرمة سنة ١٢١٢هـ قال: «**وقد أنشد في هذه الوقعة شعر كثير ولكن ليس على اللفظ العربي**». وعندما تكلم عن اغتيال **الامام تركي بن عبدالله** قال: «**وقد رثاه رحمه الله عدد كثير من الشعراء ولكن ليست على اللفظ العربي فلا تليق بهذا الكتاب**». على انه كان يوجد هواة عنوا به فدونوا ما راق لهم منه.

ومنذ أواخر القرن الماضي كثر المهتمون بتدوينه ونسخه. وكان هناك من يدونه ميلا اليه. وهناك من كان ينسخه للارتزاق منه. وكان هناك من يسجله للاستحسان والارتزاق معا.

وأول ما طبع من الشعر النبطي ديوان صغير للشيخ **قاسم بن ثاني** سنة ١٣٢٨هـ. ثم توالت طباعته على هيئة دواوين او مجموعات. وفي الفترة الاخيرة جعلت له برامج خاصة في بعض الاذاعات. وبدأ الباحثون بدراسته. وكان من رواد المهتمين بطباعته المرحوم **خالد الفرج**. ومن رواد دارسيه الأستاذ **عبدالله بن خميس**.

والملاحظ ان الشعر النبطي رغم ما لحقه احيانا من خروج

على قواعد اعراب اللغة هو أقرب الاشعار الدارجة في البلدان العربية الى الشعر العربي الملتزم بتلك القواعد من حيث الألفاظ والبحور والأغراض والدور المؤدى. ولم يكن متوقعا ان يكون غير ذلك وقائلوه ابناء قلب الجزيرة العربية الذين فرضت عليهم ظروفهم الجغرافية ان يظلوا ابعد العرب عن التأثر بالمؤثرات الخارجية عبر القرون. وظلت حياة كل جيل من هؤلاء الابناء مشابهة لحياة الجيل الذي سبقه بكل جوانبها. بقيت المثل الاجتماعية والعادات والأخلاق عربية أصيلة كما كانت منذ عصور قديمة بحسناتها وسيئاتها. ولم يبدأ التغير الحقيقي لما ذكر الا بعد تدفق النفط على أرض هذا الوطن، وما تلا ذلك من ثروة واختلاط بالاجانب ترك بصماته على كثير من أمور حياتنا ومنها الشعر. فبعد ان كان رسول الشاعر يقال له:

ياراكب من فوق حر مشذّر
ما دنّق الرقاع يرقع رهوقه
امه لغتنا من عمان تذكّر
وابوه من قعدان علوي عموقه
يشبه ظليم من جذيب تحدّر
والا النداوي يوم تطلق سيوقه

اصبح يوجد من يقول له:

راكب اللي لا مشي يسهي سهيان
ما يداني رجل سواقه تنوشه
ان عطى له مع طمان او بيان
والدريول شد سكانه يهوشه

وبعد ان كان الوطبان يصف مشاعره بقوله:

كنّي خلوج تنهض الصوت وتهيت
وحوارها الراعي تعشى شواته
كنّه ينقزها عن الرعي عفريت
والشرب كنّه تنقره من صراته

اصبح يوجد من يعبر عن مثل تلك المشاعر بالقول:

حن قلبي حن ماك على سمر العجل
عشق السواق والدرب ممسوك وراه
ان عطى مع طلعة عشقوا له بالدبل
وان تسهل ريحّه لين ياصل منتهاه

الاستدلال التاريخي بالشعر النبطي

يمكن استخدام الشعر النبطي في دراسة العصور التي سبقت قوله. كما يمكن استخدامه في دراسة العصر الذي قيل فيه. وتجدر الاشارة الى كيفية الاستفادة منه في المجال الأول وان كان المقصود في هذا البحث التركيز على المجال الثاني.

ذكرنا ان سكان قلب الجزيرة العربية ظلوا عبر قرون طويلة حتى فترة قريبة جدا أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا. ومن هنا فان شعرهم في هذه القرون يلقي اضواء على كثير من جوانب حياة أسلافهم الذين كانوا يشابهونهم في مختلف هذه الجوانب.

كثيرا ما شك بعض الباحثين في الشعر الجاهلي لأسباب متعددة من بينها ان منه ما نسب الى شاعر من قبيلة لها لهجة خاصة فورد في ذلك المنسوب كلمات ليست من تلك اللهجة. ومع الايمان بوجود الانتحال بالنسبة لذلك الشعر القديم فإننا نود أن نلفت النظر الى حقيقة هامة وهي أن شعراء النبط لا يتقيدون دائما بلهجة مناطقهم او قبائلهم الخاصة وانما يخرجون عنها احيانا. مثال ذلك ان ضمير الغائبة يختلف لفظه في لهجة سكان منطقة عن لفظه في لهجة سكان منطقة أخرى. **والخلاوي** يقول:

قم يافتى واختار للسير جسره
كنوم الرغا منجوبة الخال حايل
وملها امام سهيل عشرين ليلة
وتلغي نفود السر ملوي الرمايل

فهو يستعمل ضمير الغائبة كما هو شائع «**ملها**» ولكنه يستطرد فيقول:

اصغَه يسار صوب وادي حنيفة
تلقى بها المرعى وهجل المخايل

وهو هنا لا يستعمل ضمير الغائبة مثل استعماله له قبل ذلك. والعوني من القصيم. ومعروف ان سكان تلك المنطقة يسكنون ضمير الغائبة ويفتحون ما قبله. ولكنه يقول في مطلع قصيدته المشهورة بالخلوج:

خلوج تجذ القلب باتلي عوالها
تكسر بعبرات تحطم سلالها
تهيض مفجوع الضماير بحسها
الى طوحت حسه تزايد هجالها

وعلى هذا الاساس فما وجد في قصيدة قديمة من تعبيرات ليست من تعبيرات سكان منطقةالشاعر الذي نسبت اليه القصيدة لا يكفي للتشكيك في صحة كونها له.

ومن دلالات الشعر النبطي على ما سبق عصر قائليه – كما يذكر علامة الجزيرة **الشيخ حمد الجاسر** – ايضاحه لتعابير لغوية ولهجات عربية قديمة وردت في كتب القدامى.

ويستفاد من الشعر النبطي الشئ الكثير في محاولة فهم ما قد يكون غير واضح من عادات وتقاليد ومعرفة الشخصية العربية نظرا لأن الحياة الاجتماعية كما قلنا لم تتغير الا حديثا. ومن أهم دلالات هذا الشعر على الماضي فوق كل ما سبق تحديده لأمكنة وردت في اشعار الأقدمين أو في كتابات من تحدث عنها ولم يستطع من درس تلك الاشعار او الكتابات تحديدها او معرفتها. وقد استعمل الشعر النبطي في هذا الغرض المرحوم **محمد بن بليهد** في كتابه صحيح الأخبار. ويستعمله الآن اساتذة أجلاء من أبناء هذه البلاد في كتاباتهم القيمة لاخراج معجم جغرافي لمناطق مختلفة من وطننا العزيز.

من شعراء النبط الذين تحدثوا عن بعض القوى المعاصرة لهم في نجد **راشد الخلاوي** الذي اشار الى زعيم يقال له **ابو سالم** كان له نفوذ في وادي حنيفة كما اشار الى ان جو الثلما كان من الموارد التي ترتادها الظفير ولا وفئات من عقيل:

اصغه يسار صوب وادي حنيفة
تلقى بها المرعى وهجل المخايل
دارٍ لبو سالم فتى طال شبره
شيخ الكمام ومنتدي كل سايل
فالى جيت في جو الثلما بنزله
وقد لمّ جال الما رجال القبايل
وتجمعوا لك من ظفير وغيرهم
ولام ومعهم من عقيل حمايل
فاكشف عليهم من بعيد بناظر
واعقل من الرعيان رمز المثايل

ثم يصف قوم ممدوحه بقوله:

عيّــالهم تيزيك عيّــال غيرهم
وعقّــالهم تيزيك قـول وقـايـل
نزاريــــة تحدى لحدى ربيعــه
منبعيـة تـدعي وفاة الخصايل
نما هم نجيب الخال من نسل سالم
رب الوري يكفيه ما دال دايل

ويدعو لهم بقوله:

رعي الله حي للمنيعي وقومه
واسقاه من غرا لغوادي سحايبه
عسى سر بهم مرعاه باكناف حاجر
ومن فوق وادي السيح نرعي ركايبه
سحاب الحيا اسقاه واروي وعلّه
وخشم الثلما فاض واروي شعايبه

وكان منيع بن سالم صاحب نفوذ في الاحساء وما حولها:

فلولا منيع سور هجر وبابها
وابنا عقيل عصبه من قرايبه
لك الله ما سنعت لسهيل ناقتي
ولولاه ما نوّخت يبرين شاربه

ولكن المشاكل اعترضته وذل بعد عز:

قل الله هل شفت السخي ابن سالم
منيع من حاش الثنا والفوايد
تطاوحته الأيام لين او دعنه
يشد على ثلب قصيف البدايد
تغيرت الـدنيـا واهلهـا تغيروا
وتعلى على فروخ الحرار خفاش
وطاه الزمان آسف على حالة بها
منيــــع وزانت للردى واللاش

وكان الخلاوي قد نصح منيعا بالضرب على ايدي اعدائه:

قد قلت له قول قديم به الدوا
ويكفي منيع لو تبعني وحاط به
اسق اللدان وخضب البيض منهم
ومن جاك منهم صاحب لا تصاحبه
وحريب جدك لوصفا ما يودك
وعيناه لو تبكي لك الدم كاذبه

ورغم اسف **الخلاوي** لما جرى لمنيع فانه يحثه على عدم اليأس:

منيع لا تيّس ولا تقطع الرجا
من الناس قبلك لك غطا وفراش
اقول انا واد جرى من فروعه
يجري لزوم كان عمرك عاش



والمتأمل في شعر الخلاوي يجد انه يسمي ممدوحه **منيع بن سالم**. ويقول عن داره حي للمنيعي. ويصف ذويه بقوله منيعية كما ينسبهم الى ربيعة ونزار.

ولكن ذلك غير كاف لمعرفة اسم اسرته المباشرة. **أكانت تدعى آل سالم أم آل منيع؟ أم كان لها اسم آخر؟** والتساؤل وارد ايضا عن عصر منيع.

كان لآل عصفور العقيليين العامريين نفوذ في الاحساء خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري. وقد امتد ذلك النفوذ الى أرض اليمامة. وكان لآل جروان العامريين نفوذ في الاحساء وما حولها منذ بداية القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع تقريبا. ثم قضى على حكمهم **سيف بن زامل الجبري** الذي أتى بعده أخوه أجود المشهور. وفي خلال هذه الفترة كانت لبني لام قوة في نجد. **فهل عصر الخلاوي وممدوحه احد القرون المذكورة؟ وهل كان منيع من آل عصفور أو آل جروان؟** لست مقتنعا تماما بهذا ولكني ايضا غير مقتنع برأي من يرى عصره بعد قرون المذكورة لأن تاريخ كلتا المنطقتين نجد والاحساء اصبح اكثر وضوحا بعد ذلك.

شهدت بعض المناطق النجدية نفوذا لأجود بن زامل حتى وصف بانه رئيس نجد ورأسها. وكان من امراء هذه الدولة الجبرية فتى يقال له مقرن قال فيه الكليف:

تل العشيرة مقرن زاكي الوفا
حمالّ من جل الخطوب اثقالها
قد شاف بالاعمام مالا يرتضي
بـالـدار واقفي زاهـد بـاعمالها

وقد حرضه الشاعر على محاولة الحكم بقوله:

فان كان تبغي ملك هجر صادق
فاضرب بحد السيف روس رجالها

وقد عبر عن نفوذ هذه الدولة في نجد **جعيثن اليزيدي** حين قال:

ولاقيت بعد السير ياناق مقرن
وقابلت وجها فيه للحمد شاهد
نشابين سيف والغريري زامـــل
فيالك من عم كريم ووالد
وبين اجود سلطان قيس وركنها
عن الضم او في المعضلات الشدايد
حمي بالقنا هجر الى ضاحي اللوي
الى المعارض المنقاد نابي الفرايد
ونجد رعى ربعي زاهي فلاتها
على الرغم من سادات لام وخالد
وسادات حجر من يزيد ومزيد
قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد

وكلام جعيثن يدل على أمرين: أحدهما ما أشير اليه من نفوذ لدولة آل أجود في نجد، والثاني ان من بين القوى النجدية آنذاك بني لام وبني خالد. وقد اشتهر من رؤساء بني لام عجل بن حنيثم الذي عبرت ابنته عن صولة اتباعه بقولها:

ألا يابلاد جنب تما مقيمه
ما دامت الشعرا هيام قليبها
اخذنا على ولد الشريف بن هاشم
على الحوض حقّه من وردها يجيبها

كما كان منهم ابن عروج الذي اتعب الابل بكثرة غزواته:

مشوا من العارض بجيش بهيف
يتلون ابن عروج مقدم بني لام

وأما بنو خالد فقد ازدادت قوتهم في نهاية القرن العاشر. ثم اصبحوا قوة كبيرة في شرق الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر. وتمكنت قيادتها من آل حميد بزعامة **براك بن غرير** من اجبار الحامية العثمانية في الاحساء على مغادرة المنطقة سنة ١٠٨٠هـ. وقد مدح **رميزان بن غشام** امير روضة سدير براكا بقوله:

براك بن غرير امضى خالد
مولى مفاخرها سنى من زارها

وكان لزعماء بني خالد نفوذ في نجد عبر عنه راعي السر حين مدح سعدون بن محمد بقوله:

ما غير سعدون مزار الى عدت
علينا الليالي صايلات جرودها
حمى من ربي هجر الى ضاحي اللوى
الى الشام من دار العميري حدودها
الى خشم رمان الى النير مجنب
الى الشعرا، وقمانها من لجودها
الى العرض والوادي الحنيفي مشرق
وما عن جنوب كل هذي يسودها
الى طاب منها مرتع زانه الحيا
رعاها على رغم العدا ما يكودها

وخلال القرنين العاشر والحادي عشر من الهجرة كانت عنزة

اكثر القبائل ذكرا في حوادث الصراع الدائر آنذاك في نجد. ولكن قبائل اخرى كالدواسر والظفير والفضول وآل مغيرة كان لها بعض الشأن. كما ورد ذكر لقبيلة زعب التي تحدثت عنها احدى شاعراتها بقصيدة طويلة منها:

تهيضت يا سبّاع لدار ذكرتها
ولا عاد منها إلا مواري حيودها

ومنها:

زعبيــة يــاعم مــاني هّميــة
ولاني من اللّي هافيات جدودها
قبيلة كم اذهبت من قبيلة
اذا عدت الجودات ينعد جودها
زعب أهالي المدح والمد والثنا
من الربع الخالي للحجاز حدودها

ولقد تمكنت مطير من انتزاع مركز الثقل في نجد من عنزة فيما بعد. ثم تركته لقبيلة قحطان كما تقول احدى شاعراتها:

نجد حميناها من اولاد وايل
واليوم عدونا سكن وادي الراك

وكان اول تحد من مطير لعنزة سنة ١٠٧٨ هـ حين اخذت غزوا لها.

ولكن تلك الحادثة كانت بمثابة الشهاب الذي ظهر ثم اختفى فجأة الى أجل. ولم يأت التحدي الكبير الا في اواخر القرن الثاني عشر حين انتصرت مطير على عنزة سنة ١١٩٥ هـ قرب الحجناوي.

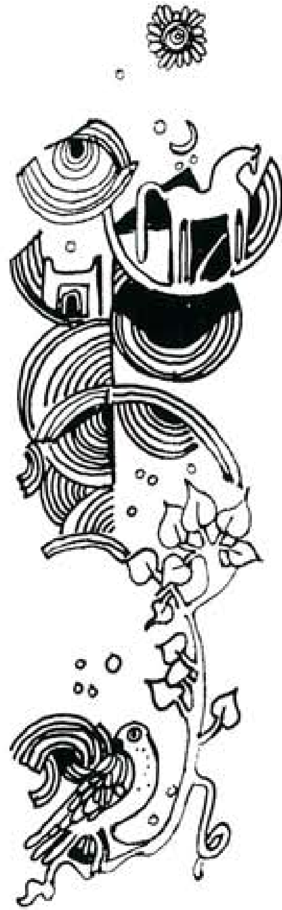
وكان ممن قتل من زعماء عنزة في هذه المعركة مقعد بن مجلاد وجديع بن هذال. وقد سجل ذلك رئيس الجبلان الملقب حصان ابليس بقوله:

عينت لي مقعد عيون المهارا
وجديع اللي كل الاسلاف تليه
جروه من درعه سواة الحوارا
وسيوف علوي جربت في علابيه

وقد التجأ بعض آل هذال اثر المعركة الى جبل كير فادركتهم خيل مطير وقتلوا:

ياكير ما عينت ربع لحوافيك
خطلات الايدي نقوة اولاد وايل

وقد بلغت زعامة قحطان في نجد اوجها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر زمن رئيسها محمد بن هادي حتى ان



راشد الخلاوي

* شاعر نبطي .. وفلكي .. يميل شعره الى الحكمة والفلسفة.
* عاش في القرن الحادي عشر الهجري .. او اوائل القرن الثاني عشر على وجه التقريب.
* لا يعرف عن اسمه واسرته اكثر من (راشد الخلاوي) نسبة الى الخلاء .. وهو البارز من الأرض على غير قياس من حيث بناء كلمته .. وتفخيم لامه.
* كانت له قدرة عجيبة على إطالة القصيدة .. ومن اشهر قصائده المطولة (الروضة) وقد جاءت في الف وخمسمائة بيت..
* ينزع شعره الى الفصيح.

زعيمين مشهورين تركي بن حميد وراكان بن حثلين ذكرا توددهما اليه بالهدايا. قال راكان:

اهديت لك نور السلف والجهامة
ابغيك ذخر في مقاديم الايام

وقال تركي:

أهديت له خمس وسادسهن التوم
وقعود زين اللي بغى ما حصل له

وبلغ من ثقة ابن هادي بقوته ان قال في تحديه لتركي بن حميد بعد تكدر العلاقة بينهما:

ان كان رمحك في هل الخيل مرسوم
فانــا برمحي حامي نجد كله

لكن الغلبة اصبحت في النهاية لعتيبة التي قال شاعرها:

يانجد ما والله نزلناك بسلوم
ولا انت بورث جدودنا بالقدايم
خذناك عقب مدارك العمر بالسوم
سوم يخسر لابسات العــــايم

ويانجد اخذنا منك حق ومرسوم
وصفا جنابك عقب نطل العمايم

ويبدو على اية حال ان المراد بنجد في كلام بعض هؤلاء الشعراء جزء معين منها صالح لرعي الابل لا المعنى الشامل المعروف لنجد. او ان المقصود بالحماية التمكن من التحدي لا ادعاء السيطرة الكاملة. ولعل مما يؤيد ذلك ذكر جعثين اليزيدي نجدا جنبا الى جنب مع العارض وحجر. وانه في الوقت الذي ادعى فيه ابن هادي حماية نجد كان هناك الامام فيصل وابناؤه اضافة الى قوة آل رشيد المتحفزة. وقد يكون ما ذكر قبل على سبيل المبالغة في الفخر لا على اساس حقيقي دقيق.

واذا كان المؤرخين يبالغون احيانا فما بالك بالشعرا ؟

وحينما نحاول التعرف على اوضاع سكان نجد من الحاضرة قبل حركة **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** نجد ان الشعر النبطي يمدنا ببعض المعلومات. فمن خلاله نجد ان النزاع حول السلطة قد امتد الى نزاع بين اقرب الاقرباء احيانا. فحميدان الشويعر يقول:

مثل راعي «جلاجل» مع ابن نحيط
ادركه من زمان وهو يسحره
اظهره من كنين الذرا للفضا
ثم جوّد عنه ساقف المحجره
ثم قال احملوا ياعياله عليه
بلمه واحد وآخر عقره
ياعيال الندم يارضاع الخدم
ياغذايا الغلاوين والبربره
ما يفك الحذر من سهوم القدر
والشويعر حميدان ياما انذره

وكان انذاره له في قصيدة اخرى قال فيها:

يابن نحيط افهم جواب مهذب
جا من صديق واضح عنوانها
عدو وجدك من قديم دارس
متجرع بغضاك ازمانها
والقرب من نار الصديق غنيمة
والضد حذرا من نعم جنانها

وكان هناك من امراء نجد من هو ظالم لمواطنيه. يقول جبر بن سيار:

شيوخ الي فكرت فيها لكنها
ثعالب طرفا تفسد الملك جايره
تركبوا ظلم الرعايا وطبعهم
يدلك عليه ان مات تشبح بصايره

وشعر حميدان مليء بوصف الحياة المعاصرة له من جميع نواحيها. ولكنه يعطي اهتماما خاصا للجوانب غير المشرقة في المجتمع. وغالبا ما اتى شعره على هيئة تحذير من فئات غير مستقيمة وتعرية لها. يقول - مثلا -:

ياصبي استمع من عويد قضى
الدهر مد به لين ما قصري
لا تضم الذي ما تعرف السوا
تجعل الزين شين ولا تستري
يذن العصر والعيش فوق الرحي
القدر موضح واللين محوري
ولا تضم الذي ما تمل الرديف
تسري الليل للي لها يحتري
الوعد مثل ما قال كحي واكح
في قيام العشر وان ظهرت اظهري
واقعدي عندنا لين هم يظهرون
واظهري والمطوع بهم يوتري

وحينما يتناول بعض المنتسبين الى العلم والدين ينقد تصرفاتهم نقدا لاذعا خاصة اولئك المتاجرين بالدين او المرتشين. يقول:

من الجماعة من ينط بمرتبه
بالدين لو هو ما يخط ولا قرا
يدرق بدين الله دين غادر
والله علام بما هو اضمرا

ويقول:

بالناس من هو يدعي بديانه
متمسك بقرايته واوراده
عند الخلايق غافل ويحسن
ياخذ شريطه مثل جاري العاده
عنده لراعي الصاع موس جيد
والي بلا صاع له المكر اده
فاحذر خداع الخاين المتعبد
لو دام ليله والنهار عباده
كم غر فيها من غرير جاهل
حظه لمثله مثل فخ صاده



ويقول ايضا:

أنا امدح بالعالم شاره
واطيبه في فرع الدهما
لا جتك الطلبه في حلقك
وتقابلت انت ويا الخصما
ودلّي يسمع نبط الخصم
وحفتك الشككه والنهما
فانقر في كفه دينار
ليّاه يضرّبك اليهما

ولم يكن حميدان وحيدا في انتقاد هذه الفئة من المجتمع فجبر بن سبار يقول:

لك الله ما في عصرنا ذا شفيه
معا كل هلباج ينمي تجايره
وكل كبير التاج فسل مطوع
يرى الطوع في شال على الراس كايره
يطالع في كتب التسانيد معرض
عن الفهم ما ياعظ لفهمه نظايره

والمصادر التاريخية الاخرى تشير الى وجود بعض القضاة النجديين الذين كانوا يشترطون على المتخاصمين اجورا مقابل نظرهم في قضاياهم. وهو موقف عارضه الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** فيما بعد ودارت بينهم وبينه مجادلات بشأنه. ورغم وجود هذه الفئة من القضاة والمنتسبين الى العلم فانه كان هناك قضاة مستقيمون وعلماء اجلاء اشادت المصادر بفضلهم وعلمهم.

وقامت الدولة السعودية الاولى متضامنة ومعتمدة على دعوة **الشيخ محمد** واستمرت قرابة خمسة وسبعين عاما تمكنت خلالها من ضم كثير من مناطق جزيرة العرب. ومن المؤكد ان الشعراء من مؤيديها ومعارضيها ادلوا بدلائهم دفاعا وهجوما، ولكن ما وصل الينا من شعر هذه الفترة قليل جدا اذا ما قورن بما وصل الينا من شعر قبل قيامها او بعد نهايتها. ومن بين ذلك الشعر القليل ما نسب الى **عريعر بن دجين زعيم بني خالد** وهو يشير الى وجود خلاف بينصفوف الزعامة الخالدية التي كانت معادية للدرعية مما اتاح لقادتها فرصة تثبيت مركزهم في المناطق القريبة منها دون تدخل خالدي محتمل:

فلا واوجعي من لابة خالدية
فـدوا للملا والعالمين حكاه
عفيت لهم ما فات باغ الى اوجهوا
على الضد فلّوا بالجموع قواه

محمد بن بليهد

- ولد بقرية غسلة بالوشم باقليم نجد بالمملكة العربية السعودية.
- اخذ العلم من رجال عصره وتولى العديد [illegible]
- توفي في لبنان عام ١٣٧٧ هـ وكان قد سافر للعلاج.
- له مؤلفات عديدة اهمها: «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» (تحقيق) صفة جزيرة العرب للهمداني «-(تحقيق)- ابتسامات الايام في انتصارات الامام» (ديوان شعر) - «وما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه».

فيا مبلغ مني شهيل رساله
بها من بقايا ما بقاه وصاه
مشيتوا بنا يا شهيل ممشى قطايع
بكم رز شيطان الرجيم عصاه

ومن ذلك ابيات قالها الشريف راجح عن وقعة الخرمة سنة ١٢١٢ هـ بين اتباع الدرعية واتباع **الشريف غالب** موضحا بعض الفئات التي يتكون منها الجيش السعودي ومبينا انهيار معنوية اتباع الشريف غالب:

جونا الدواسر مع فريق القحاطين
كلنا لهم بالمد وفوا لنا الصاع
الاشراف لانوا عقب ماهم قاسين
والشق ما يرفاه خمسة عشر باع

اما الحوادث التي تلت انهيار الدولة السعودية الاولى فقد ساهم الشعراء النبطيون في ذكر تفصيلاتها مساهمة كبيرة، وكان من بين هؤلاء افراد من الاسر التي لها صدر الزعامة اثر شعر للامامين **تركي بن عبد الله** وابنه **فيصل** وحفيدهما **محمد بن سعود**. كما اثر شعر لامراء آل رشيد عبد الله بن علي واخيه عبيد

وحمود بن عبيد. وروي شعر لبعض زعماء القبائل **كمحمد بن هادي القحطاني وتركي بن حميد العتيبي وراكان بن حثلين العجمي** وروي شعر لزعماء غير هؤلاء واولئك، كما روي لكثيرين من غير الامراء والزعماء. وكله اضاف الكثير من المعلومات واوضح بعض ما لم تذكره كتب التاريخ.

في الوقت الذي كان فيه **تركي بن عبد الله** يحرز انتصارات في نجد كان **مشاري بن عبد الرحمن آل سعود** في مصر مع من اخذ من افراد الاسرة السعودية اثر سقوط الدرعية وقد وجه اليه تركي قصيدة يستحثه فيها على القدوم الى نجد ويخبره بما جرى له من نصر:

سر يا قلم واكتب على ما نورا
ازكى سلام لابن عمي مشاري
ياحيف ياخطو الشجاع المضرا
في مصر مملوك لحمر العتاري
اكفخ بجنحان السعد لا تدرا
فالعمر ما ياقاه كثر المداري

ومنها:

ان سايلوا عني فحالي قسرا
قبقب شراع العز لو كنت داري
رميت عني برقع الذل برا
ولا خير فيمن لا يدوس المحاري
من يوم كل من خويه تبرا
خليت الاجرب لي خوي مباري
وحصنت نجد عقب ما هي تطرا
مصيونة عن حر لفح المذاري

اما **فيصل بن تركي** فقد واجه في بعض فترات عهده مشاكل خاصة من بعض اناس خذلوه وكان يأمل ان يقفوا معه حينما هاجمه **خالد بن سعود واسماعيل بك**. وقد عبر عن ذلك بقوله:

مفهوم قلبي للرعابيب ما اشتاق
ايضا ولا همه لجمع الدنانير
لكن من ربع عليها الردا ساق
عقب الجمايل انكروا نيّة الخير
باروا بحقي ذا تنكر وذا باق
وذا قاعد عني ولا له معاذير

ومنها:

قولوا لخير الله تري المكر به حاق
واخوانه اللّي نسيوا الطيب والخير

ثم يشير الى انتصار اهل جنوب نجد على **اسماعيل وخالد** بقوله:

حنا حمينا نجد من كل فساق
من حمر مصر والوجيه المناكير
اول نراسلهم بتسجيل واوراق
واليوم باطراف الرماح المساهير
ياضبعة بالخرج من كل فساق
كولي زنادي من سود المناقير
ضفتي هل العارض وعشوك باشناق
واهل القرى عشوك روس الطوابير

اما **الامير عبد الله بن علي بن رشيد** فتكاد تكون حوادث حياته مسجلة في شعره وشعر اخيه عبيد. كان عبد الله قد لعب دورا كبيرا في القضاء على **مشاري بن عبد الرحمن** الذي استولى على الرياض بعد تنفيذ مؤامرة اغتيال **الامام تركي بن عبد الله** قبيل نهاية سنة ١٢٤٩ هـ. لهذا ولما قد يكون حدث من شكوى بعض اهالي حائل **صالح بن عبد المحسن آل علي** ولي **عبد الله** امارة حائل بدلا من صالح. وحين وصل **خالد بن سعود واسماعيل بك** الى القصيم ذهبت فرقة من جيشها الى حائل مع **عيسى بن علي**. وحين اقتربت من تلك المدينة هرب **عبد الله بن رشيد** منها والتجأ الى جبة. ثم تمكن من اجبار عيسى على مغادرة حائل بعد ان تركها اكثر رجال الفرقة التي اتت معه. وقد اشار عبد الله الى ذلك في احدى قصائده:

قل هيه ياللّي لي من الناس وداد
ما ترحمون الحال ياعزوتي ليه

ومنها:

جبه ساقاه من اول الوسم رعاد
ما حدرت خشم ام سمنان تسقيه
اللّي بها للمنهزم زبن ميعاد
من لاذبه كن الحرم لايذ فيه

ومنها:

عيسى يقول الحرب للمال نفاذ
والمال لمن هبت نسانيس ذاريه

عيسى يقول الحرب ما به لنا ازواد
انشد مسوى السيف قل ليه حانيه
والله لو اني من ورا جسر بغداد
اني لكم مثل العمل عند راعيه

اما وقعة بقعا التي حدثت سنة ١٢٥٧ هـ بين ابن رشيد واتباعه من شمر وبين اهل القصيم وحلفائهم من عنزة فقد اعطت تفصيلاتها قصيدة عبيد بن علي التي منها:

يادارنا من جاك جيناه عجلين
بالليل نسري والصفر والقوايل
جينا صباح وهم لنا مستكنين
وثار الدخن من حر صلوا الفتايل
وحصل لنا عقب المواصل وفا الدين
وراعي السلف ردت عليه الجمايل
ومن فضل رب العرش عدل الموازين
راحت على القصمان واولاد وايل
ربعي مروية السيوف المسانين
خلوا صفا بقعا من الدم سايل

وفي سنة ١٢٦١ هـ قام امير عنيزة باغارة على اطراف حائل فرد عليها **عبيد بن علي** بغزوة انتقامية قتل فيها امير عنيزة. وقد اشار عبيد الى الاولى بقوله:

يالبن سليم ان كانوا بالاطراف
ما تنتفع بالطهبله والنداهير
ان ساعف الله تلحق الفايت ارداف
وتالي ستكم تلعنون المشاوير

واشار الى الثانية بقوله:

واحلو زعجتنا عليها الهلاهيل
بيوم كسا وادي عنيزة ضبابه
صارت فقابدهم رقاب المشاكيل
بايمان من لا ثمنوا في عقابه
ياذيب صح وازعج لذيب الهذاليل
واذكر له الوادي يدور العشابه
عن فرسه الطليان يفرس رجاجيل
بدار بصرف البين ينعي غرابه
وقبله مضى منا عليهم تهاويل
والشر هذي عاقبه من سعى به

وتوضح قصيدة **عبد الله بن علي** التي بعثها الى **الامام فيصل** ليشرح موقفه ويتجنب غضبه ان اهل عنيزة كانوا قد حاولوا اغتياله، كما توضح ان الامام كان قد بعث اليهم ليردوا ما اخذوه من ابل **لابن رشيد**:

يوم انهم عجزوا عني بالغياله
شبوا لنار الحرب بالقيظ صوال
هذاك حق اللي خطوطك عصاله
فرحان وابن سبيت ما القى لهم بال

ولا يفوته بهذه المناسبة ان يشير الى الخدمة التي كان قد اداها لفيصل سابقا حين اشتبك مع **عبد مشاري بن عبد الرحمن** واصيب بجروح ليؤكد ارتباطه به ويحصل على رضائه:

شهودي بجلدي والعدو به بداله
والناس تدري بالجد ايدوالا سهال

وكما سجلت قصائد **عبد الله بن رشيد** واخيه عبيد كثيرا من اخبار امارة آل رشيد حفظت لنا اشعار كثيرة لغيرهما اخبارا مفيدة عن سير الحوادث في نجد. وقد اعطت بعض القصائد معلومات مفصلة عن بعض الوقائع كما حدث بالنسبة لقصيدة **شليويح العطاوي** التي وصف فيها معركة بين قومه من عتيبة وبين سعود بن فيصل. فقد ذكر فيها مكان المعركة وعدد الجيشين وتكونهما. كما ذكر بعض زعماء قومه ووصف سير المعركة حتى نهايتها قال:

على ظلال الصبح اخيل مخايل
وصلت سناويها الى المطاوي
جانا سعود مسير بجنوده
معه الدويش وبلة البداوي
ثمانية آلاف عداد جموعهم
بلوى كفانا الله شر البلاوي
وحنا ثمان ميه عداد جموعنا
ليس اجنبي فينا ولا برقاوي
ياظفرهم لا قرب الله دارهم
وحنا عليهم مثل نجم هاوي
صحنا عليهم ثم عاونا الله
لما انها صارت لنا مناوي
وطلحه نحو عنابريه يسارهم
من بينهم دهم العروق هداوي
تطلعن يا البيض في مركا ضمنا
وصلت كسايرهم الى الجرذاوي
تزبنوا عنا قصور بريده
لين احتمالهم ببرق القصماوي

وخلدت قصيدة ضيدان العارضي من مطير صمود دفاقه ضد **خيل ابن رشيد** معطية بعض التفاصيل لما حدث :

يوم نط الرقيبه راس مشذوبه
قال زلوا وجتك الجيش زوفالي
قال انا شفت شوف لا يلبتوا به
شوف ريبه ومنه القلب يهتالي
طوحوا لابيّ في كل مسلوبه
واحتموا جيشهم ماضين الافعالي
يوم لحق الامير ولحقت الشوبه
لا قرايا ولا مزبن ولا جالِ
لحقت الخيل بالغلمان مركوبه
واقفت الخيل فيها الدم شلالِ
كلما قلت راحوا عودوا نوبه
وارسلوا سربـة تسعين خيـالِ
من شريق الضحى ياقابل التوبه
لين غالبت وحنا هوش وقتالِ
يحسب انا نعود عند مندوبه
قال يرسل علينا خيله ارسالِ
الظفر ساعة لا حل ما جوبه
كل ساعة لها حزات ورجالِ

كما ألقت قصيدة احدى شاعرات الجبلان من مطير بعض الضوء على معركة لبن حين قالت :

كون جري في لبن ما جا بالاكوان
من مات في جنة الفردوس موعوده
غاروا علينا السحر في وقت الاذان
الملح منهم يشيل الارض برعوده
قومان ماحدها العارض لنجران
وابن صباح وابن حثلين وجنوده
ردوا لخضر النمش بالكون دوشان
ترى الجنايز خلاف الجيش مرجوده
نعم بربعي هل العادات جبلان
كم اطلقوا من هنوف قبل ملدوده

والقصائد التي تتحدث عن المواقف بين **المرحوم الملك عبد العزيز** وبين خصومه لا تحصر. وهناك من الشعراء من شعره سجل تاريخي لهذه المواقف.

ويلاحظ في هذه الفترة بالذات ظهور قصائد طويلة بمثابة ملاحم. من ذلك قصيدة **محمد العوني** التي تبلغ ١٨٤ بيتا والتي مطلعها :

قوموا اكفاكم شر ميلات الاقدار
شدوا على هجنٍ لهن الطرب دار

تاريخ مفصل للحوادث التي دارت في منطقة القصيم سنة ١٣٢٢ هـ بين **الملك عبد العزيز** وانصاره وبين **الامير عبد العزيز بن رشيد** واتباعه من عرب وغيرهم. لنأخذ مقطعا منها يتحدث فيه عن معركة البكيرية - مثلا - :

مشى وحنـا بـالبيـارق مشينـا
والامر لله والسبب به مضينا
يبغي «البكيريـة» وحنـا بغينـا
هدمه ولطمه قبل ما ياهل الدار
نزل وحنا عند خشمه نزلنا
من دون ديرتنا تبين جهلنا
والطير ظلّل فوقنا يوم صلنا
يرجي يمانينا وعدلات الانظار
سرنا عليه وسار بين الصلاتين
والشمس غابت من قتام الخميسين
والبين صاح وناح بين الخصيمين
واغبرّتِ الافاق واشتعلت النار
تخاطبوا من بينهم بـالمنـادي
والترك ترطن والعرب له تنادي
لا كن مطل الروس جدع الهوادي

بيوم عبوس الشر بوجيه الاشرار
الميمنـة دارت وصارت خفيفـة
راحت عن الاسلام صارت خفيفة
والترك لاقهم موارت جنيفـة
ما خايروا يوم ان بعض العرب خار
عنوي هل العوجا تعدّاهم اللوم
اركوا جموع الحضر والبدو والروم
لولا زهبهم كملت تالي اليوم
ما خيشروا بالمدح بشهود الاخيار
يوم اكمل القصدير عيّوا يطيعون
قـاموا بحدٍ مصقلاتٍ يهوشون
يوم انهم خانوا بهم من تعرفون
استعصموا بحدود عطبات الاذكار
ولا بهم شافوا هلِ الشر خلة
الا جموع عـايلتهم مظلـة

اولاد علي شرعوا كل سلة
نعم بهم والصدق هو عين الاذكار
اركوا على شمر وراحوا مدابير
وجموع حايل هم وسبعة طوابير
دلت تصيح الغوث وين المعابير
يوم انهم حاطوا بهم مثل الاسوار
الليث ابو تركي بسيفه ضربنا
هماتنا بسيوفنا ما اكترثنا
لاكن جدع الروس يوم انتدبنا
جدع الحدايج عند لفوات الاسفار
بنحورنا ما جد وابن جبر خلي
وشيوخ شمر ملحقين المثلي
ورجال حايل هيه فكرو قل لي
والترك تسع ميه تزيد الكمندار

وكما قيل عن **قصيدة العوني** هذه يمكن ان يقال عن **قصيدة ابن حصيص** التي تبلغ ١٣٩ بيتا والتي تحدث فيها عن النزاع بين **الملك عبد العزيز** وزعماء الاخوان خاصة عن معركتي السبلة وام رضمه، واصفا لها وصفا دقيقا شارحا ظروفها ونتائجها ومصير اولئك الزعماء. لنأخذ - مثلا - وصفه لام رضمه:

مطير اشفى اللـــه منهم
راعي الـدين اوفى الـديـان
جـاهم شي مـا عرفوا لـه
مـن خيـل وسلـة صبيـان
وجموع مـا يحصى عـده
كنّــه صولات الكتفـــان
معهـا ابن مساعـد يقداهـا
غــاد للشوبـــه دنـــدان
يـوم ان عزيز جـا وارد
حـــاديـــه اللال وعطشان
يبي المارد والى هم لــه
هـــل العـــادات الظفران
ضواري نجد القطـــاعـــة
كـــل يركض قـــدم الثـاني
مـا صح انـه يشرد عنهم
صكوا بـه مثـل الحيطـان
خلوهم مثـل الضحـايـا
طعم لسبـــاع الخليـــان

خالد الفرج

* هو الشاعر خالد محمد الفرج، ولد عام ١٣١٦هـ بالكويت وهو احد شعراء المنطقة الوسطى بالمملكة العربية السعودية.
* عاش بمدينة القطيف بالمملكة العربية السعودية، وتقلد وظائف عدة بها، ثم رحل الى دمشق حيث توفي عام ١٣٧٤هـ.
* تزعم الحركة الأدبية بالمنطقة الشرقية، ومن مؤلفاته المطبوعة كتاب (علاج الأميّة) و (أحسن القصص).
* له مؤلفات شعرية، و (ديوان شعر) ثم احسن القصص (ملحمة شعرية) تضمنت سيرة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، ثم تاريخ الملك عبد العزيز (قصيدة مطولة) وغير ذلك وله «الخبر والعيان في تاريخ نجد وما جاورها، ورجال الخليج».
- الف عنه الاديب الكويتي خالد سعود الزيد كتابا بعنوان (خالد الفرج).



سبـع ميـه بـام رضمـه
نقوة علوي والبرهـــــان
و تمامـهم راس عز يز
عشوه السبــع الجيعـــان

وهكذا نرى ان الشعر النبطي اسهم اسهاما كبيرا في تسجيل تاريخ نجد، ونرى انه لا غنى لمن يريد بحث تاريخها عن استخدامه. ولتتم الاستفادة منه حاضرا ومستقبلا لابد من تحقيقه وشرحه.

سيكلوجية التخاطب مع الغرب

بقلم : د. عبد الفتاح الديدي

ما الذي أفدناه ونفيده من الفكر العالمي الحاضر ؟

وما الذي يمكن أن يكون قد أثر تأثيرا واضحا في أعمالنا الثقافية ؟


ديكنز


بلزاك


جويس

وكيف يمكننا أن نحقق التوازن النفسي والثقافي المناسبين من أجل ايجاد أرضية صالحة للتخاطب مع الغرب ؟

عندما يواجه العالم العربي اليوم حضارة اوربا المعاصرة يجد نفسه مضطرا الى متابعة الخط الأصلي في التطور بالنسبة الى الحضارة العربية الناشئة بعد نكستها الطويلة فتحاول ان تستعيد ماضيها التليد مع الاستفادة من معطيات الموقف المعاصر حولها. ولاشك ان فكرنا وعلمنا المعاصرين سيستفيدان فائدة كبرى من محاولة توصيل المناهج وأساليب التفكير الغربية الى قاعات البحث العربية ولكنها ستجد صعوبة كبرى في محاولتها لأشباع قدراتها بما يرد من عالم الغرب اذا لم تستعد الملكات والقدرات العربية الاستعداد المناسب لهذه الاستفادة.

وليس أيسر على المرء من ان يقول عن الثقافة العربية الحاضرة انها في أزمة، وليس أيسر من ان نلتمس عناصر القوة والضعف هنا وهناك في ميادين الفكر والأدب المختلفة. بل وليس أيسر من ان نتعقب آثار الحياة الغربية والحياة العالمية بكل ما فيها من معالم النهضة والصراع والتسابق التقني واصداء كل ذلك في آدابنا الحالية ... هذا كله سهل ميسور ولكن ما الذي افدناه ونفيده من الفكر العالمي الحاضر وما الذي يمكن ان يكون قد أثر تأثيرا واضحا مثمرا في أعمالنا؟ وكيف يمكن الى جانب ذلك ان نخلق

التوازن النفسي والعقلي المناسبين من اجل خلق أرضية مناسبة للتخاطب مع الغرب؟ فليس ألزم من ان نكون على أهبة الاستعداد لتلقي المادة العلمية نفسيا وعقليا حتى يتيسر لنا هضم ما نتلقاه وفهم ما نمعن فيه وادراك ما ندور حوله ونتجاذب اطرافه من فنون وعلوم وآداب.

والمشكلة التي واجهناها حتى اليوم في حياتنا هي مشكلة التركيز على الهدف .. والهدف متحرك .. واقتصادياتنا وأنظمتنا في العلم والتعليم والثقافة لا تستطيع ان تكون أرضية ثابتة للتصويب من فوقها على هدف متحرك. والسبيل الى اكتشاف قدراتنا على المتابعة والتصويب مليء بالصعاب على الرغم من محاولات التمهيد والتعبيد المتكررة، وغير متلائم بالمرة مع وسائل التعرف الذاتي اي مع وسائل تعرف الانسان العربي المعاصر على نفسه وعلى أبعاد مراميه وقواه الخاصة.

ولعل التصويب نحو هدف متحرك لمدة قرابة القرن ونصف القرن قد اجهدتنا نحن المصوبين نحو الهدف. وعلى مدى القرن ونصف القرن كنا نصوب بوسائل بلت وتآكلت. وعندما هممنا بتغيير سلاح المعرفة كانت المعرفة نفسها في البلاد الأجنبية قد تخطت اجواز الفضاء الخارجي. وتغلغلت وراء المنظور المكبر والمجهر المدقق في اضيق المجالات واضخمها في آن معا. وفي اللحظة التي بدأ العرب يستشرفون وسائل الألمام المعرفي من اجل تحسينها كانت هذه الوسائل نفسها قد دخلت عصرا جديدا اسماه الغرب باسم عصر الفضاء وعصر ما وراء المعرفة المجهرية.

ويمكن شرح التغيير الذي جرى في فكرة الطاقة واستغلال البخار واستغلال الكهرباء واستغلال اضعاف اضعاف القوى التي تؤثر في تحويل المشروع الانساني ذاته وتغير من الآداب والتقاليد المستحدثة. ويمكن ان نصور السلوك الأنساني الذي تحول بتحول الظروف المادية والمعنوية التي عاصرته. ولكن تفصيل كل ذلك يطول خاصة وان المعايير والقيم والمعنويات تحتاج الى متابعة دقيقة في مختلف اوجه الحياة من اجل اكتشاف ابعادها. ونكتفي بان نستعرض ملامح الحياة العامة فنكتشف ان الكثير من المواقف قد انقلب الآن رأسا على عقب ولم تعد الرؤية السابقة او القديمة هي التي يأخذ بها جيل اليوم. فاستخدام الزينة والملابس وتناول الطعام واساليب التأمين والضمانات وطرق التذوق والاستمتاع بأوقات الفراغ والاقبال على الثقافة والتعليم .. كل ذلك وغيره صار يكشف لنا ابعادا تنم عن مدى التطور الحاصل وتظهر طرق مواجهتنا واحساسنا بالتقدم.

وعندما زار موريس ديفرجيه الباحث الاجتماعي الفرنسي الكبير مدينة القاهرة في ديسمبر واوائل يناير ١٩٧١ القى عددا من المحاضرات في بعض القاعات الجامعية. وناقش ديفرجيه فيما ناقشه قضية المدنية الغربية والتغيير الجديد من جانب الطلاب، وفنون الحياة الجديدة وايقاع التطور الاجتماعي الغربي ومدى امكان متابعته في البلاد غير المكافئة لاوربا في العلم والفن والتقنيات. والشيء المميز لكل ما قاله هو انه لم يشعر اطلاقا بأية غرابة في سلوك الانسان المعاصر الأوربي. وكان مما قاله ان التحولات الطارئة على مدنية الغرب التليدة لم تحدث اي خدش في جوهر الوجود الانساني للرجل الغربي. ولم تؤد الحريات المستحدثة في السلوك الشخصي الا الى تعميق احساس هذه المدنية الغربية بجوهرها وانطلاقها من جديد على اقلام كتابها من اجل ادماج كل هذا في قالب المدنية المتطورة ومن اجل تصميم كيان جديد للمشروع الانساني بأكمله ولم يجد ديفرجيه اي خطر على مدنية الغرب من التحولات التي طرأت عليه ولم يستطع ان يتبين بحال من الأحوال معنى للانحلال او للأفول في كل ذلك على طريقة اشبنجلر.

ولكن ما السر في ذلك الاحساس بالثقة وباليقين في مدنية الغرب؟

يخيل الي ان حضارة الغرب تتميز بمميزات وخصائص جعلت من اوربا ومدنيتها قلعة راسخة في قلب الوجود العالمي المعاصر. فأوربا تطورت تطورا طبيعيا مع معاناة العلم وتجربته والانتقال خلاله خطوة خطوة مع معايشة ذاتية وممارسة مباشرة لكل جزئية من جزئياته.

واوربا ومدنيتها بالذات لم تنتقل عفويا من مرحلة الى مرحلة ولم تصطنع قط التحول من طريق الى طريق وانما عمدت الى كل مرحلة وكل خطوة فأمعنت في استنفاذ كل طاقاتها وكل ابداعها ولم تنتقل الى نقيضها الا وقد خلصت تماما من كل تفريعاتها واشبعت كل مجالاتها واستوفت مدتها من الامعان والتأمل فيها.

وتعرضت المدنية الغربية للتغييرات فلم تقرها الا بعد تمحيص وتأصيل طويلي المدى. فأستخدمت اوربا العقل حتى استنفذت كل طاقاته وضمنت خط سير الروح الانساني نحو غاياتها وبعدئذ ادركت معنى اللاعقل .. وعرفت المدنية الاوربية كل ألوان النظام والاستقرار فبدأت .. تتطلع الى العبث وتأكدت من الشعور وصارت تتطلع الى اللاشعور ولامست الاشياء ملامسة محسوسة حتى تتطلع وعيها الى الدلالات والمعاني ..

واشبعت دراستها للظاهرات من كل الجوانب ولم يبق الا ان تكتشف الابنية .. وتطلعت الى صور الحياة البدائية تستقي منها العناصر والأصول الحيوية المماثلة والمتكررة في حياة الفرد والجماعة وتمخض الفكر الاوربي عن كثير من المتغيرات واخطرها وهو واثق من ان هذا كله لا يمكن الا ان يعين علم التقدم وان يغذي خط السير الطبيعي للمدنية كما لا يمكن الا ان يضيف عناصر وروافد ابداعية شتى الى الوجود الانساني والمشروع الانساني في الوقت الحاضر.

اما نحن في مصر مثلا فكدنا نبلغ مرحلة الاستخدام العقلاني لوسائل الحياة عندما فاجأتنا نزعة اللامعقول وحاولت، كل جهات التحكم الفكري والذهني في تاريخنا المصري القريب استغلال ملكات الانسان الاقرب الى خدمة الأغراض التقليدية وألوان الحكم التعسفي واستعانت بقرارات الانسان على المحاكاة والتذكر من اجل تمكين كل المبادئ والاراء المقبولة من جانب اصحاب .. السلطان كالذكاء العلمي في الاقبال على المنافع وفي المواجهة والنكوص على العقبين ومثل الوجدان التأثري في العزاء والتهنئة بالافراح وانتهاز الفرص السوانح واكتشاف الارزاق الخافية وهكذا الى آخره.

ولكن ليس هذا كله هو الاستخدام الحقيقي للعقل وانما اكتفاء باداء بعض اهدافه القريبة من السطح لان الاستخدام الحقيقي للعقل معناه استحداث روابط وعلاقات جديدة.

ولم نكد نعرف المسرح التقليدي حتى هاجمنا مسرح الاناشيد ومسرح الكورس ومسرح التلقين ومسرح اللامعقول ومسرح التنكيت والتبكيت والعبث والرمز والاستعراض المنوع

وهاجمنا في وقت واحد الكلاسيكية والرومانتيكية والرمزية والأدب الواقعي والأدب الشعبي وأدب العقل والنقل وصور الصحافة الأدبية كما هاجمنا في وقت واحد كل صور ملاقاة الفكر الغربي في منتصف الطريق. ولكن هذا كله لم يمنع من تسرب تيارات الأدب الجديدة ونزولها الى ميدان التذوق الجماهيري مهما اختلفت الاراء حول قيمتها واستطعنا ان نستقدم ادب اليونان وادب الرومان واستقبلنا كل ذلك في لحظة متقاربة وتأهبنا على الرغم من الهجوم المتكرر هنا وهناك لملاقاة كل الاتجاهات وكأننا نلتقطها دفعة واحدة. ولم يكن بيننا وبين تجربة ذلك كله وشيجة واحدة تربط كياننا بها وتهز روحنا باصدائها. بل لم يكن خيالنا قد تأهب للسير في مخططات ذهنية مكنونة ولم يتدرب بعد على الابقاء في اركانه لجملة الغايات المتوقعة دون ادنى ارتباط بالواقع. وبالتالي اصطنعنا الخيال والانفعال بذلك كله. ومن ان نعمق احساساتنا بشيء منه ولم نحكم ربط مشاعرنا به. فكان ما كان مما نعرفه الآن من تمزق التجربة الى أمشاج وتوزع كل اطراف القضايا المعروضة في شكل مشتت بعيد عن الممارسة التجريبية الحقيقية. وزالت من حياتنا كثير من المسميات وكثير من الملابسات وكأنها حلم فائت في ليلة صيف. وكثير من التجارب صارت مجرد ذكريات مما يدفعنا الى اعادة النظر من جديد في اسلوب استفادتنا من زاد الثقافة في البلاد الاخرى.

والفن ايضا تأرجح في وقت واحد بين الشعبية والفرعونية والكلاسيكية والتلقائية والانطباعية والواقعية والتجريبية والتكعيبية والسريالية واللامعقول والدروشة. وعاشت مصر فنونها المعمارية

والعمرانية والتطبيقية وكأنها تستنزف اجيالا باسرها في وقت واحد. او كأننا نعتصر خبرات قرون بأكملها في لحظات غفوة وانبهار.

وكان من الممكن ان يظهر هذا كله فلا يؤدي الى اضطراب لو أمكن التحايل والاصطناع من اجل الابقاء على الموجات المتراكبة والمتواكبة في فنون المسرح والسينما والشعر والغناء والرواية والقصة واتجاهات النقد والتقويم الفني. ولكن هذا كله تدافع امام اعين الجمهور وتحت ناظره بغير دعامة ثابتة راسخة من الاعمال الهادفة المؤكدة فأدى الأمر الى اختلاط كل شيء وعدم بقاء معالم محددة. اي ان نقل مثل هذه التيارات مع ما يظهر من الهجوم عليها والاختلاف حولها ليس كافيا لخلق دواعي استقرارها وثباتها وانما يلزم شيء جوهري وهو اسلوبنا العقلي في الرؤية واستلهام الوقائع واكتشاف المعنويات وايجاد التوازي النفسي العقلي على المستوى الجماهيري وعلى مستوى الافراد الناقلين لاسلوب الحياة العقلية في الغرب حتى تتعادل قوى التلقي مع قوى الابتكار ووسائل التقليد ووسائل الابداع وطريقة الفهم وطريقة النقل والشرح والتفسير. اذ لا يكفي ان يحكم الانسان نقل تعبيرات اللغة دون اندماج حيوي بمؤديات ودلالات هذه العبارات. ويكون من ابشع الوان العبث ان تنقل افكارا لا ننفعل بها وان نترجم كتبا لا نفهمها وان نكتفي بترويد العبارات دون اهتزاز مع ما تحمله من اعماق. فكأن الترجمة بغير خوض في حقائق الأمور لا يفيد كثيرا اذا لم تمهد تمهيدا فعليا لقدرات على الشرح والابداع والتفسير.

ولو فعلنا مثلا فعلت البلاد الغربية في افساح المجال لكل الظروف المعاونة على

ارساخ قواعد العلم والتعليم والثقافة لبقي في بلادنا اثر ما من كل تلك الزوابع التي هبت على الشعر مرة وتدافعت في مجال المسرح مرة اخرى وظهرت على اقلام النقاد والمحللين والمعلقين مرة ثالثة. فالعمل الفكري والأدبي لا يتطور الا وفقا لنظام حقيقي مرتبط بأصول العمل العقلي ومبادئه او باحداث الحياة الجديدة في ثوراتها التقنية المتتابعة.

والواقع ان للمدنيات قوانين في الحوار والتخاطب. ولا يمكن ان يتم التخاطب بين مدنيتين احداهما تركب الصاروخ والأخرى تركب الدراجة فمها كانت براعة التصويب عند راكب الدراجة فهو لن يبلغ بمجال مرحلة التخاطب والتجاور مع من يركب الصاروخ. ونترجم هذا بلغة عادية فنقول ان ثمة خطرا كبيرا في ان تنقطع الصلة شيئا فشيئا بيننا وبين دوائر العلم وحلقات البحث والجامعات الاوربية وهي آخر صلة نرجو ان تستمر وان تبقى. ولا اريد ان اذهب الى حد القول بان دوائرنا العلمية قد نالها شيء من القصور ازاء النهضات المتوالية على العوالم الخارجية ولكن من المؤكد ان اختلاف البيئات الثقافية يؤثر في تعطيل الموازنة والنمو بين ملامح الحياة العقلية عندنا وعندهم. وليس هناك من دليل على ذلك اوضح من ان المسافر الى اوربا من اجل الاستفادة العلمية قد صار يواجه ضرورة اعادة الشهادات العلمية الاولى من اجل مسايرة الجو الفكري هناك. ومن يفوته ذلك يصيبه الاغتراب بحكم الحواجز الضخمة التي صارت تفصل بين عالمنا الفكري وعالمهم.

فالمشكلة كما قلنا منذ البداية هي مشكلة التصويب نحو هدف متحرك سريع فوق ارض غير ثابتة تماما. ولعل القوانين الحضارية المعروفة في اتصال الحضارات وانتقال العدوى المعرفية والثقافية لم تجد نمطاً مشابها لحالتنا المعاصرة. وكيف يمكن حدوث الاندماج الحضاري المعهود بين الاطراف المعنية وقد استحال الحوار واستحال التوازي الفكري المأمول اقامته والمطلوب استمراره بين الثقافة في الداخل والثقافة في الخارج.

لقد جاهدت فئات ثقافية كثيرة داخل البلاد من اجل التوازي الفكري بين المعرفة في البلاد العربية والمعرفة خارج البلاد العربية. ومن شأن هذا التوازي الفكري ان يكلفنا الكثير من الجهد والعرق حتى نكون في عدو مستمر من اجل مسايرة ما يستجد وما يظهر في اوربا اولا بأول. وقبل ان نبدأ العدو كان ينبغي ان يستقر في انفسنا احساس بان المعرفة ليست تحصيل المعارف بقدر ما هي عمل مستمر من اجل ازالة المجهول. ولهذا كان ينبغي ان نبدأ اولا بمعرفة أنفسنا ومعرفة مدى ما نجهله وما هو بالتالي ضروري ولازم لانقاص مقدار الجهل. وهذا هو أصعب ما في الموضوع لان العلم صار مقيدا بالشهادات وليس بالمقدار الحقيقي للمعرفة كما تصوره حياتنا بالفعل. ولا يمكن ان يقر الانسان فيما بينه وبين نفسه بما يحتاج الى اضافته الى وجوده من اوجه المعرفة حتى يصبح قادرا على مواجهة الاشكال. وعلينا اذا اردنا ان نبلغ درجة الالمام الحقيقية بالمعارف الغربية ان نبدأ برقم هابط من الرقم النهائي للمجهولات واحدا واحدا بعدد ما نجهل حتى نشرع في استبعاد المجهولات. وازالة الجهل هي المعرفة لانها السبيل الوحيد لتوطيد واقرار ما نستقبله من المعارف الجديدة ببلادنا.

وبطبيعة الحال لا وسيلة على الاطلاق لتحقيق ما نتمناه الا اذا كنا راغبين فعلا في تحقيق التوازي المعرفي بين جيلنا والاجيال المعاصرة لنا في العالم الخارجي.

وينبغي ان نكون اولا مقتنعين بذلك والا فالأفضل الاكتفاء بالتنمية من الداخل. والتنمية من الداخل تدور في فراغ اذا بقيت منتمية الى غير عصرها. ولا يمكن توليد مالا يملك اجهزة الحمل ففي اوربا اليوم موجة عاتية من الاهتمام بالعلوم. واثرت هذه الموجة تأثيرا ظاهرا على كل شيء وعلى الأدب بالذات لانها ترد او تحاول ان ترد ثأرا قديما في العشرينات من هذا القرن عندما تحالفت الآداب ضد العلوم وضد النزعة الذهنية بعامة ممثلة في المعارف العلمية الجامدة. فقد برز فجأة باسبانيا الفيلسوف «أونامونو» كما ظهر «شيسترتون» بانجلترا و «بابيني» في ايطاليا وكما قويت شوكة «شارل بيجي» بفرنسا ولم يتحقق اي تنسيق بينهم حينذاك ولكنهم اتفقوا في الانتماء الى خاصية واحدة وهي المعارضة للعلم وللحياة الذهنية كما تمثلها الاوساط العلمية في عشرينات هذا القرن او قبل ذلك بقليل. وكان المطلوب في نظرهم حماية الانسان ضد العلوم في تلك الآونة.

ومن ابرز الكتابات التي عبرت عن هذا الاتجاه بعد ذلك مؤلفات «ليكونت دى نوى» عن الانسان والعلم وعن قضية الحرية الانسانية وسط الاوضاع العلمية وعن جوهر الانسان في مقابل التعقيد الآلي المحيط به.

وتحاول العلوم اذن في الوقت الحاضر ان تثأر لتلك الفترة ولكنها جاءت بمفهوم جديد وهو ان المعرفة الانسانية تستلزم خدمة الانسان وتسخير كل المعارف لتحقيق اوجه الانتاج المناسبة من اجل رفاهية البشر. فهي لا تثأر لنفسها في

الواقع وانما تثأر للانسان نفسه الذي بقي سنوات طويلة غير مدرك تماما لمدى قدرة ادوات المعيشة على تحقيق رفاهيته وتوسيع رقعة استمتاعه واستفادته من واقعه. وهي لذلك تتعمد السيطرة التامة على اجهزة الفكر والصحافة الادبية والمعلومات العامة. وتبوأت المقالة العلمية المكانة الاولى في مجلات الغرب وفي فرنسا بالذات ولم تكتف العلوم بذلك بل عاونت في خلق تيارات مضادة عرفناها باسم اللاأدب واللارواية واللافن ولكنها جميعا تهدف اكثر ما تهدف الى «مصنعة» الفكر وخلق اسلوب جديد للتعبير عن واقع الانسان واختيار اصعب المجالات لدراسة كل الظروف المحيطة بالانسان من اجل تشييد مستقبله ابتداء من وقائع علمية مؤكدة.

وكانت اجهزة الاعلام والثقافة الجماهيرية مظهرا قويا لتعضيد الثقافة العلمية بحكم انتشار اجهزة الاعلام المصحوب بالصورة فأجهزة السمع والبصر الاعلامية اتاحت فرصة جديدة لعشاق العلوم من اجل متابعة نظريات الفيزياء الحديثة حتى بلغت مجالا بعيدا داخل اروقة العلم. وادى هذا الى ظاهرة هامة وهي ان لغة العلم صارت هي اللغة السائدة في مجالات عديدة من اوجه الحياة الاوربية. ومن العبث ان نحاول نقل ظروف المعيشة على النحو الغربي الى ارضنا العربية بدون تأسيس علمي لوعي المواطن العربي بالمسائل العامة وبالمشاكل المعرفية.

وقد أشار «اوجين ويزل» في كتابه الكراسات الالمانية الجديدة سنة ١٩٥٦ الى ان هذا العصر هو عصر استيفاء كل احتياجات الانسان وتحقيق مطالبه. ولابد من الوقوف صفا واحدا من اجل الحد من الاطماع الشخصية او الاطماع العنصرية او الاطماع الذاتية في التوسع والاستعلاء والسيطرة. ويؤدي الحد من هذه الاطماع الى انعاش المطالب الحيوية للانسان العادي وتقوية الروابط العلمية بين الانسان وواقعه. واشار ويزل اشارة صريحة الى ضرورة تحويل المؤسسات الحكومية الى ادوات ووسائل لتحقيق النمو الانساني والسعادة البشرية. ولابد ان تصبح هذه المؤسسات ذات وظائف محددة في تنمية الخير والسعادة واستثمار اساليب التقدم والهناء بالنسبة الى الناس جميعا فوق الارض.

واسوأ شيء بالنسبة الى التربية الجماعية للجماهير هو السماح بخلق نزعة العداء المعرفي لدى الناس. فالعداء المعرفي ينشأ من جملة مظاهر تفرضها الاساليب والمناهج المعادية لمصلحة الانسان والهادفة الى تقويض اركان الثقافة. فلا يلبث العداء المعرفي ان يتحول في نهاية الأمر الى موقف جماهيري ثقافي ويتغير مظهره شيئا فشيئا الى ان يأخذ صورة الكراهية للمعرفة بأي ثمن. ولا نلبث بالتالي ان نرى بيننا شبابا متعلما يلقي بالأحكام جزافا بطريقة مسبقة واهية ليقلل من شأن المذاهب الفكرية التليدة والحقائق العلمية الهامة. بل يتحول هذا العداء الى كراهية مقيتة بالنسبة الى كل رأي جديد او فكرة مبتكرة تماما كما جرى بالنسبة للتيارات الادبية والفكرية والمسرحية والفنية التي هاجمناها بمجرد ظهورها على ارضنا او بمجرد ظهور اسمائها على صحائفنا ومجلاتنا.

وليست القضية هنا هي قضية الجماعات غير المتعلمة لأن امثال هذه



الاوساط البسيطة استطاعت في اوربا ان تستسيغ اوصاف «بلزاك» وان تقبل على افكار «ستاندال» و «فلوبير» من خلال رواياتهم. واقبل الجمهور العادي على الآداب ممثلة في روايات «ديكنز» و «دستويفسكي» واستمتع بحسيات «مونترلان» وغنائيات «جيمس جويس» وسخرية «روبرت موزين» كل هذا عرفه العالم الغربي البسيط من خلال روايات مؤلفيه وكتابه ومن خلال مسرحياتهم ايضا. وهو امر لم يظهر له مثيل عندنا ولم يمكن قط استخلاص مواقف فكرية من اي نوع لدى شعرائنا او كتابنا المسرحيين او الروائيين على زعم ان جمهور القراء عندنا لا يحتمل مثل هذه الافكار على نحو ما يفعل الجمهور العادي الاجنبي.

ومن هذا كله نستخلص ان الحضارات لا تنتقل الا بشروط محددة ولا تتناقل الا اذا استوفت الشعوب المستفيدة شروط الاستماع والتلقي من الشعوب المتقدمة. فكما قلنا يلزم ان تتخطى الشعوب المتلقية العوائق المعنوية والنفسية التي تحول دون تقدمها نحو معارف الآخرين وآدابهم ويلزم تخليص الشعب العادي من آفات الكراهية المعرفية لأفكار الغير وانهاء ازمة المثقف العربي وتحقيق التعرف الذاتي لدى المؤلف العربي ومتابعة المعطيات المتطورة في العالم الغربي على اساس علمي وابتداء من جملة المفاهيم العلمية التي يربط نفسه بواقعه عن طريقها.

ونأمل ان تكون هذه المحاولة التمهيدية لايجاد قدرة الاستمرار والمواظبة على معرفة الفكر الغربي ذات اثر واضح في تحريكنا نحو الهدف المتحرك بدون ان نتعثر وبدون ان تختلط الامور علينا فننسى تراثنا ولا نتعلم جديدا ونكون كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى..

مخطوط يكشف أسرارًا

من حين لآخر يعثر المؤرخون والباحثون والمحققون على مخطوطات تاريخية لها اهميتها في إضاءة كثير من جوانب التاريخ العربي والاسلامي ورجالاته .. وفي كثير منها ما يتضمن مفاجآت ما كانت في حسبان المهتمين بأمور التاريخ .. وقضاياه، وبعضها قد يقلب كثيرا من المفاهيم السائدة عن بعض الوقائع والاحداث التاريخية، ويكشف عن جوانب مجهولة في حياة الذين اسهموا في صناعة هذا التاريخ.

وفي الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية

هذه الندوة التي دعت اليها جامعة الرياض من خلال قسم التاريخ في كلية آدابها، واشترك فيها اكثر من مائة عالم مؤرخ عربي واجنبي.

في هذه الندوة قدم المؤرخ اليمني المعاصر الشيخ **محمد بن علي الأكوع** دراسة موجزة عن كتاب مخطوط يمني قديم، لم ينل حقه من التعريف والشهرة والذيوع. وقد ذكر المؤرخ الأكوع ان هذا المخطوط لم يظهر على مسرح التاريخ الا قبيل السبعينات، اذ كان مرميا في سلة المهملات .. قد نسجت عليه عناكب الغفلة والهجران .. وتناسته الايام .. كما تناساه الآباء والابناء، وصار في خبر كان.

ويشير الاكوع وهو يعرف بهذا الكتاب المخطوط، الى انه تناول تاريخ اليمن بوجه عام، الى جانب ومضات من تاريخ شبه الجزيرة العربية .. واتى بمباحث شيّقة، واخبار نادرة لم يأت بها المؤرخون الذين كتبهم بين ايدينا، كما انها لا توجد في غيره حتى ولا في كتب **الهمداني** التي ظهرت على مسرح الحياة، كما انه ليس بتاريخ **ابي العباس الصنعاني** الذي ظهر مطبوعا في

قديم
جديدة في حياة
أبي جعفر المنصور

للمؤرخ اليمني : محمد بن علي الأكوع

الآونة الاخيرة .. ولا بتاريخ **ابن جرير الصنعاني** .. ولا هو بتاريخ **الحافظ الكشوري**.

وبأسف شديد يشير الاكوع الى ان هذا المخطوط قد فقد منه شيئان اثنان:

الاول: ان مؤلف هذا الكتاب مجهول.

الثاني: ضياع بعض اوراقه.

ويلاحظ عليه ان غير منسق الترتيب .. وتسلسل الاحداث فيه غير منتظمة .. والحلقات ليست مترابطة .. وعزا ذلك الى الاهمال الذي ادى الى بعثرة اوراقه التي جمعت دون تنظيم .. او ترتيب .. او تنسيق .. وهذا في رأيه ليس من صنع مؤلف المخطوط، بل هو من صنع من وقع الكتاب بيده .. ولم يقدر قدره .. ولا عنده معرفة.

هذا الكتاب

ذكر الاكوع ان اسم الكتاب وديباجته كما وجدها على النحو التالي:

«هذا الكتاب تاريخ اليمن في الكوامن والفتن وملوك حمير، وفي رجال الحديث من الصحابة والتابعين، وتابعيهم، ومن وفد الى رسول الله صلى الله عليه واله وصحابته الطاهرين اجمعين امين».

وعرف الكتاب بأنه: «يقع في مجلد ضخم يحتوي على (١٧٥) خمس وسبعين ومائة لوحة بالتصوير الشمسي، وكل لوحة تشتمل على صفحتين فمجموع الصفحات (٣٥٦) ثلثمائة وستة وخمسون صفحة، عدد سطور كل صفحة بين واحد

أبو جعفر المنصور (ت ٧٧٥)

هو الخليفة العباسي الثاني مؤسس بغداد (دار السلام)

ابو جعفر عبدالله المنصور، حكم (٧٥٤-٧٧٥) ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية .. تولى الحكم والدولة مضطربة فتمكن من توطيدها. وفي عهده (٧٥٦) استطاع عبد الرحمن الداخل تأسيس دولة أموية في الأندلس، وهو التي ظلت عاصمة الدولة العباسية حتى سقطت ١٢٥٨. توفي المنصور بعد ان حكم احدى وعشرين سنة حافلة .. بالاحداث وترك لابنه وخليفته المهـدي (٧٧٥-٧٨٥) امبراطورية موطدة عامرة خزائنها بالأموال.

وثلاثين الى خمسة وثلاثين سطرا، وعدد كلمات السطر تتراوح بين اثني عشر الى اربعة عشر كلمة.

وخط الكتاب متفاوت، فالعنوان والمقدمة التي عدد صفحاتها اثنا عشرة صفحة بخط، بينما باقي خط الكتاب الى نهايته مخالف لذلك، ويمتاز بالجودة والرونق الا انه مهمل الحروف، غير منقوط في الغالب، فقراءته محتاجة الى عناء معن، واذا مارس قراءته اي انسان، وعرف قاعدة الخط، تسنى له فهمه وقراءته بسهولة، بينما بعض الصفحات قد اصابها البلل».

مخطوط له تاريخ

أما عن تاريخ نسخ الكتاب أو نقله فيقول الأكوع:

«ليس فيه تاريخ لنقله ونساخته، وانما هنالك تاريخ لمقابلته على أصله وذلك سنة ٦٢٢ اثنتين وعشرين وستمائة من الهجرة، ولا يبعد أن الناسخ هو المقابل له اذ الخط واحد، وهذا فيما يخص القسم الأول، أما القسم الثاني الذي يبتدئ من لوحة ٩٣ الى نهايته وهو بالقلم المعتاد السالف الذكر فليس فيه تاريخ، وانما قال فيه كاتبه: بلغت قصاصة ضعيفة على نسخة ضعيفة، وفي الهامش بقلم مخالف لما في الأصل مفاده أن مالك الكتاب أعاره للإمام شرف الدين في شهر رجب سنة ٩٢٧ تسع مائة وسبع وعشرين من الهجرة.

محتويات الكتاب

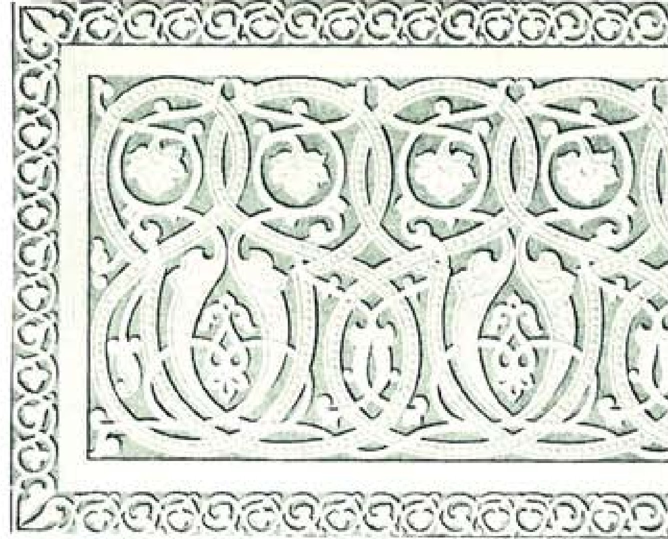
وتحدث الأكوع عن محتويات هذا الكتاب المخطوط القديم فقال: «أما وصف محتويات الكتاب وهو الأهم، فانه يقدم لنا مأدبة دسمة وشهية، فبعد أن يتكلم بالمقدمة عن جغرافية اليمن وحدودها كاملة من كل جهاتها يذكر أمهات مدنها وموانيها، ويتعرض لإنسانها ويقرر الحق في نصابه ثم سرد ملوك حمير ومدة ملكهم وأعمارهم على ما هو عند مؤرخي العرب.

وهو بالدرجة الاولى يحرص كل الحرص ان يسوق القصة والاخبار بالتحديث وتسلسل الرواية على طريقة المحدثين، وعلى غرار تاريخ المؤرخ الكبير **محمد بن جرير الطبري** رحمه الله.

واورد الاكوع نصا من الكتاب على سبيل المثال للتدليل على كلامه .. وذلك فيما اورده مؤلف المخطوط في ترجمة **معاذ بن جبل الانصاري** رضي الله عنه .. والنص هو:

«حدثني القاضي الحسين بن محمد قال أخبرني أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد الهمداني عن عبدالله بن موسى عن **سراسل** عن أبي اسحاق عن أبي وهب الهمبراني وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا الى اليمن فقال له: **اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

ويقول الأكوع إن المؤلف اهتم كثيرا بسرد عهود رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرائه، ومراسلته لأهل اليمن، ويذكر الوفود بحيث أن هذه من مميزات هذا التاريخ، إذ ان بعضها لا توجد في كتاب من الكتب التي قد ظهرت في عالم المطبوعات، وفي هذه النقطة يورد النص التالي نقلا عن الكتاب: «حدثني القاضيان **سليمان بن محمد النقوي والحسين بن محمد البوسي** قالا: حدثنا القاضي **عبد الاعلا** قال: حدثني **الدبري عن عبد الرزاق بن همام** قال حدثني **معمر** قال: اعطاني **سماك بن الفضل الشهابي** كتابا من النبي صلى الله عليه وسلم الى مالك بن



كلاس والمصبعين فقرأته فاذا فيه فيما تسقى الأنهار والسماء العشر وفيما يسقى بالمسنى نصف العشر».

ويتابع الأكوع التعريف بمحتويات هذا الكتاب المخطوط القديم قائلا: «ومن الجدير بالذكر والذي راعاه المؤرخ، انه دون كل رسائل الخلفاء الراشدين لعمال اليمن والمراسم التي اعطوها لأمراء الجيوش التي يتحدث فيها عن سياسة الخليفة والمنهج الذي ينبغي ان يسير عليه ذلك العامل أو القائد، وهي كثيرة ومن ذلك ما كتبه الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى أهل صنعاء بعد انتفاضهم على عمال النبي صلى الله عليه وسلم، ورد أهل صنعاء على أبي بكر، وهذا الكتاب يعتبر من مفردات هذا التاريخ الذي لم نطلع عليه في غيرة.

ومن شدة حرص هذا المؤرخ على تسجيل كل ما وصل اليه، انه سجل عهود الدولتين الأموية والعباسية، وإن كان الكثير قد صلت في الأوراق المتساقطة وما أبقت لنا الأيام الا بضع وثائق منها وثيقة من مروان بن محمد بن مروان الأموي فيما يجرى لقضاة اليمن من الرزق شهريا».

كما أورد الأكوع نص هذه الوثيقة منقولة من المخطوط على النحو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فان أحق ما تعهد به امير المؤمنين وتفقده ورجا الفضل على يديه وغايته التوسع على ولاة حكام المسلمين وأعوانهم وكفهم بذلك عن ما تنازعهم اهوائهم. وقد أجرى عليك أمير المؤمنين من الرزق في كل شهر ثلثمائة درهم وعلى عشرة نفر ممن أحببت من أهل بيتك واستعن به على عملك خمسين درهما في كل شهر ورجاء امير المؤمنين ان يكون في ذلك كفاية لك ولهم وورعا عن غير مما هو افضل لكم في عاجل أمره وآجله، وكتب الى عامله ان يدفع اليكم عند محله ولا يراجع أمير المؤمنين في شيء منه، فعليك بتقوى الله فيما أسند اليك ووثق فيه من الحكومة في دماء المسلمين وحقوقهم وأحل عوائدهم وما تستعين بهم منهم على مثل ما عليه حالك في الصحة والنزاهة والورع والاستعانة والكينونة وذلك عند ما يحق عليك واعلم ان امير المؤمنين غير تارك لعهدك واعوانك بما انتم اهله من صلته ومعروفه واجب والأفضال عليكم بذلك وأغناكم عما سواه ان شاء الله».

ويتابع الأكوع التعريف بمحتويات الكتاب فيقول:

«كما سرد الكثير من عهود الخلفاء العباسيين الى عمالهم وأمرائهم باليمن وبصفة مطولة لا نستطيع ايرادها بكمالها، ولا الاقتصار على البعض منها خوف السآمة والملل.

ومن براعة ملاحظته ودقة ادراكاته انه اورد عدة نصوص لكتابة الشروط .. اي العقود الشرعية كالبيع والشراء للعقارات والدور وغيرها وعقود الايجار والمزارعات والأوقاف والوصايات وما يتبع ذلك، وهي بحق توضح لنا طرق المعاملات الشرعية لتلك العصور السحيقة من أواخر القرن الثالث الهجري.

وأغرب من كل ذلك انه رسم سجلا كاملا فيه نص للمتحاكين في حانوت بصنعاء، وما تبع ذلك من نقض وابرام، وأن محاكم الاستئناف قديمة فهو صورة صادقة لما تسلسل الينا من القرون الخالية من القضايا الشخصية والحالة الاجتماعية.

وترجع لكثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأسهب في تراجم شخصيات لها ثقلها التاريخي، وذكر عمال النبي صلى الله عليه وسلم، وعمال خلفائه الراشدين والعباسيين لليمن ومدد اقامتهم وتحديد دخولهم، وعزلهم وما قاموا به من اعمال وما نتج من احداث.

وذكر مساجد صنعاء وما أوقف عليها من عقارات وأرضين محدد كل قطعة بحدودها الأربع حتى تتميز عن غيرها.

وتعرض للصنائع اليدوية وذكر الطراز الذي كان يعمل للخلفاء وكبار الجيش من وشي صنعاء، مما دل على ان الصنائع اليدوية والنسيج للبرود اليمانية لا زالت الي عهد الدولة العباسية.

جعفر المنصور .. في اليمن

ومن اغرب ما وجده الأكوع في هذا الكتاب المخطوط

ابو علي الفارسي

* هو ابو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي. من ائمة النحو المذكورين في القرن الرابع الهجري.
* ولد في مدينة (فَسَا) من بلاد فارس سنة ٢٨٨هـ (٩٠١م) وتوفي ببغداد عام ٣٧٧هـ (٩٨٧م) عن نحو تسعين عاما.
* صَنّفَ كتاب (الايضاح) في النحو. ثم كتاب (التكملة). وله (جواهر النحو) (والحجة) في علل القراءات و (المسائل الشيرازية) و (المسائل البغدادية) و (المسائل البصرية) و (الرسائل الدمشقية) و (المسائل الكرمانية) و (المسائل العسكرية) وغيرها كثير.
* تتلمذ على يديه عدد كبير من علماء النحو واللغة أمثال: ابن جني. وعلي بن عيسى الربعي.

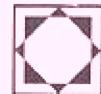
سيبويه (ت ٧٩٦)

هو عمر بن عثمان شيخ نحاة البصرة ولد بالبيضاء من مدن شيراز لكن اختلف في موضع وفاته وتاريخها. والأرجح انه مات بشيراز. نشأ بالبصرة ودرس النحو على الخليل بن احمد. ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر. يعتبر كتابه في النحو أساسا وأصلا اعتمد عليه نحاة المدارس جميعا وألفوا حوله الشروح والتلخيصات والتكملات والتعليقات والنقود ولا زال محتفظا بمكانته.

ابن جني (٩١٢ - ١٠٠٢)

هو عثمان بن جني ولد بالموصل ومات ببغداد. حذق اللغة والنحو. وبرز في الصرف. استخرج الاصول اللغوية والنحوية. وكشف عن فلسفة اللغة والنحو.

اهم كتبه (الخصائص) وله في النحو (اللمع) و (التلقين) وفي الصرف (المقتضب) و (جمل اصول التعريف) وفي اللغة (التعاقب) و (النوادر الممتعة) و (العروض) و (القوافي) وله شروح كثيرة على كتب متعددة.



دخول **أبي جعفر المنصور** مدينة صنعاء واختفائه عند شيخ صنعاني على ايام بني امية قبل ان يصبح خليفة .. والاشارة الى بخله .. ومصدر هذه الغرابة انه لم يقرأ، كما ذكر بالتواريخ المشهورة أن أبا جعفر المنصور دخل صنعاء .. اما بخله فذلك مشهور.

وأورد الأكوع النص التاريخي الذي يكشف عن هذه الحقيقة التي لم تكن معروفة .. وهذا النص هو:

«خبر **الشيخ الصنعاني** الذي كان نازلا عليه ابو جعفر المنصور قال **الشيخ ابن عبد الوارث** حدثني غير واحد من المشيخة من اهل صنعاء، وغيرهم من الغرب ان ابا جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس المنصور كان في وقت بني أمية بصنعاء اليمن مختفيا عند شيخ صنعاني هاربا مطلوبا وكان ذلك الشيخ ضعيفا مقلا وكان الشيخ يقوم بأشيائه ومؤونته ومصالحه وكانت زوجة ذلك الشيخ دائما تعانيه في امره. وتقول ما ترجوه منه فيرد عليها انه من قريش. ومن حالته وقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم. ثم ان أبا جعفر ولي الخلافة فرحل اليه الشيخ يطلب صلته فوصل اليه فجعل يدنيه ويقربه ويثني عليه عند الجلساء. ويقول معتق هذا منه عظيمة واني وقام بشأني وحقن دمي ثم قال للشيخ ما فعلت زوجتك قال هي في الحياة بعد وجعل أبو جعفر يثني عليها بالصلاح والعفاف. وان ابها كان يخرج الدقيق بلا كيل. ويعلق فتيلة المصباح ويملح العجين بالملح دون ان يذقه. ويفيض السمن على رأس العصيدة وقد كان في نفسي أن أصلك بألف دينار وأخاف اذا وقعت في يد زوجتك ان تبدد بها فلا هي بقيت لي ولا لك. ولكن أكتب لك الى ابني المهدي وأخبره بأفعالك حتى يكافئك عني. فلما وصل الى المهدي ودخل عليه وسلم له الصحيفة وقرأها قام المهدي اليه معانقاً. وقال لمن حوله هذا الذي حقن دم والدي وفعل به من الجميل كله فأجازه بعشر آلاف دينار. وقال له ارجع الى بلدك ولا ترجع الى أمير المؤمنين فيأخذها منك فلما خرج من عنده وقال في نفسه كيف أخرج الى اليمن ولم أودع أمير المؤمنين فذهب حتى دخل على أبي جعفر فقال له ما أعطاك المهدي. فانت تستاهل ان يوقر لك البغال. فأخبره انه أجازه بعشرة آلاف دينار فقال له: وما تصنع انت بعشرة آلاف دينار فأخذها وأعطى الشيخ منها ألفا وأمسك تسعة آلاف ثم قال للشيخ: أنا أعلمك ما هو خير لك مما أخذت منك. استغفر الله كل يوم ألف مرة فانصرف منه الشيخ الى صنعاء فلما كان يوما من الأيام ذهب الشيخ يبرح **موترجدر** كان له .. أي يزيل تراب أساس جدر فلما برحه اذ بجرة ملأها ذهبا. قال ابن عبد الوارث: وقد قال الله تبارك وتعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل الماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ... الخ»

ويعزم المؤرخ اليمني المعاصر محمد بن علي الأكوع الذي كشف عن هذا الكتاب المخطوط القديم القيم اخراج هذا الكتاب ونشره بعد ترتيبه .. وتنسيقه .. وتحقيقه.

لو أبصرت ثلاثة أيام

ترجمة: د. عبدالهادي التازي



(تعرضت هيلين كيلير وهي في الشهر الخامس من عمرها لمرض حرمها من بصرها وسمعها ومنعها ايضا من الكلام، بيد انها بفضل العون الذي قدمته لها استاذتها المسز آن صاليفان ماسى استطاعت ان تتعلم النطق وهي في السن العاشرة، وبمرور الأعوام عرفت كيف تتخلص من عالم البؤس والصمت الى عالم السعادة والكلام. وبعد تخرجها بتفوق من كلية راد كليف (ولاية ماساشوستس) (سنة ١٩٠٤) انصرفت للقراءة والتأليف. وقد مكنتها شهرتها من التنقل عبر كثير من بلاد الدنيا حيث لقيت الترحيب والتكريم من سائر رجال الفكر، وقد كان في جملة البلاد التي زارتها مصر سنة (١٩٥٢) صحبة سكرتيرتها الآنسة بولي طمسون. وقد كان كتابها (قصة حياتي THE STORY OF MY LIFE اول ما ألفت ولكنه ليس آخرها THE WORLD I LIVE IN ولها

ولها: "THE SONG OF THE STONEWALL"

وغير هذا من عشرات الكلمات والمقالات التي توحي بالشكر على نعمة الحواس وتدعو الى استعمالها فيما خلقت من أجله..

وقد نقل كتابها (قصة حياتي) الى اللغة العربية الاستاذ أمين موسى قنديل. كما عرب كتابها حول معلمتها الدكتور حسين فوزي النجار. هذا الى تعريبات اخرى قام بها بعض الادباء لجملة من نتاجها.

وقد حبب الي ان اقوم بنقل احدى مقالاتها المختارة الى اللغة العربية، وفضلت هذه المقالة بالذات لانها في نظري افضل نصح واصدقه يمكن ان يقدم الى اولئك الذين تحتف بهم النعم من كل الجهات ثم هم يكفرون بها ويستسلمون للاوهام واليأس والقنوط.

فالمقال اذن (دعوة) للناس ان يلتفتوا فيما حواليهم من كنوز وثروات حقيقية.

ولهذا فاني اقترح عليك ايها القارئ ان تستوعبه مهما كانت مشاغلك، وكيفما كان مركزك، وحيثما كان مقامك، وسواء أكنت من الذين يدركون حقائق الاشياء فهم يجدون الراحة فيما يحيط بهم من مباهج، ام كنت من اولئك الذين أضنتهم متاعب الحياة فهم من مباذلها سرمدا يضجون ويشكون ..)



كل واحد منا قرأ أساطير رائعة عاش ابطالها لحظات معينة تطول أحيانا حتى ليخيل الينا انها بلغت السنة كاملة، وتقصر أحيانا حتى لا تتعدى في اعتبارنا اربعا وعشرين ساعة، بيد اننا نهتم دائما بمعرفة الرغبات التي اختارها هذا البطل او ذاك ليقضي معها اواخر ايامه او اواخر ساعاته. اتخذت طبعا عن اولئك الذين لهم نوع من الاختيار وليس عن الاخرين من الذين حكم عليهم او من الذين ضاقت امامهم الآفاق..

ان مثل تلك الاساطير تجعلنا نفكر ماذا يجب علينا ان نفعل لو عشنا نفس تلك الظروف، ما هي الاشياء ما هي التجارب؟ ما هي الاعمال التي نختار القيام بها في هذه الساعات الاخيرة من حياتنا؟ ما هو نوع السرور الذي سننعم به ونحن نعيش هذه الفترات؟ وما نوع الاسى والاسف الذي سنحسه؟

لقد فكرت في بعض الاحيان بأن أفضل طريق واحسنها هي ان نعيش كل يوم كما اننا سنموت غدا. وان مثل هذا الشعور منا سيقوي من قيمة الحياة ومتعتها في نظرنا، يجب علينا ان نعيش كل يوم ونحن نقدر تمام التقدير وندرك تمام الادراك النعم التي تحيط بنا، والتي غالبا ما تفقد قدسيتها عندما يمر امامنا الزمان في هذا المشهد الدائم الذي يمضي بأيامه وشهوره وأعوامه .. اولئك طبعا هم الذين يعيشون دوامة أبيقور المتخلصة في «كل واشرب وامرح». بيد أن أغلب الناس يريدون أن يعيشوا في عذاب وهم يشعرون بحقيقة الفناء الوشيك.

ان البطل المحكوم عليه في مختلف الاساطير كثيرا ما نراه في آخر لحظة عن طريق اسعافة من حظ سعيد، لكن الملاحظ اننا في أغلب الاحيان نرى احساسه بقيم الحياة كثيرا ما يتغير، انه يمسي اكثر تقديرا لمعاني الكون ولاسراره الروحية الدائمة .. وفي جل الحالات نرى ان اولئك الذين يعيشون او عاشوا في ظلال الموت، وعلى مقربة من شبحه هم الذين يتذوقون لذائذ الظروف التي يحيونها.

لكن معظمنا مع كل ذلك يأخذ الحياة على انها ممنوحة له مخولة. فنحن نفهم انه لابد من يوم آت لا محالة نسلم فيه الروح بيد اننا غالبا ما نتصور ان هذا اليوم بعيد وبعيد جداً!! وعندما نكون في حالة صحية جيدة فان الموت عندئذ يمسي أمرا غير وارد بتاتا بل انه لا يخطر على بالنا الا عابرا، وهكذا فان الايام تتعاقب في طريق غير ذي حد، وهكذا ايضا نسير في زحمة اشغالنا الطفيفة الزهيدة عالمين – ولكن بصعوبة – بموقفنا ازاء هذه الحياة ..

وان هذا السبات نفسه هو الذي يهيمن علينا فيما اعتقد حتى فيما يتعلق باستعمال حواسنا وطاقاتنا. ان الاصم وحده هو الذي يقدر نعمة السمع، وان الكفيف وحده هو الذي يقدر ضروب السعادة التي تكمن في نعمة البصر. ان هذه الملاحظة تنطبق عمليا على اولئك الذين فقدوا حاسة النظر او حاسة السمع في حياتهم المبكرة. لكن الذين لم يسبق لهم ان اشتكوا من الحرمان، لم يسبق لهم ان فقدوا بصرا أو سمعا، اولئك قليلا ما يحسون بعظمة النعمة في الاستفادة من هذه الحاسة المقدسة .. ان ابصار هؤلاء تقع على كثير من المناظر كما ان اسماعهم تتلقى مختلف الاصوات ولكن دون اكتراث ودون امعان بل وبقليل من التقدير! انها نفس الكلمة التي تردد: لا يعرف المرء بمقدار النعمة الا عندما يسلب منها ولا يعرف الانسان بمقدار عافيته الا عندما يكون طريح الفراش! كثيرا ما فكرت في ان هذا الانسان اي انسان لو أصيب بفقد بصره او فقد سمعه لبضعة ايام من بداية حياته الاولى لظل يشعر سرمدا بأريج السعادة الذي يحف به. ان الظلام سيجعله لا محالة اكثر تقديرا للنور الذي يراه صباح مساء، وان الصمم المطبق سيعلمه دون شك متعة وقع الاصوات على مسمعه!

لقد كان يلذ لي أحيانا ان اسأل رفاقي الذين يبصرون لأعرف عن بعض ما كانوا يرون، وقد تقبلت في هذه الايام زيارة صديقة من اعز صديقاتي كانت قد رجعت منذ قليل من جولة لها طويلة في احدى الغابات المجاورة، سألتها ماذا رأت وماذا لاحظت؟ فكان جوابها بالحرف: «لا شيء يستحق

الذكر!» ولو انني لم أكن معتادة مثل هذا الجواب لداخلني الشك فيما سمعت. لقد اقتنعت منذ زمن بعيد ان هؤلاء الذين يبصرون لا يرون الا قليلا!

قلت في نفسي: كيف يكون من الممكن ان يتجول المرء لمدة ساعة من الزمن بين منعطفات الغاب ولا يرى شيئا يستحق الذكر! انا التي لا استطيع أن ابصر شيئا اكتشفت مئات الاشياء التي تهيمن من خلال اللمس العابر .. اشعر - وانا ألمس - بالتناسق اللطيف الذي اجده بين اوراق الشجر، امر بيد أتحسس هذا الاديم الناعم الذي يلف بعض الاشجار الفتية بل وحتى هذا اللحاء الاشعث الخشن الذي يكسو الصنوبر .. وفي فصل الربيع أتلمس الغصون وفروع الشجر وكلي أمل في البحث عن البراعم، عن الطلائع الاولى للطبيعة اليقظة بعد سباتها العميق في فصل الخريف. أحس بالبهجة والنعومة وأنا ارتب الزهور واكتشف ما في طيات هذه الورود من جمال، هناك تظهر لي معجزة الطبيعة في أجلى مظاهرها .. ومن وقت لآخر - اذا ما اسعدني الحظ - أضع يدي بلطف وتؤدة على شجرة صغيرة لأتحسس الرعشات المنعشة التي تنبعث من طائر وهو في أوج سروره، سأكون سعيدة عندما اشعر - من خلال اصابعي المتفتحة - ببرودة المياه المتدفقة في الجداول بالنسبة الي فان فراشا ناعما من أوراق الصنوبر المتناثرة، أو مع الربيع الاسفنجي أحب الي من أروع زربية حتى ولو كانت فارسية! وبالنسبة الي فان مشاهد تدرج الطبيعة من فصل الى فصل يعتبر عندي رواية تمثيلية أخاذة غير ذات نهاية انعم بها من خلال تلمس أناملي ..

يصرخ قلبي من اعماقه في بعض الاحيان وفي شوق متزايد ليشاهد هذه الاشياء، واذا استطعت ان أحصل على متعة مثل هذه: بمجرد لمس عابر فأي جمال وأي بهاء اشعر به وانا ارى ذلك رؤيا عين. ان اولئك الذين يتوفرون على عيون، يبصرون فعلا كما يجب، ان المنظر الشامل لمختلف الالوان ومختلف الحركات التي يزدان بها هذا الكون كل ذلك يلاحظه معظم الناس دون ادنى تفكير.. وقد يكون من الانسانية ان نقدر قليلا الاشياء التي تحت تصرفنا وان نتوق الى الاشياء التي ليست في متناولنا، بيد انه مما يدعو الى الاشفاق الكبير اننا في عالم النور نلاحظ ان حاسة البصر تعتبر لدينا على انها اداة زهيدة فقط قبل ان تعتبر على انها وسيلة تضفي على الحياة الكمال والجمال.

لوكنت رئيسة جامعة لكان علي ان افرض مادة اجبارية حول موضوع: (كيف تستفيد من عيونك) يكون على الاستاذ في هذه المادة ان يحاول افهام طلبته الوسائل التي تمكنهم من ان يضاعفوا المتع التي تزدان بها حياتهم عن طريق الرؤية الحقيقية للاشياء التي تمر أمامهم دون ان يعيروها أدنى اهتمام، نعم يكون عليه ان يحاول ايقاظ طاقة طلابه وبعثها من نومها وفتورها ..

اعتقد انه من الممكن ان أرسم على سبيل التخيل ماذا يكون علي ان ارى لو انني وهبت نعمة البصر فقط لمدة ثلاثة أيام .. فحاولوا ان تشاركوني في هذا الخيال كذلك .. ركزوا تفكيركم فيما أقول وانا أحاول ان نجد استعمالا للزمن طيلة هذه الايام الثلاثة التي سنبصر فيها بأم عيوننا نحن ...

عندما تشعر بأن الليلة الثالثة ستحمل معها اقتراب عودة الظلمة الدائمة، وعندما تشعر بان الشمس سوف لا تعود ابدا للظهور مرة أخرى، كيف تقضي تلك الايام الثلاثة الثمينة المحددة المزدحمة؟ ماذا ستختار ان يقع بصرك عليه؟

سأختار أنا طبعا ان ارى أكثر الاشياء التي اصبحت عزيزة علي طيلة السنوات المظلمة التي عشتها، وأنتم كذلك ولاشك ستفضلون ان تتركوا لعيونكم الحرية الكاملة لتقع على الاشياء التي أمست محببة لديكم وذلك حتى تستطيعوا ان تحتفظوا لانفسكم بذكراها في الليل البهيم الذي يعترض طريقكم.

نعم اذا ما منحت بقدرة فرصة النظر لمدة ثلاثة ايام اكون بعدها مهددا بانتكاسة تسلمني الى الظلام الدائم، آنذاك سأوزع هذه الفترة من حياتي على ثلاث مراحل:

في اليوم الاول سيكون أول ما اقوم به هو رؤية هؤلاء الناس الذين جعلوا من حياتي شيئا يستحق الذكر بفضل عطفهم ولطفهم واخلاصهم. اولا سيكون علي ان انعم النظر طويلا في محيا عزيزتي واستاذتي المسز صاليفان ماسي التي وردت علي ذات يوم وانا ما أزال طفلة وفتحت أمامي هذا العالم الجديد .. لا اريد ان تكون «رؤياي عابرة تقتصر على تلمح الخطوط البارزة لاسارير وجهها من اجل الاحتفاظ بذكراها في مخيلتي فقط، ولكني اريد ان ادرس ذلك الوجه درسا لاقرأ فيه الشاهد الجلي على ذلك العطف والود والصبر



الذي كانت تتحلى به وهي تقوم بأداء مهمتها الشاقة من أجل تربيتي وتعليمي. أريد ان أرى عيونها المليئة بالعزم والقوة التي جعلتها تقف وقفة شهم حازم أمام سائر المصاعب .. عيونها المليئة بالرحمة والشفقة بجميع افراد الانسان.

لا أعرف ماذا سأراه في أعماق قلب صديقة من خلال العين: «نافذة الانسان» كنت استطيع ان «أرى» بواسطة أناملي وأصابعي فقط الملامح المتجسمة لوجه ما من الوجوه، استطيع ان اكتشف الفرح والحزن وسائر الانفعالات الظاهرة .. اعرف صديقاتي واصدقائي عن طريق لمس وجوههم، لكني لا أقدر حقيقة ان ارسم صورة في مخيلتي لاشخاصهم عن طريق مجرد اللمس، اعرف شخصياتهم طبعا من خلال «الوسائل الاخرى» من خلال الافكار التي يعبرون لي عنها، من خلال اعمالهم وتصرفاتهم مهما كانت .. ومع ذلك فاني محرومة من النفوذ الى اعماقهم ذلك النفوذ الذي يتم دون شك عن طريق النظر في وجوههم، عن طريق ملاحظة ردود الفعل التي يقابلون بها مختلف النظريات التي يسمعونها او الظروف والملابسات التي تمر بهم عن طريق التفاعلات والاحساسات المباشرة والعابرة التي تتجلى من العيون وملامح الوجوه.

أعرف جيدا الصديقات اللاتي يترددن علي لانهن ظللن عبر الشهور والاعوام يشخصن أمامي في شتى المظاهر، بيد ان الزملاء العابرين ليس لي منهم الا بعض الانطباعات الناقصة، انطباعات توفرت عليها عن طريق احتضان او سلام، عن طريق بعض الكلمات التي التقطها من بين شفاههن، بمساعدة أناملي او بعض الكلمات التي ينقرن بها على راحة يدي. كم يكون سهلا وكم يكون من بواعث الارتياح بالنسبة اليكم انتم الذين تستطيعون ان تبصروا بعيونكم وان تدركوا بكل سرعة الصفة الاساسية للاشخاص الاخرين بمجرد رؤية الحركات التي تصحب التعبير عادة، بمجرد رؤية اهتزاز الاطراف، بمجرد اشارات اليد .. ولكن هل خطر مرة ببالكم ان تستعملوا بصركم لتنفذوا به الى الطباع الداخلية لصديق لكم او رفيق؟ اليس ان معظمكم — ايها الذين تبصرون — انما يدركون عن طريق الصدفة فقط، معالم الوجوه وقسماتها ثم تتركون ذلك يمر كأنه لا يعني ..؟

ولأضرب مثلا أدق اسألكم هذا السؤال: هل تستطيعون ان تصفوا بدقة وجوه خمسة من الاصدقاء الذين تعرفونهم جيدا؟ بعضكم ربما قدر على ذلك، لكن عددا منكم كثيرا لا يستطيع .. وكتجربة خاصة قمت بها أنا أذكر انني سألت بعض الازواج ممن عاشروا زوجاتهم طويلا عن اللون الذي تمتاز به عيون أزواجهم .. وفي أغلب الاحيان عبروا لي عن خجلهم وارتباكهم .. واعترفوا بانهم لا يعرفون حقا ألوان عيون زوجاتهم ولهذا اتذكر بهذه المناسبة ان كثيرا من الزوجات لا يفتأن رافعات عقيرتهن بالشكوى من أزواج لهن لا يولون اهتماما لما يطرأ على البيت من ترتيبات طارئة .. ان عيون هؤلاء الذين يبصرون لا تلبث ان تعتاد رؤية الاشياء، ولا تلبث ان تصبح تلك الاشياء التي تجري من حواليهم رتيبة مبتذلة. والناس لا يعيرون في العادة اهتمامهم الا لبداية الامور او للغريب غير العادي منها، على انه مع كل هذا، في اغلب الامور التي تستحق المشاهدة نلاحظ ان العيون تمسي كسلانة لا تتحمل استجلاء الأشياء، وهناك حقيقة ينبغي ان تسترعي اهتمامنا هي ان مجالس القضاء والمحاكم تكشف كل يوم عن خطأ الذين يتقدمون اليها على انهم «شهود عيان»! فعلا هناك عدد من الحوادث يشاهد على عدة طرق تبعا للاداء المختلف لشاهدي العيان! أحدهم تكون ملاحظته أقوى من الآخر لكن القليل من الناس هو الذي يرى كل شيء يدخل تحت مجال بصره.

آه .. ما اكثر الاشياء التي علي ان أراها لو توفرت لدي حاسة البصر لمدة ثلاثة أيام فقط ..

نعم سيكون اليوم الاول من اكثرها ازدحاما في العمل .. سيكون علي ان أدعو سائر اصدقائي واعزائي لاتملى من النظر الى وجوههم طويلا وذلك لاطبع على مخيلتي المشاهد الظاهرة للجمال الذي يعلوهم، سيكون علي ان اترك الفرصة لعيوني كيما تأخذ راحتها في النظر العميق الى وجه طفل من الاطفال وذلك لأخذ فكرة عن الجمال الصاعد البريء الذي يتقدم على مرحلة شعور الشخص بما ينتظره في الحياة من صراع ونزاع.

وكذلك فان مما سيضطرني دون شك ان أحدق بامعان في عيون كلابي الوديعة الامينة (صكوتي) (ضاركي) الصغيرين اللذين يمتازان بجديتهما وذكائهما .. وكذلك (كويط دان) و (هيلكا) الضلعين الحاذقين هاته الكلاب التي كانت لي نعم العزاء ونعم السلوى بملمسها الناعم، وصداقتها الوفية.



في هذا اليوم الاول المليء بالاشغال سيكون علي ان أرى هذه الاشياء البسيطة الصغيرة التي يضمها بيتي، اريد ان أرى هذه الالوان الدافئة التي تتوفر عليها هذه الزرابي التي أطاها بقدمي، هذه الصور التي تزدان بها الجدران، نعم هذه الاشياء الزهيدة والمحببة في الوقت ذاته التي تحول البناء من مجرد بناء الى حيث يمسي بيتا نأوي اليه ونشعر بالحنان نحوه. ان عيوني ستركز باجلال على هذه الكتب بحروفها البارزة التي مرت بها قراءة منذ زمن، ستكون عندي اكثر حظوة واعتناء من تلك الكتب المطبوعة التي اعتادها المبصرون، ان جميع تلك الكتب، سواء منها التي قرأت بنفسي او التي تليت علي، اقامت أمام مخيلتي طيلة الليل الذي صحبني في حياتي، أقامت الفجوات العميقة للحياة الانسانية، وللفكر الانساني.

وفيما بعد ظهر اليوم الاول من هذه الايام المبصرة الثلاثة سيكون من برنامجي ان اقوم بجولة طويلة داخل الغاب لاني أريد لعيوني أن تسكر، ان تغيب في جمال الطبيعة في محاولة من أجل ان استوعب – في اوقات قليلة جدا – هذا البهاء العظيم الذي يعرض نفسه باستمرار على اولئك الاخرين الذين يتوفرون على حاسة النظر .. وفي طريقي الى بيتي من جولتي في ذلك الايك الجميل سأعرج قليلا على بعض الضيعات حتى يتسنى لي ان اشاهد بعيني الجياد الكادحة التي تشق الارض بمحراثها او اشاهد فقط جرارا من تلك الجرارات وأقف بعين رأسي على اولئك الرجال الذين يفترشون الغبراء في هدوء وايمان وقناعة، هناك سأقوم بأداء صلاة الشكر امام هذا الرواء الذي يتجلى في الوان الشمس عند مغربها.

وعندما يخيم الظلام هناك ايضا سيكون في متناولي ان استمتع بالمتعة المزدوجة عندما يكون في استطاعتي ان أرى أيضا عن طريق النور الصناعي الذي شاءت عبقرية الانسان ان تبتكره حتى يمدد في أمد الضوء، في الوقت الذي تحكم الطبيعة فيه على الناس بالظلام.

وعند الليلة الاولى من هذا اليوم الاول من ايامي الناظرة سوف لا يجد النوم سبيلا الى عيوني لان ذكريات الساعات الماضية ستزدحم على مخيلتي.

وفي اليوم الموالي، أعني اليوم الثاني من ايام النور سأستيقظ مع الفجر لارى تلك المعجزة الهائلة: معجزة انسلاخ الليل عن النهار وتحول الطبيعة من عالم مطبق الى عالم مشرق سأقف بأجلال وخشوع أمام هذا المنظر البديع الرائع للشمس وهي تنتشر على الارض توقظ الناس من سبات المنام.

وسأخصص هذا اليوم لشيء آخر .. اني اريد ان أخذ لمحة سريعة عن هذا العالم، ماضيه وحاضره، سيكون علي ان اقف على مظاهر تقدم الانسان، وعلى الاثار التي تعبر عن مختلف العصور .. لكن كيف استطيع ان اضغط كل هذا في يوم واحد؟ من خلال المتاحف طبعا .. لقد سبق لي أن زرت في أكثر الاحيان متحف نيويورك للتاريخ الطبيعي لالمس بيدي كثيرا من الاشياء المعروضة هنا بيد اني كنت اتوق لارى هذا بعيوني أنا، تاريخ الدنيا المتشابك المتكاثف بما فيه من اولئك الذين كانوا يعيشون هاتيك العصور، اجناس بشرية، حيوانات نحتت او صورت في بيئتها الاولى وشكلها الاصلي، سأرى الجثث الهائلة لحيوانات زاحفة انقرضت الان كالدينوصور، وبالنسبة كذلك للادوات والعدد التي استخدمها الانسان من أجل ان يجد لنفسه حياة آمنة على ظهر هذا الكوكب .. والف مظهر ومظهر للتاريخ الطبيعي ..

كم ياترى عدد قراء هذه الاشياء من الذين تنبهوا لضرورة مشاهدة هذه المعالم الموسومة للاشياء الحية في ذلك المتحف الملهم بكل معاني الحياة كثير منهم بطبيعة الحال لم تكن لديه الفرصة ليطبق ما يشاهد على ما يدرس، على انني متأكدة من ان كثيرا من اولئك الذين سنحت لهم الفرصة لم يستعملوا ابصارهم كما يجب .. هناك في تلك المتاحف يوجد بكل تأكيد المكان الذي يستحق من المرء ان يستعمل بصره .. انت الذي ترى يمكنك ان تقضي أياما منتجة هناك، أما انا في هذه الرحلة الخيالية التي لا تتجاوز ثلاثة أيام من عمري فلن استطيع ان احظى باكثر من لمحة عابرة ثم اغدو الى ليلي الحالك.

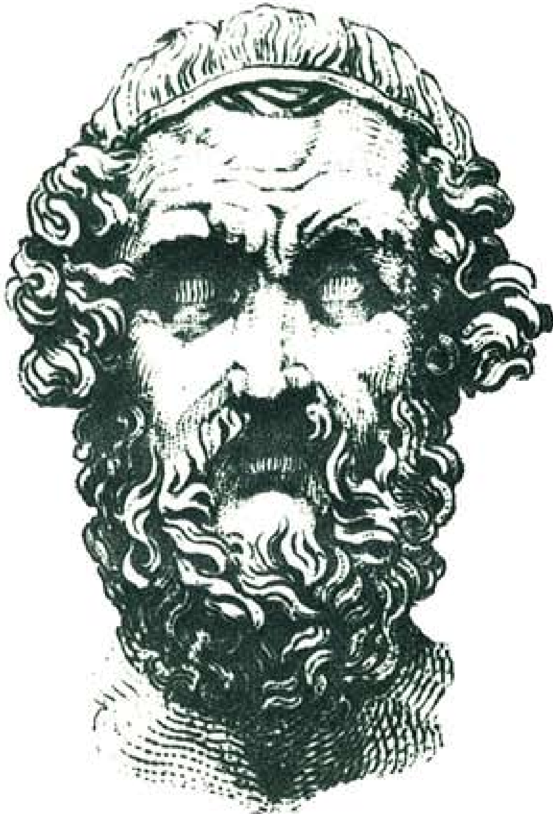
وستكون وقفتي التالية في متحف العاصمة للفن، وكما كشف المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي عن مختلف المظاهر المادية لهذا العالم فان متحف العاصمة يكشف لنا عن العديد من حقائق الفكر الانساني، فمن خلال تاريخ الانسانية نرى ان الحاجة الى التعبير الفني كانت من الضرورة بحيث تضاهي الحاجة الى الطعام، الى المأوى، الى الاولاد .. هناك في تلك الغرف الفسيحة الارجاء من متحف العاصمة تنتصب أمامي حياة مصر واليونان وروما متجلية في فنونها ..

كنت اعرف جيدا عن طريق لمس الهياكل المنحوتة – آلهة ارض النيل القديم – وقد أخذت صورة عن هيكل بارثينون (PARTHENON) وأدركت الجمال البديع الذي كان طابع المحاربين اليونانيين الامناء .. ابولو وفينيس، وتمثال النصر المجنح في ساموتراس، كل هذه كانت صديقة لاناملي،

كانت قسمات وجه الشاعر اليوناني هوميروس بلحيته واساريره، كانت عزيزة على ملمسي، انه هو كذلك كان اعمى .. كانت يدي تجد راحتها وهي تلمس الرخام الروماني المنقوش تماما كما ألمس نحت الاجيال المتأخرة .. قد مررت بيدي على لوحة جبسية من صنع النحات الايطالي ميشانجيلو للبطل الملهم موسى، وأدركت عبقرية النحات الفرنسي رودان. لقد ظللت معجبة بأبدع الفكر المتجلي في النحت الخشبي الغوطي. ان هذه الفنون التي يمكن لمسها لها معاني خاصة بالنسبة الي بيد ان معانيها وهي مرئية افضل منها وهي ملموسة. أستطيع فقط ان اصل عن طريق الحدس والتخمين الى الجمال الذي تظل بقاياه وملامحه غائبة عني، استطيع ان أبدي اعجابي بالخطوط البارزة التي تزين زهرية من الزهريات الاغريقية بيد ان الزخارف المرسومة تظل بالنسبة الي مفقودة.

نعم هكذا سأقضي ثاني يوم من أيام نوري، سيكون علي ان انفذ الى أعماق الروح الانساني من خلال ما خلفه ذلك الانسان من فنون. ان الاشياء التي اعرفها عن طريق اللمس، يجب علي اليوم ان أراها رؤيا عين .. هذه الروعة الكاملة التي يتوفر عليها عالم الرسم، ينبغي ان تتفتح أمامي في أبهى مظاهرها من العهود الايطالية الاولى بمظهرها الديني الهادي الى العصور الحاضرة بمظاهرها المحمومة المضطربة .. سيكون علي ان أنظر بأمعان الى الصور المرسومة على القماش والتي هي من عمل رفاييل وليوناردو دافينشي تيتان ريمبراندت .. سأقيم لعيوني عيدا عندما اسمح لها بأن تقف قليلا أمام اللون الدافيء لفيرونيز (VERONESE) وبأن تدرس اسرار الكريكو. وبأن تكتسب نظرة جديدة للطبيعة من كوروط (COROT) آه، هناك كثير من المعاني الثرية، ومن الجمال البديع في شتى الفنون التي تمثل مختلف العصور بالنسبة اليك أنت الذي تنعم بعيونك تستطيع ان ترى بها كلما أردت ذلك.

وبعد هذه الزيارة القصيرة لمتحف الفن هذا سوف لا أستطيع ان اعيد النظر الى جانب واحد من هذا العالم العظيم من عالم الفن الذي يظل في متناولكم انتم كل وقت وحين .. سأستطيع فقط ان احصل على بعض الارتسامات السطحية .. عدد من الفنانين يذكرون لي ان تقدير الفن العميق الصحيح من شأنه ان يعمل على تربية حاسة النظر. ان المرء عن طريق تجربته يعرف كيف يقدر الكفاءات، يتعلم عن طريق التجربة وامعان النظر كيف يزن الامور ويتأمل الامكانيات وابعاد الخطوط وترتيبها واشكالها والوانها .. لو



هوميروس



مايكل انجلو

كانت لي عيون كم أكون سعيدة لحظ أن أتعاطى دراسة جذابة من هذا النوع. يحكي لي دائما عن عدد من الناس من بينكم – ايها الذين تبصرون – لا يهتم بعالم الفنون هذا، وانه بالنسبة اليكم يظل عالما مجهولا بل ليلا مظلما .. فهو – أي ذلك العالم – لا يرى النور ولا يحظي بمن يحاول اكتشافه.

سأترك متحف العاصمة وانا اشعر بمرارة ما عليها من مزيد. فقد كنت افضل ان أظل هنا بجانب المفتاح الذي يختص انواع الجمال. الجمال الضائع المهمل .. نعم ان هؤلاء الذين يبصرون لا أراهم في حاجة الى متحف من هذا النوع يبحثون فيه عن مفتاح الجمال ذلك. ان هذا المفتاح يظل منتظرا على الابواب. فهناك متاحف صغيرة تمثل في تلك الكتب التي تضمها رفوف المكاتب .. لكني بطبيعة الحال، وفي هذا الوقت المحدد من أيام «رؤيتي الخيالية» ملزمة ان اختار المكان الذي يوجد فيه المفتاح الذي يكشف لي عن أعظم كنز وأثمنه وفي أقصر وقت كذلك.

وفي مساء اليوم الثاني من «أيام النور» سيكون علي ان اقضيه في مسرح أو سينما .. لقد حضرت الى الان طائفة من التمثيليات المسرحية من كل نوع وشكل بيد ان حركة الممثلين انما كانت تهجى لي من طرف رفيقتي .. لهذا فكم اكون سعيدة ان أرى اليوم عن طريق عيوني انا ودون حاجة الى ترجمان شخص (هامليت) الفاتن، و (فالسطاف) العاصف بين الزخارف الملونة لاليزابيث، وكم اكون سعيدة ان اتتبع سائر حركات (هامليت) الرشيق القد، وسائر اطراف (فالسطاف) القوي الجسم، سأشاهد فقط تمثيلية واحدة، وسيكون علي ان اجابه عددا من المفاجآت بما في ذلك الاشارات الفنية التي أرغب ان اراها بعيني .. أنتم الذين لكم عيون يكون في متناولكم ان تروا أي شئ يروقكم مهما تريدون، فكم منكم ياترى عندما يقع بصره على تمثيلية في مسرح او رواية في سينما او اي العوبة، كم منكم يزجي آيات شكره وتقديره لمعجزة البصر التي ينعم به والتي تجعله قادرا على ان يستمتع بلونها وحسنها وحركتها؟

لا أستطيع ان اتمتع بجمال الحركات الايقاعية، وكل ما كنت أستطيعه في دائرتي الضيقة هو ان ألمس بيدي .. كل ما كان في مقدوري هو ان أتخيل، ولكن في غموض فقط، جمال (بافلوفا) ومع ذلك اعرف بعض الاشياء البهيجة في ايقاعها، وفي اغلب الاحيان استطيع ان اشعر بذبذبة الميزان الموسيقي وهي تنساب من تحت قدمي على وجه الارض، أتصور جيدا ان حركة ايقاع النغم يعتبر من أجل المناظر في **العالم واستطيع كذلك ان ادرك بعض الاشياء عن طريق** التحسس بأناملي عن السطور المنقوشة. فاذا كان هذا الجمال الهادئ محببا الى الناس فكيف يمكن ان نتصور الابتهاج الذي يتملكنا ونحن نرى هذا الجمال الصاخب أمام أبصارنا؟ ..

ولا أنسى احدى الذكريات العزيزة علي يوم اذن لي الممثل الامريكي جوزيف جيوسون فسمح لي بلمس وجهه ويديه عندما كان يقوم ببعض الحركات ويلقي بعض الكلمات من قصته المحببة لدى الشعب الامريكي: «ريب فان وينكل» RIP VAN WINKLE لقد استطعت فقط ان أدرك بعض الملامح عن عالم القصة، ولكنها كانت تافهة. وسوف لا أنسى أبدا تلك المتعة التي شعرت بها في تلك اللحظات ومع ذلك فكم هي الاشياء التي ضاعت مني! وكم هي المتعة الفائقة بالنسبة للذين يرون والذين يمكنهم ان يقتبسوا عن طريق ابصارهم ومسامعهم الكلمات والحركات المتبادلة بين الفنانين في تمثيلية ما. لو استطعت ان ارى يوما واحدا فقط سأعرف كيف أرسم في ذاكرتي مشاهد لالاف التمثيليات من التي قرأتها او التي نقلت الي عن طريق الحروف الهجائية .. وهكذا فانه في هذا المساء من يومي الثاني لرؤيتي الخيالية فان الرسوم، والخطوط العريضة للادب الدراماتيكي ستزيح النوم عن بصري ..

° ° °

وفي الصباح الموالي لابد لي أيضا ان استيقظ مع الفجر لانني أرغب في أن أظل على موعد مع اكتشاف المتعة الرائعة التي تتجلى في مطلع الشمس .. انه من الجدير باولئك الذين لهم عيون تبصر حقيقة ان يتخذوا من أغنية الفجر ومشهد الفجر كل يوم وبكيفية دائمة مناسبة يحتفلون فيها باستقبال هذا الجمال المتجدد ..

ان هذا اليوم سيكون في برنامج رؤياي المتخيلة هو اليوم الثالث والاخير من ايامي .. سوف لا يكون لدي وقت اضيعه في الاسف او التمني هناك كثير من الاشياء التي ما تزال تستحق الرؤية .. لقد خصصت اليوم الاول لصديقاتي واصدقائي سواء منهم الحيوانات والجمادات بينما كشف لي اليوم الثاني عن تاريخ الانسان وتاريخ الطبيعة .. اما هذا اليوم فسأقضيه في هذا العالم المتحرك المشتغل. عالم الحاضر بين ديار الناس ومتاجرهم وهم يغدون ويروحون لمشاغلهم في الحياة، واين يجد المرء هنا مكانا يحتوي على أكبر قسط من النشاط والحركة



كما يجده في نيويورك؟ ولهذا فأني اتجه شطر هذه المدينة في يومي هذا ..

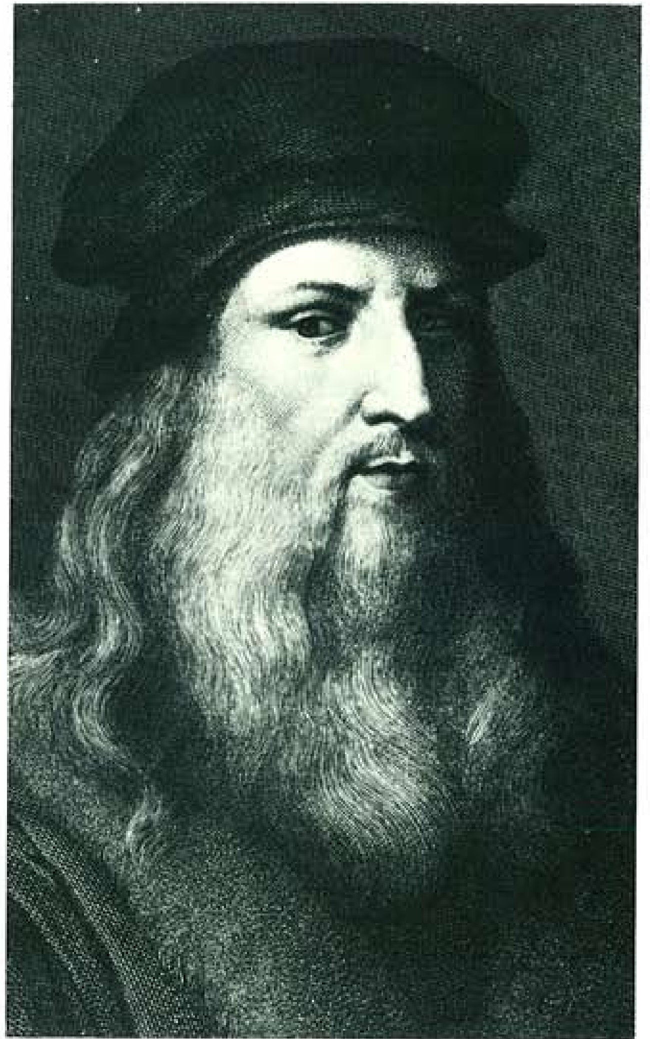
سأبدأ انطلاقتي من بيتي بالضاحية الهادئة الصغيرة (فوريست هيلس) لونك ايلاند، هنا حيث الحشيش الاخضر والاشجار والزهور وحيث تنصب بيوت أنيقة جميلة، حيث اشعر بالسعادة مع الاصوات والحركات التي تنبعث من جماعات السيدات والاطفال، حيث ينعم الرجال بالراحة المطلقة بعد رجوعهم من عنائهم المتتابع بالمدينة .. سأخترق هذه المجموعة من الابنية المتراصة من الفولاذ التي تكون جسر غرب الوادي وهناك سأشعر ببداية جديدة لمشاهدة القوة، والعبقرية اللتين يتوفر عليها هذا الانسان، سيقع بصري على هذه المراكب الراسية هنا .. وفيها ما يهمك اصحابه في الشغل المتواصل به، وفيها ما تنطلق منه اصوات مدوية .. هناك سفن اخرى تزمجر في محاولة للقيام ببعض الحركات .. لوكانت لدي ايام اخرى طويلة ما تزال تنتظرني لكنت أقضي منها نصيبا في تتبع هذا النشاط الرائع الذي يجري حوالي الوادي. أرى أمامي ذات اليمين وذات الشمال تنتصب المنارات الغريبة، ناطحات السحاب التي عرفت بها مدينة نيويورك، المدينة التي يظهر انها انحدرت من صفحات تاريخ مهول .. ما أعظمه من مشهد مثير مرعب يتجلى في هذه البروج اللامعة، في هذه المصارف الرحبة الواسعة الارجاء المشيدة بالصخور والفولاذ .. بنايات يخيل اليك انها من صنع جنّ بنوها من أجل انفسهم هم .. وهذه الصورة الحية هي جانب من جوانب حياة ملايين الاشخاص كل مطلع شمس .. كم هو ياترى عدد الذين يعطونها اكثر من نظرة ثانية. انهم قليلون فيما أرى .. ان عيونهم عمياء عن هذه المناظر الرائعة لانها بالنسبة اليهم أمست أمرا عاديا لا يحتاج لاعادة نظر.

سأدير الخطى لاصل الى قمة احدى هذه البنايات الشاهقة الضخمة، بناية امباير ستيت (١٠٢) طبقة لقد كنت في اوقات قصيرة خلت «رأيت» مدينة نيويورك ولكن من خلال عيون كاتبتي الخاصة .. اما الان فاني في اشد الشوق لاقارن بين الخيال وبين الحقيقة الواقعة في اني متأكدة من انني سوف لا اشعر باكتئاب مطلقا وانا امام هذه المباني المتناثرة امامي، سيكون هذا بالنسبة لي مشهدا من عالم آخر..

والان سأشرع في تجولاتي عبر المدينة بعد ان اخذت فكرة عنها من فوق أعلى بناية وفي بادئ الامر سأقف في زاوية جد مزدحمة من المدينة يقصدها على الخصوص جمهور الناس وذلك لاحاول عن طريق النظر اليهم معرفة بعض الاشياء عن حياتهم وأرى البسمات تعلو الوجوه وانا جد مسرورة وأرى العزم والنشاط يشع من عيون الناس وانا جد معتزة، وارى كذلك العذاب والعناء وانا مشفقة.

سأتجول في شارع «فيفث افنيو» وسأسلط نظراتي على النقاط التي يجتمع فيها النور وذلك لاتمكن ليس فقط من رؤية الاشياء الخاصة ولكن فقط لمشاهدة الالوان الزاهية اني متأكدة من ان هذه الالوان التي تمتاز بها ملابس النساء اللائي يسرن في هذه المواكب المتراصة .. ان هذه الالوان تمثل وحدها مشهدا بديعا لا أشكو منه التعب أبدا بيد انه من الممكن – اذا كان لي بصر – ان اكون مثل اولئك النساء الاخريات مهتمة ايضا بالاشكال والازياء التي تثير انتباه العامة اكثر لجمالها وبهائها .. واني مقتنع كذلك بان علي ان اقف امام احدى واجهات المتاجر لارى من خلال النوافذ .. سأشعر بمتعة زائدة وعيوني تطوف بين آلاف الاصناف الجميلة المعروضة.

ومن شارع «فيفث افنيو» سأطوف على المدينة عبر «بارك افنيو» عبر الاحياء الشعبية، عبر المعاقل، عبر الحدائق التي يقصدها الاطفال للتلهي، وسأقف قليلا لازور الاحياء الاجنبية .. وفي كل هذه التحركات ستكون عيوني مفتوحة على مصراعيها كما يجب، وعلى كل المناظر التي تقع عليها عيوني، سواء منها الجميل والرديئ وذلك لاتمكن من النظر بعمق لاضيف الى معلوماتي شيئا حول الطريقة التي يعيش عليها الناس ويشتغلون .. ان قلبي مليئ بالصور: صور الاشخاص، وصور الاشياء أيضا .. وعيوني تمر دون ترو متغاضية عن الامور الزهيدة، انها تكد وتجاهد من اجل ان تلتقط معها وفي انتباه ويقظة كل شيئ تقع عليه، هناك بعض المناظر مما يدخل السرور على القلب بل مما يملؤه انشراحا وغبطة، لكن بعض المشاهد محزن فعلا .. وبالنسبة الى هذه ايضا فاني لا أغمض عيوني عنها أيضا لانها في نظري تمثل جانبا من جوانب الحياة واعتقد ان صرف العيون عن مثل



ليوناردو دافنشي

هذه المشاهد ولو انها محزنة هو بالذات اغلاق للقلب واغلاق للفكر.

ان يومي الثالث من ايام البصر يقترب من نهايته ومن الممكن ان يكون هناك عدد من الاشياء الجدية التي تقتضي مني تخصيص بعض الساعات الباقية لرؤيتها بيد اني اعتقد ان مساء هذا اليوم الاخير يجب علي ان اقصد فيه أيضا الى المسرح حيث انعم برؤية تمثيلية هزلية مضحكة وذلك ليتسنى لي ان اخذ فكرة عن واقع الكوميدي في الفكر الانساني.

وعند منتصف الليل تكون الرخصة المؤقتة التي قضيتها بعيدا عن ظلمتي قد اخذت نهايتها، ويحل الليل البهيم الدائم من جديد ليخيم في ساحتي مرة اخرى، وبالطبع لم أر في هذه الايام الثلاثة القصيرة كل ما كنت اريد ان أراه، وعندما ينيخ الظلام بكلكله علي، هناك سأعرف كم هي الاشياء الكثيرة التي تركتها وأغفلتها دون ان اتمكن من رؤيتها بيد ان ذاكرتي ستزدحم بالذكريات المشوقة التي احتفظ بها منذ ذلك الوقت القصير الذي آسف على فراقه، ومنذ هذا الوقت فان لمس أي شيء سيحمل معه ذكرى حية عن حقيقة ذلك الشيء.

ربما يكون هذا العرض الوجيز عن استعمال الزمن طيلة هذه الايام الثلاثة من ايامي المبصرة، أقول ربما لا يتفق مع المنهاج الذي قد تختارونه لانفسكم لو انكم كنتم مكاني، ولكني مع ذلك متأكدة من انكم اذا واجهتم هذا القضاء فان عيونكم ستفتح أمام الاشياء التي لم تروها قبل مدخرين ذكرياتكم الى الليل الطويل العريض الذي ينتظركم .. كل شيء رأيتموه سابقا يمسي بالنسبة اليكم عزيزا .. ينبغي ان ترى عيونكم كل شيء يدخل في دائرة عملكم .. عليكم ان تبصروا حقيقة الاشياء، انكم اذا فعلتم ستشعرون بان عالما جديدا من الجمال يكشف نفسه أمامكم ..

استطيع – انا الكفيفة – ان أعطي اشارة فريدة لاولئك الذين يبصرون أعطيهم عظة وتنبيها لاولئك الذين يرغبون في ان يستغلوا هذه النعمة: نعمة البصر .. استفيدوا من عيونكم كما لو كنتم مهددين غدا بافتقاد هذه النعمة .. وان نفس النصح ينبغي تطبيقه على سائر الحواس الاخرى استمعوا الى الصوت الجميل، الى هزيج الطير، الى نغمات الموسيقى كما لو كنتم غدا ستصابون بالصمم .. ألمسوا كل ما يستحق منكم اللمس .. تنسموا أريج الزهور وعبير العطور. تذوقوا بلذة كل طعام سائغ لذيذ تتناولونه كما لو انكم ستفقدون غدا حاسة الشم والذوق .. تمتعوا بكل حاسة من حواسكم .. استمتعوا بكل اللذائذ، وانعموا بكل مظاهر الجمال التي تتفتح امامكم في هذه الدنيا على شتى الاشكال ومختلف الطرق .. التي تقدم اليكم بها الطبيعة الخلابة ..

ان كل هذه الحواس هبة تستحق الشكر بيد ان نور البصر يعتبر من أجمل وأروع ما يدخل البهجة الى النفوس.



الرواية المغربية
من أين .. وإلى أين؟!

بقية

عرض وتقديم: فتحي العشري

مولود فرعون:

ولد بمدينة تيزي – هيبال الجزائرية عام ١٩١٣ لاب فلاح غير مهنته في فرنسا الى عامل. درس مولود بمدرسة المعلمين وتدرج في مهنة التدريس حتى اصبح مديرا لمدرسة الجزائر .. ساهم بالكتابة في العديد من المجلات العربية والفرنسية، اصدر روايات «ابن الفقير» ١٩٥٠ «الارض والدم» ١٩٥٤ «الطرق الصاعدة» ١٩٥٧ .. واصدر «المذكرات» عام ١٩٦٢ .. قتل في ١٦ مارس، ١٩٦٢ في فجر معركة الاستقلال..

اما الرواية الاولى فهي عبارة عن ترجمة ذاتية تحكي حياة مولود طفلا في القرية ثم شابا يعاني الفقر والهوان مثل سائر ابناء شعبه ثم رجلا يشق طريقه بالكفاح والعرق حتى يصل الى منصب متواضع ولكنه كبير بالنسبة لابناء جيله المقهورين والمحرومين من الزاد العلمي والثقافي على السواء..

وتجيء روايته الثانية لتحرك الشخصيات الساكنة وتفجر فيهم المشاعر الجامدة فقد تعلموا الكراهية كما تعلموا الحب وتعلموا السخرية كما تعلموا العطف والحنو والتسامح .. وبينما كانت الرواية الاولى ترجمة حياة جاءت الرواية الثانية سيرة حياة، سيرة عامل بسيط يعود الى قريته بعد خمسة عشر عاما قضاها في المهجر في فرنسا بلد الاعداء وتزوج من فتاة فرنسية سرعان ما يضيق بها عند العودة، فقد التقى بمحبوبته القديمة ابنة بلده، ويظل يعاني من هذا التمزق فيندفع نحو الانتحار كحل للخروج من الازمة..

وتكمل الرواية الثالثة احداث الرواية الثانية فبطلها هو ابن العامل المنتحر الذي ينتحر هو الآخر في نهاية الامر نتيجة للحصار المفروض حوله خاصة بعد ان عاش اربع سنوات في بلد امه الفرنسية وعاد ليقع في حب ابنة عمه التي يستدرجها احد الضباط الفرنسيين فلا تملك الا ان تصارح ابن عمها بالحقيقة المرة، والتي تؤدي الى انتحار الفتى مثلما فعل ابوه، وكأن الانتحار وراثي في هذه العائلة المنكوبة..

ولكن مولود فرعون لا يقف عند سرد الاحداث بطريقة واقعية ولكنه يتوقف عند وصف الحياة اليومية لابناء القرية بالاضافة الى اللعب بالرمز من خلال اسلوب يتميز بالحرارة والدفء ولا يخلو من الامل وان امتلأ باليأس والاحزان..

مولود معمري

ولد عام ١٩١٧ بمدينة تارويت بالقرب من زميله مولود فرعون بالجزائر، ودرس بالمدارس الجزائرية والمغربية والفرنسية ثم عمل مدرسا حتى وصل الى منصب استاذ الدراسات الادبية بجامعة الجزائر .. له ثلاث روايات «الوادي المنسي» ١٩٥٢ «نوم العدل» ١٩٥٥، «الافيون والعصا» ١٩٦٥..

الرواية الاولى تدور احداثها في احدى قرى الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٤ بالتحديد وابطال الرواية ينقسمون الى فريقين اولهما من اتباع الوالي يعيشون على الخمر والرقص. وثانيهما ابناء الفلاحين يتمرغون في الفقر والارض، ويستدعى الجميع للمشاركة في الحرب، فيودع كل منهم اقاربه ومعارفه حتى يتوقف الكاتب عند واحد من الفريق الاول وآخر من الفريق الثاني يودع كل منهما حبيبته ليصور لنا مشاعر كل فريق او كل طبقة ومدى استعداده للتضحية والفداء اوا التراجع وحب الذات..

اما في الرواية الثانية فيحاول معمري ان يدفع بأبطاله الى ساحة الفداء بشيء من الالتزام ذلك ان الحرب ليست حربا غريبة ولكنها حرب الوطن، فقد انقلب الامر واصبح المواطن الجزائري مدافعا عن ارضه وليس عن ارض غيره .. ومع هذا فالحرب لم تحقق الاستقلال بعد وكل شيء لا يزال مختلفا، الخير والشر، العدل والظلم، النظام والفوضى، البطولة والخيانة حتى ان نهاية البطل كانت السجن ونهاية شقيقته النفي ونهاية شقيقه الموت..

ونصل الى رواية معمري الثالثة فنجد ان نبرة اليأس قد بدأت تنتشر في عباراته، فالحرب طالت والموت زاد والفساد تفشى والظلم تسيد..

ويقرر مولود معمري ان يركن الى الصمت حتى تنتهي المعارك الاليمة ليسجل في هدوء تاريخ المليون شهيد..

محمد ديب

ولد بمدينة تلمسان بالجزائر عام ١٩٢٠، عمل بعد دراسته الثانوية صانع سجاد ثم مدرسا بالابتدائي ثم صحفيا .. كتب روايات «البيت الكبير» ١٩٥٢ «الحريق» ١٩٥٤

«مهنة النسيج» ١٩٥٧، «من ذا الذي يتذكر البحر» ١٩٦٢، هذا فيما عدا مجموعات من القصص القصيرة والاشعار فضلا عن مسرحية واحدة وسيناريو فيلم واحد..

منذ الوهلة الاولى نشم رائحة «بلزاك» في اعمال محمد ديب الذي يعد واحدا من ابرز الكتاب الجماهيريين فهو يصور حياة الناس اليومية مبينا ان هؤلاء لا يركنون الى حياتهم القائمة ولا يرجعون داخل سجنهم الكبير ولكنهم يتحركون من اجل الخلاص بأي شكل وبأي ثمن وهو لهذا يناقش الاوضاع الطبقية لابناء الشعب الواحد والضمير الوطني داخل كل واحد من ابناء هذا الوطن المحارِب والمحارَب معا ..

فبطل الرواية الاولى ممزق الاحساس والارادة فهو لا يعرف الفرق بين غني وفقير بين فرنسي ومسلم، فقد تلقى في مدرسته تعاليم خاطئة ومضللة، وعندما يخرج الى الحياة العملية يكتشف ان كل شيء مختلف وان النظرية غير التطبيق وانه معدم مثل مواطنيه وان حياته عدم مثل وطنه .. فيثور ولكن محاولاته تبوء بالفشل، فلا يكف عن تصحيح المعلومات للصغار، ويستسلم لهذا الدور التربوي فلا يزال النضال على الابواب..

وقد عالج «محمد ديب» ادبه بشيء من التجديد متأثرا الى حد كبير بكتاب الرواية الجديدة في فرنسا، فهو وان كان يلتزم بالواقعية الشديدة الا انه يضع الاشياء في مكانة لا تقل عن الانسان ويجعل من الزمن عنصرا فعالا ومن الطبيعة اطارا هاما وهو يمزج فضلا عن هذا كله الواقع بالخيال والحقيقة بالرمز والصور الشعرية بالمواقف اليومية حتى الحرب لم يشأ ان يصفها وصفا تطبيقيا فقد لجأ مثلما فعل بيكاسو في لوحته الشهيرة «جرينكا» الى اسلوب الايحاء والتركيز واختيار الجزء للاشارة الى الكل، وكأنه يجمع بين الاسطورة والتاريخ او بين الماضي والحاضر في وقت واحد ومكان واحد ورؤية واحدة..

مالك حداد

ولد بقسطنطينة عام ١٩٢٧ ودرس بها ثم التحق بحقوق اكسى اون بروفونس ولكنه هجرها الى الكتابة الصحفية في فرنسا والجزائر .. اصدر ديوانين من الشعر واربع روايات .. «الانطباع الاخير» ١٩٥٦، «سأمنحك وردة» ١٩٥٩، «التلميذ والدرس» ١٩٦٠ «الرصيف الوردي لا يجيب ابدا» ١٩٦١..

أما روايات مالك حداد فهي «حلم الحلم» على حد تعبيره، وهي حياة الحياة» على حد تعبير «عبد الكبير خطيبي» .. فهو يكرر الملامح العامة التي تشكل اعماله الروائية وهي الوطن والمنفى والسعادة والالتزام .. في الرواية مثلا نجد ان المهندس الجزائري يهدم بنفسه الكوبري الذي بناه بنفسه، وفي الرواية الثانية لا يريد الطبيب الجزائري ان يعترف بالجيل الجديد من الاطباء فيصر على اجراء عملية ولادة لابنته فيقضي على حياتها بنفسه، وفي الرواية الثالثة يظل الكاتب الجزائري غارقا في اوهامه الثقافية بعيدا عن احداث وطنه حتى تصيبه رصاصات الاعداء فيخر صريعا ..

وهكذا نجد ان كل شخصيات مالك حداد شخصيات باهتة ومسطحة وغير واقعية بمعنى انها لا تعيش في الواقع ولكنها تدفع الثمن حياتها او حياة المقربين .. ومع هذا يؤكد «حداد» دائما على النضال ولو من خلال شخصية ثانوية في كل رواية من رواياته الأربع ..

كاتب ياسين

ولد بمدينة قسطنطينة عام ١٩٢٩ ودرس بكلية «سيتيف» وقبض عليه في حركة ٨ مايو ١٩٤٥ .. ثم عمل بجريدة الجزائر ورحل الى الشرق الاوسط واوروبا ثم استقر بباريس .. كتب المسرحية والقصة والشعر والرواية .. وأبرز رواياته «نجمة» ١٩٥٦، المربع المرصع بالنجوم» ١٩٦٦ ..

وقد كان «كاتب ياسين» هو الوحيد من بين الكتاب المغاربة الذي استقبل استقبالا نقديا حافلا، لا لأنه كاتب عربي يكتب بالفرنسية عن وطنه الذي يعيش ظروفا عصيبة، ولكن لانه كاتب وشاعر تفوق على معاصريه من الاميركان – على حد تعبير موريس نادو – واقترب كثيرا من رامبو – على حد تعبير كلود روى – واستطاع ان يتفوق في النثر والشعر معا وان يخلق لأدبه شخصية مستقلة متميزة .. وفضلا عن كل هذا تمكن كاتب ياسين من تجديد شباب الرواية المغربية فقد ادرك ان المضمون القوي قد يفقد تأثيره بزوال الاحداث المؤثرة اما الشكل الفني المتميز فهو الذي يبقى وتبقى جاذبيته ..

و «نجمة» زوجة كمال يحبها اربعة اصدقاء يعيشون معا في بون. اما نجمة فهي ابنة سيدة فرنسية كانت لها علاقة بوالد احد هؤلاء الاربعة .. ويقتل الأب ويشاع ان قاتله هو غريمه في حب ام نجمة ويلتقي الابن بقاتل ابيه طالبا منه معرفة حقيقة نجمة في مقابل اطلاق سراحه، فهل هي ابنة ابيه القتيل ام انها ابنة القاتل؟ وتكون المفاجأة عندما يصرح القاتل بانه والد زوج نجمة وقد يكون هو ايضا والد نجمة ..

ويرى باشلار ان كاتب ياسين «يمزج الواقع بالخيال ليخلق احداثا غريبة لا تقل غرابة عما يحدث في وطنه مركزا على اختلاط الاجناس وما يجره هذا الاختلاط من مشاكل فضلا عن ضياع كل جنس في الجنس الآخر مما يزيد من الأزمة وليس العكس كما قد يظن اساتذة الاجناس والاجتماع .. فنجمة بطبيعة الحال هي الجزائر، هي المرأة المرغوبة والضحية في الوقت نفسه، وهي الوطن المحتل والمنهار معا ..

اما اسلوب «كاتب ياسين» فهو ذلك الاسلوب الذي يرتفع بالنثر الى مرتبة الشعر والذي يحلق بالشعر حتى يبدو وكأنه نثر .. فلا فرق عنده بين النثر والشعر كلاهما شفاف وكلاهما نغم وكلاهما حياة .. كذلك تبدو القصيدة وكأنها رواية والرواية كأنها مسرحية والمسرحية كأنها قصة وهكذا فلا فواصل عنده ولا حدود بين انواع العمل الفني لانه يقدم في النهاية عملا فنيا ..

آسيا جبار

ولدت بالجزائر عام ١٩٣٦ ودرست بالمدارس الثانوية وحصلت على منحة بالمدرسة العليا بباريس وعينت معيدة بجامعة الرباط ثم استاذة بها ..

اصدرت ثلاث روايات «العطش» ١٩٥٧، «النافذ والصبر» ١٩٥٨، «أطفال العالم الجديد» ١٩٦٢ ..

وتقارن أولى روايات «آسيا جبار» دائما برواية فرنسواز ساجان «صباح الخير ايها الحزن» كما تقارن بروايات ليلى بعلبكي .. فشخصيات «العطش» يموتون من الحب والرغبة في ظروف غامضة .. ولكن الفرق بين ساجان او بعلبكي وبين آسيا جبار هو ان الكاتبة الجزائرية تعني وطنها قبل كل شئ ولا تقف بسذاجة عند جسد المرأة ورغبتها، كما تصور بعض النقاد فهاجموها هجوما عنيفا .. ولهذا حاولت في روايتها الثانية ان تكشف عن حجاب رموزها.

وهنا تنبه النقد الى فكر «آسيا جبار» وطريقتها الخاصة في صياغة الرمز، لانها تكره المباشرة والواقعية كما تكره الخيال والميتافيزيقا ايضا .. ولهذا جاءت روايتها الثالثة التي كتبتها في منفاها بالمغرب اثناء اشتداد المعارك صورة حية من خلال نماذج عديدة للمرأة الجزائرية ودورها الفعال في حرب الاستقلال.

والى جانب هؤلاء لا يمكن للدارس للرواية المغربية والراصد لحركتها ان ينسى «عبد القادر بك هاشمي» و «عبد المجيد بن جاللون» و «مراد بوربون» و «جميلة ديباشا» و «خايف البشير» و «هنري كريباه» و «محمود المسعدي» و «مالك عوارى» و «محمد الصباغ» و «احمد سفريوى» و «مارجريت حمروش طاووس» ..

فهم جميعا قد ساهموا مساهمة فعالة في ايجاد تيار جديد فرض نفسه على تاريخ الادب العالمي، هذا التيار اسمه «الرواية المغربية» .. تلك الرواية التي حاولت ان تخرج من سجنها على مدى ثمانية عشر عاما من الكفاح وسنوات طويلة ايضا في اعقاب الاستقلال ..

ولكن قدرها انها ولدت مناضلة لتظل كذلك .. فوجودها اصله اجتماعي ودورها ليس اكثر من دور تاريخي على اهميته وخطواته ..

ومن هنا بقاء كاتب مثل «كاتب ياسين» دون غيره من كتاب الرواية المغربية .. لانه استطاع ان يحافظ على التوازن وان يجمع المعادلة الصعبة، فلم يفقد ادبه روح النضال التي تمنحه جواز السفر الى التاريخ او وصف الحياة اليومية الذي يعطيه حق الاقامة داخل المجتمع، في الوقت الذي يحصل فيه على تأشيرة خروج الى العالم الرحب الفسيح من خلال شاعريته ومن خلال ربط الاسطورة بالواقع للتحليق في المجال الجوي الانساني والعبور بموانئ العصور الممتدة في البحر اللانهائي، بحر الأدب الرفيع ..

والغريب بعد ذلك ان معظم كتاب الرواية المغربية قد وجدوا انفسهم بلا دور بعد الاستقلال، فأقاموا اقامة كاملة بباريس «ميحى، ديب، كريباه، شرايبي» وحاولوا كتابة ما يسمى بالرواية العلمية .. او اهتموا بتدريس الأدب مع تخصيص مادة كاملة لتاريخ الرواية المغربية كما يفعل معمري وآسيا جبار .. او تركوا العمل الأدبي واتجهوا الى العمل السياسي والديبلوماسي مثل المسعدي وبن جلون .. او استمروا في العمل الصحفي بعيدا عن الابداع مثل الاشرف وبوربون.

ولكن جيلا جديدا يتهيأ لحمل الراية التي لا يزال يمسك بها ويرفعها عاليا «كاتب ياسين» وخاصة بعد ان جرب الكتابة باللغة العربية وحقق نجاحا كبيرا ..

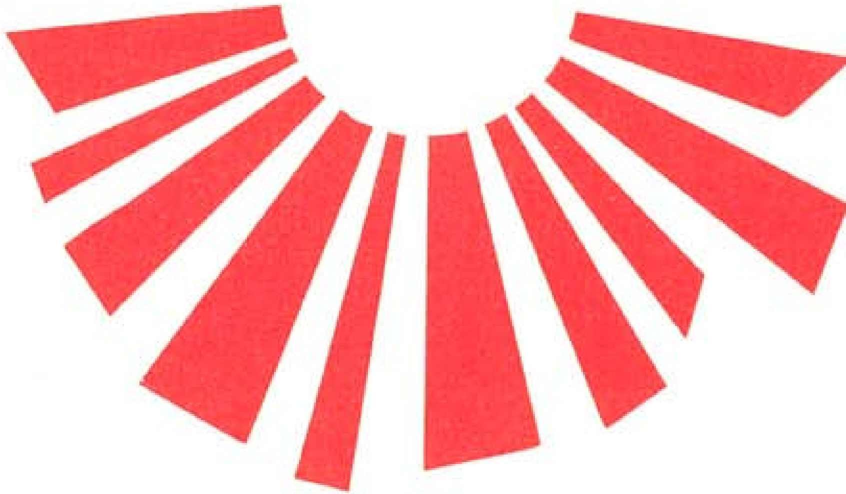
فالرواية المغربية التي ولدت ناضجة وفتية لا يمكن ان تموت بالنصر او تموت من النصر .. فالنصر حياة جديدة وميلاد جديد قادر على تجديد الشباب، شباب «الرواية المغربية».

النورس

قصة قصيرة

للأديب اليوناني المعاصر: إيليا فينيزي

ترجمها عن اليونانية: د. نعيم عطية



"إن ما يجعل فينيزي جديرًا بأن يضم إلى كبار كتاب القصة الأوروبيين، هو الطلاوة والبساطة وإيقاع الروح السامية، والنكهة الإنسانية، وقدرة القصاص"

جاميتون بيكون



إيليا فينيزي

من اشهر ادباء اليونان المعاصرين. ولد بآسيا الصغرى في الرابع من مارس ١٩٠٤.

كتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية والدراسة النقدية. من ابرز اعماله «حياة الأسر» عام ١٩٣١ وهو ذكريات شخصية طبعت بطابع العصر كله و «ارض اليونان» عام ١٩٤٣ وفيه يتحدث عن طبيعة بلاده، والرباط العميق بين الانسان وما حوله من كائنات وموجودات، وعندما ترجم هذا الكتاب الى الانجليزية كتب لورانس داربل مقدمته. وفي عام ١٩٣٩ م صدرت له رواية «سكينة» وهي تحكي عن جماعة من الناس طردوا من ديارهم فلجأوا الى جزيرة جرداء مهجورة ألقت بهم اليها المقادير. فراحوا يكافحون من اجل الاستقرار عليها. وبعد مشاق طويلة اخذت الارض تخضر وينبت ما بذروه من قمح. ويبرز المؤلف على الاخص شخصية الطبيب «ديمتري فيني» وهو من النوع الذي لا يفقد ايمانه بسهولة، ويمضي منتشيا بعزيمة تضيء قلبه بنورها، وتشحذ نشاطه على العمل من اجلها، وتجعل لايامه معنى مهما كان جديها ومشاقها. ثم اصدر روايته الثانية عام ١٩٥٠ وهي بعنوان «الخروج».

مجلة الفيصل - ص ١٤٠







وقد كان فينيزي واحد ممن كتبوا صفحات عديدة عن حياة اليونان في اتون الحرب. ونذكر على وجه الخصوص كتابه «ساعة الحرب» الذي جمع فيه عدة قصص تدور احداثها في فترة الحرب العالمية الثانية، والاحتلال النازي لبلاده. وقد عاود الكتابة عن بطولات الناس العاديين في مجموعته القصصية الثانية «المهزومون» ويجد الفن القصصي عند فينيزي امتداده ايضا في ادب الرحلات .. ومن كتبه في هذا المضمار «خريف في ايطاليا» الصادر عام ١٩٥٠. اما في مجال المسرح فنذكر مسرحيته «الجناح الثالث» عام ١٩٤٥

وقد ترجمت اعمال ايليا فينيزي الى العديد من اللغات الاجنبية، واعترف به كواحد من الاصوات المتفردة في آداب القرن العشرين. فيقول عنه الناقد الفرنسي جابتون بيكون «ان ما يجعل فينيزي جديرا بأن يضم الى كبار القصة الاوروبيين، هو الطلاوة والبساطة وايقاع الروح السامية والنكهة الانسانية وقدرة القصاص».

وسوف يتجلى للقارئ صدق كل هذا من قراءته لهذه القصة «النورس». وليس ما يسمع في ادب فينيزي نغمة حزينة تقطر تعاسة ويأسا بل هي نغمة شجية لا تقطع صلاتها بالأمل.





الجزيرة الصغيرة في شمال **«ليزفو»** الواقعة بين **«بيترا»** و **«موليفو»** جرداء ومهجورة، ليس لها اسم، والصيادون الذين يعملون في مياه تلك النواحي يطلقون عليها **«الجزيرة»** فحسب دون ادنى اضافة، وباستثناء شجيرات الحسك والشوك التي تغطي اديمها، ليس بالجزيرة شجرة واحدة، تلوح على بعد ثلاثة اميال. جبال «ليزفو» وادعة متآلفة الخطوط والالوان والحركة، وبازاء تلك الوفرة التي تكتسي بها الارض المقابلة، تبدو الجزيرة العارية بخطوطها الصارمة اكثر عزلة ووحشة.

ولكن من جزازة الارض المستطيلة هذه، بإمكانك في الصيف ان ترى الشمس تسقط في رحاب اليم المترامي الاطراف. وعندئذ تصطبغ المياه بشتى الالوان، وتمضي متغيرة في كل لحظة كما لو كانت تذوب في الامواج الزاهية، وعندما تكون الامسيات صحوة والسماء صافية، يمكنك ان تميز جبال آثور تبزغ من البحر الرحيب، على انها لا تلبث ايضا ان تخبو من الليل الذي يخطو قادما. في هذه الساعة سوف يأتي **العم ديمتري** قاطن الجزيرة المهجورة الوحيد – سوف يأتي بالحركة الاخيرة التي تربطه بالبشر والحياة: سوف يوقد النور في الفنار، وسوف يبدأ هذا النور يضيء وينطفئ، ثم يمضي وينطفئ في الفترات المتقطعة ذاتها بصرامة وحتمية، مثل القوى الغامضة في الحياة، مثل قدر الانسان ومثل الموت.

جذب حارس الفنار العجوز القارب على الرمال، ووضعه في مكان امين فقد ينقلب الجو بالليل، فتمتد اليه المياه، ثم ألقى عليه نظرة اخيرة قبل ان يمضي في طريقه الى الفنار.

– اذن، انتهت هذه الرحلة ايضا..

قال ذلك بصوت خفيض.

قال لنفسه وسكت. هذه الرحلة الى الشاطئ المقابل يقوم بها مرة كل شهر، يذهب الى هناك من اجل مؤنته، من اجل الدقيق والزيت، ومن اجل سائر لوازمه. في اول الامر كان في كل رحلة يقضي في القرية اليوم كله، يتجاذب اطراف الحديث مع اصدقاء قدامى. يعرف اخبارا عن البلد، وعن البشر، يعرف ما اذا كان الناس في حرب ام في سلام.

كان صراف الجمارك ينقده مرتبه قائلا:

– كل شهر وانت طيب يا عم ديمتري

كان العجوز يهز رأسه شاكرا، ويقول له:

– اراك بخير يابني، ان كان لنا عمر.

كان يدعو الله لولديه.

– احفظها من سورات الغضب ومن شرور الزمن، ومن الشجار وحد السكين..

ثم كان يتمتم وتدب الرعشة في ساقيه الهرمتين.

كان يقول:

– آن اواني كي استريح بدوري.

وتغرورق عيناه بالدموع.

في الشارع كان يقف ويتابع الاولاد وهم يلعبون جميعا يعرفونه، فاذا ما رأوه صاحوا به:

عم ديمتري .. عم ديمتري..

كان يشتري لهم بندقا ويوزعه عليهم، فيهللون فرحين:

– لا تتأخر في العودة الينا، ايها الجد العزيز .. لا تتأخر..

هذا ما كان يحدث في كل رحلة .. كل مرة، ولكن كلما ولت السنين قلت ألفته بالناس. وازدادت العزلة استحواذا عليه يوما بعد يوم. كانت تمتصه، كما لوكانت تقطر في كيانه سطوتها المخيفة، مضى في كل رحلة يقلل قدر امكانه من الوقت الواجب قضاؤه في القرية من اجل اعماله.

ما عاد يسأل عن اخبار .. ما عاد يسأل عما يجري في الدنيا، لم يعد يعرف عن ذلك شيئا، مع فوات النهار ينحسر العالم من حول الجزيرة المهجورة، وتنغلق على نفسها، ومن حولها البحر العميق تتراقص على صفحته الالوان والشمس في طريقها الى المغيب.

آخر الصحاب الذين تبادل معهم الحديث، كانوا بعضا من الصيادين الذين يرسون بالجزيرة مليا، وقد وجدوا لديهم من الوقت فسحة ليحطوا بها الترحال، كانوا يبقون على الشط حيث تخمد حركة الموج، ويتحدثون عن شقائهم وقدرهم .. في كثير من الاحيان يمضون الليل هناك، وعندئذ في الساعات الطوال الى ان تشرق الشمس، كانت تفرغ احاديث الآخرين فتجيء الساعة المهيبة ليتحدث بدوره عن ولديه ايضا.

كان الصيادون يقولون له:

– من يدري .. ربما كانا على قيد الحياة، وبخير، يا عم ديمتري هكذا مثل نورسيك اللذين عادا اليك.

لم يكن ينطق بكلمة .. لم تكن تصدر عنه نأمة .. عيناه الساكنتان مثبتتان على اعماق الليل.

– اجل .. ياعم ديمتري .. مثل نورسيك .. هكذا يمكن ان يعودا، ويأتيا .. لا تيأس..

وعندئذ كان الصيادون يذكرون – بهذه المناسبة – نورسي عم ديمتري.

يقولون له:

– حقا .. كيف امكنك ان تستأنسها ياعم ديمتري .. لم يسمع قط بأن طيور النورس تستأنس!!

ويتمم العجوز قائلا:

– هذا ما يحدث ياأبنائي .. الوداعة تسود هنا على الارض .. يسود كل شيء، عدا الانسان الذي يظل ضاريا.

كانوا يسألونه ان يحكي لهم مرة اخرى حكاية الطائرين، على الرغم من انهم كانوا يعرفونها، كما يعرفها كل قاطني اليابسة المواجهة .. وجدهما صغيرين بين الصخور .. فرخين لم يغط الريش جسميهما بعد، كان الوقت شتاء آنذاك. اشفق عليهما، وحملهما الى كوخه بالقرب من الفنار، احتفظ بهما ورباهما، مطعما اياهما صغار السمك الذي يعلق بشبكته، ذات يوم خطر له ان يطلق على كل منهما اسما.

– ايه انت، سنناديك..

قال لأحد الطائرين:

اذن انت سنناديك فاسيلاكي. وانت ايها الآخر سنسميك ارغيري..

وهكذا بدأ يناديهما منذ ذلك الحين باسمي ولديه. ورويدا ..رويدا ألف النورسان هذين الاسمين.

عندما كبرا، وجاء الربيع، فكر العجوز ذات صباح انه ليس من الجائز ان يبقى الطائران في الأسر، وقرر ان يطلق سراحهما، فتح القفص الكبير المصنوع من الغاب، وامسك بأحد الطائرين .. امسك به بين يديه، وربت عليه، احس بقلبه خفيفا.

قال للطائر:

– هيا .. اذن .. يافاسيلي.

وفتح يديه كي يتركه يطير..

طار النورس ورحل.

اخرج الآخر ايضا .. لاطفه مثلما لاطف الاول، وتركه بدوره .. كان كل شيء وديعا ذلك النهار، وكذلك الليل عندما اقبل كان حانيا ووديعا .. كل ما هناك .. احس العجوز انه ازداد وحشة وعزلة.

تلك الليلة ذاتها، آوى الى كوخه مبكرا، فسمع على شباكه الصغير دقات خفيفة، دنا منه، وألقى نظرة .. لم يصدق .. طار من شدة الفرح، كما لو كانا ابنيه قد رجعا.

فتح الباب ليدخل النورسان.

ومن ذلك الحين، يحدث هذا كل يوم، يخرج الطائران في الصباح، يسافران الى يابسة الاناضول المقابلة، فيبلغان «زيغري» يرفرفان عليها بأجنحتها، وبالليل يعودان. في مرات عديدة كانا ينضمان الى اسراب من نوارس اخرى، وتطير جميعا في سماء الجزيرة المهجورة، فاذا طارت على ارتفاع خفيض، امكن للعجوز ان يميزهما بفضل ما كان لهما من نقط رمادية تحت الجناحين، واذا ما خرج بقاربه كان الطائران بدورهما يحومان هناك قريبا منه، يهبطان من ارتفاعهما ويزقزقان فوقه.

كان الصيادون الآخرون في تلك النواحي قد عرفوهما ايضا، فاذا رأوهما صاحوا ضاحكين:

هيه .. يافاسيلي .. هيه ياأرغيري..

هكذا مضت الايام في الجزيرة الموحشة، يتوالى الامس واليوم والغد على ذات الوتيرة، سلسلة من الايام الهامدة، انهر وليال ليس فيها ما ينتظر سوى الموت..



ذات امسية من امسيات الصيف حدث امر غير مألوف، لم يعد النورسان ولا ظهرا في اليوم التالي .. انقضت الليلة ايضا دون ان يبدو لها اثر.

– ربما سافرا بعيدا..

هكذا فكر العجوز متحايلا على قلقه.

وفي صبيحة اليوم التالي جلس – كما اعتاد ان يفعل على رصيف الفنار، نظر الى البحر الرحيب .. في لحظة .. خيل اليه ان اديم اليم تماوج على بعد في البحر الفسيح .. الدلافين تمر .. تابعها وهي تخط حركاتها المتكاسلة خارج الماء، ثم تعود وتغطس في اللجة.

– دلافين هي، هذه المرة ايضا.

ولكن بعد هنيهة رأى انها لم تكن كذلك.

قال محفلا:

– انهم بشر.

نزل الى الشاطئ .. وراح ينتظر .. بعد قليل تبين انهما شخصان يسبحان جنبا الى جنب، بحركات بطيئة واثقة، ومن ورائها الامواج الصغيرة تطمس الاخاديد التي يشقها في الماء جسداهما.

عاد يفكر قائلا:

– ترى، ماذا يريدان ؟

لا يذكر ان جاء الى هنا احد من قبل لممارسة السباحة .. فضلا عن انه لا يبدو من حولها اي قارب يمكن ان يكونا قد قفزا منه.

بعد قليل، وصلا.

اندفع الجسمان المبللان من البحر الى الشاطئ.

نظر احدهما الى الآخر، ومد ذراعيه عاليا.

قال وهو يستنشق الهواء بقوة.

– آه .. كم كان الامر جميلا.

وردد الآخر نفس العبارة

– كم كان الامر جميلا..

بعد ذلك، جريا نحو حارس الفنار.

قال احدهما:

– انت عم ديمتري، حارس الفنار ؟

اجاب مرتبكا:

– اني انا .. هل اصابكما مكروه ؟

– آه .. كلا .. قررنا امس ان نقوم بهذه الرحلة، وها نحن قد جئنا..

سأل العجوز دهشا:

– من اين ؟

– من الشاطئ المقابل .. من «بيترا».

لا يعرف العجوز ديمتري ماذا يقول .. يتمتم فحسب بأنه لا يذكر ان احدا جاء اليه من قبل، في رحلة مثل هذه.

– آه .. حقا..

سأله الآخر:

– هل ذهبت الى اثينا ذات مرة .. ياجداه ؟

قال:

– كلا .. ولا مرة..

– هل تتمنى ان تذهب اليها ؟

بصوت خفيض .. يكاد لا يسمع قال:

– كلا .. فات الأوان الآن.

– لا بد انك في غاية العزلة هنا .. ياجداه.

– اني في غاية العزلة..

صمتوا .. مضى بعض الوقت، عاليا مرّ سرب من النورس



.. ينهض العجوز ويدخل الى الكوخ ليحضر لهما قليلا من المربى، من الشباك الصغير، بإمكانه ان يرى الولدين وهما مستلقيان على وجهيهما وجسداهما لازالا ترتعش عليهما قطرات من ماء البحر، لوحتهما الشمس بلا رحمة .. انهما هناك مثل تمثالين من البرونز .. فجرهما البحر.

– جداه .. هل تأتي بدورنا الى الداخل ؟

يجيب مرتعدا:

– قادم انا .. قادم..

احضر لهما مربى لوز .. وماء بارد..

يتمتم قائلا كما لو كان يريدهما ان يسامحاه..

– ليس عندي شئ آخر..

يمسك به احدهما من يده كي يجلس إلي جواره..

– اجلس .. اجلس .. ياجداه..

جلس..

قال لهما وجلا:

– تعاليا غدا ايضا بالليل .. سأصطاد لكما سمكا..

- آه .. ألم تكن تعرف ذلك بعد ؟

يعض الفتى شفتيه، ولكن فات الاوان .. يخبره بالقصة .. كيف انهم - صحبة من الشباب - خرجوا للصيد، نزلوا الى الشط .. انخفض النورسان عن مستوى بقية السرب .. اطلق صديقها الرصاص من اجل ان يجرب .. وبعد ذلك، تعرف بعض الصيادين، كانوا على مقربة من المكان، على الجناحين الموشيين بالنقط الرمادية.

مضى العجوز يصغي، ويصغي .. ليس في الامر شيئا ذا بال، كانا مجرد نورسين..

قال الثاني .. بصوت دافئ، وقد استولى عليه الأسى بسبب الحزن الاخرس الذي ران باديا على الوجه الهرم..

- لم يكن يعرفون ياجداه .. لم يكن يعرفون..

وهو يهز رأسه ببطء مقدرا:

- اجل .. اجل .. انهم لم يكن يعرفون..

مضت برهة صمت طويل..

يقول احدهما..

- يجب ان ننصرف..

ينهض الآخر..

- فلننصرف

يمضيان في المقدمة .. ومن خلفهما بقليل يأتي العجوز وصلوا الى الشاطئ

- سلامنا اليك .. ياجداه..

قالها احدهما ثم تناول يد العجوز ليقبلها فربت على شعره .. وتمتم متأثرا:

- فليباركما الله..

رحلا .. يتابع وقتا طويلا الشق الذي يحدثه في ماء البحر كل من جسديهما، حتى تغيبا من امام عينيه .. ويظل البحر دائم الوحشة .. مترامي الاطراف.

يهبط الليل .. كان قد جلس الى الرصيف، والساعات تمر كل شئ يتتابع امام عينيه المعتمتين .. سنوات صباه .. الولدان اللذان رباهما ثم ضاعا .. الناس الذين اذاقوه المرارة .. كل شئ يخطر، وكل شئ ينطفئ .. الولدان اللذان كانا هنا في هذا المكان ذاته، منذ بضع ساعات خلت، وسرب من النورس يطير عاليا .. نورسان لهما جناحان على ريشها بقع رمادية .. وهؤلاء يمرون ويضيعون .. ما من شئ يعود ابدا..

اطرق رأسه، انحدرت دموعه الى الارض اليابسة .. من فوقه كان نور الفنار يومض وينطفئ مرة تلو مرة، في الفترة الزمنية ذاتها، بصرامة ودون ان يكون منه ثمة مفر.

- اننا نرحل غدا .. باللخسارة، اننا لم نحضر كل هذه الايام التي كنا فيها هنا .. هل انت في هذه الوحشة على الدوام .. ياجداه ؟

- على الدوام..

يتمتم الآخر قائلا:

- آه .. الآن فهمت .. ماذا كان يعني الطائران بالنسبة لك..

- اجل .. يابني .. هذا هو الامر .. العزلة..

ثم عاد الفتى يقول بعد قليل:

- يجدر بك ان تغفر لهم .. ياجداه .. لوكانوا يعرفون ما كانوا قد اقدموا على ما فعلوه قط.

لا يفهم العجوز .. يقف مندهشا:

- عمن تتكلم .. يابني ؟

- عن أولئك الذين قتلوا طائريك .. ياعم ديمتري .. انهم اصدقاء لي..

احس بركبتيه ترتعدان، وقلبه يدق..

بصوت خفيض يسأل:

- تقول قتلوهما ؟

جلسة مع فتاة غير عصرية

غراء فرعاء مصقول عوارضها ... لا «بالكريم» ولا معجون اسنانِ
في قرننا العشرين مازالت هنا ... «ليلى» تحاكي حسن غصن البانِ
بيضاء كالبللور.. في وجناتها ... خجل .. تورد حمرة .. فكواني
تسري اليّ كنسمة شرقية ... تنضو ثياب العصر.. والاحزانِ
في قرننا العشرين مازالت هنا ... «جولييت» في بستانها.. تلقاني
فرعاء.. لكن.. كيف تحسب عمرمن ... تنمو بعيدا.. خارج الأزمانِ؟

○

يافتنتي أنا قد هرمت.. فلم أزل ... اعدي بداء العجز.. من يهواني
عشرون قرنا تستريح على يدي ... من لي بقلب غير قلبي الفاني
«أحَبَبت؟» يالي من سؤالكِ شدني ... من رقدتي في حلمي الوسنانِ
لي قدر عمركِ مرتين حكاية ... نسجت بها احداثها أكفاني
قالت – وما أحلى الكلام وصوتها ... يرمي اليّ بأعذبِ الألحانِ
«أتحبني؟» وضحكت حين رأيتها ... شدت حقيبتها على السيقانِ
وأجبتها: بالطبع ياعصفورتي ... ياربةَ الحسن الذي أعاني
فظننت اني قد زففت شبابَكِ ... لكهولةٍ.. تمشي بها قدمانِ

○

في قصرك العالي.. وحولك زمرة ... من راقصاتِ اللهوِ والفرسانِ
يتبارزون على جمالكِ في الضحى ... في ردهةِ القصرِ.. وفي الأركانِ
وأنا هنا.. في عامنا السبعين ... من قرنٍ به ما فاقَ كل أوانِ
من لي بصبر«ابن الملَوحِ» ساهرا ... وأنا أعيش بعصر اجزاء الثوانِ
من لي بسيفِ ابن الملَوحِ والدنَى ... خرجت الى حربٍ مع الاكوانِ؟
من لي بدرعِ ابن الملَوحِ والدنَى ... صَهَرت سيوفَ الهندِ بالنيرانِ
من لي «بمنجرد الأوابد هيكل» ... والطائرات تَئِز كالبركانِ
من لي بليلٍ اكتب الشعرَ به ... والليل حولي.. الفَ بوقٍ دانِ؟

○

يافتنتي.. عشرون قرناً بيننا ... نَزَلَت جداراً حَط كالبنيانِ
وطفولة الدنيا لديكِ رحيقها ... فامضِ.. الى أقرانكِ الفتيانِ
أما أنا.. أنا لست إلا ساعةً ... قد كَف عقربها.. عن الدورانِ

عمر بطيشة

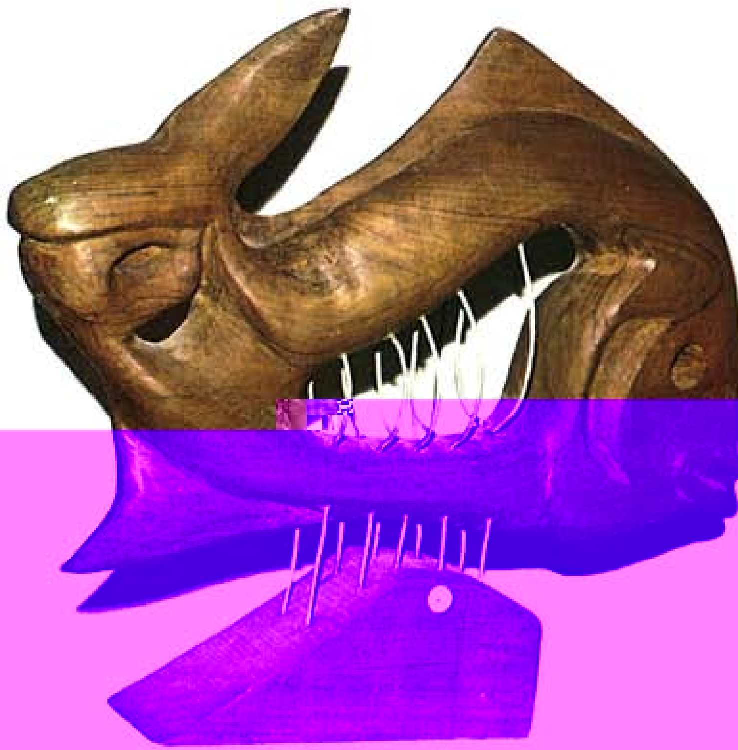


واقع الفن التشكيلي العربي المعاصر

بقلم : د. صالح رضا

ألحق يقال ان الحركة التشكيلية المعاصرة، لم تتواز مع التطور العام في العالم العربي. وظلت بعيدة وفي منأى عن هذا التطور ، متعالية عليه ومستكبرة في خوض معركة نضال الشعوب من اجل الاستقلال والتقدم، هذا بجانب بعض الصراعات الفردية، التي لم يكتب لها النجاح الكامل. ولقد خدع الفنان التشكيلي بقضية الشكل الفني وتناسى ان قضية المضمون والشكل، هي في الحقيقة، جوهر الفن الذي يدفع الشعوب الى حياة أفضل مما عليها.

ولذلك فقد وقع الفنان التشكيلي، في هوة سحيقة بينه وبين متطلبات التطور ومما لاشك فيه، ان الصراع الفردي في هذه الآونة قد عجز عن مواجهة قوة التطور السياسي والاقتصادي، التي سارت من اهم الاسباب التي تشكل النمو الاجتماعي وان الخطأ الاكبر قد وقع على الفنان التشكيلي، لانه عجز عن دفع عجلة التطور، وانزوى بعيدا عن حلبة الصراع، واكتفى ببقائه في برجه العاجي ينشد لنفسه انشودته الخاصة، متباكيا على وضعه الاجتماعي وبعده عن الجماهير،



ولذلك فقد قدرته على التأثير في جوهر الحياة الاجتماعية، وظل ينشد العزلة، مدعيا عدم فهم الجماهير لفنه الخاص ولا ننسى الذين ساهموا بقدر كبير في دفع قضية الفن التشكيلي افرادا وجماعات ممن لم يكتب لهم النجاح الكامل.

واذا اردنا تحديدا واضحا عن بداية الحركة التشكيلية المعاصرة في العالم العربي، فقد كانت البداية الاولى بعد فترات الركود، هي بداية هذا القرن اثناء فترات الاحتلال، التي سادت العالم العربي.

أولا: الوضع السياسي:

الحركة التشكيلية العربية المعاصرة اثناء مرحلة الاستعمار:

عندما وقع العالم العربي تحت وطأة الاستعمار الغربي وسادت الخلفيات التي رسمها الاستعمار لهذا الواقع، وبث فيها واقعاً فنياً غريباً عن عضوية التكوين الحقيقي الذي سمح لوجوده بالبقاء من خلال بذر الثقافة الغربية، والذي نال الفن الجزء الاكبر من هذا التشويه في انسجة المجتمع. ولقد شاهد العالم العربي، فنونا سطحية بعيدة بعدا كليا عن واقع المجتمع، وانحرف الفن عن مواكبة رغبات الجماهير العريضة. استثناء من ذلك بعض الطفرات القليلة التي سطعت وسط ركام فترات الانحراف الفني.



أثر التطورات السياسية في المجتمع العربي:

لقد خاض المجتمع العربي، معارك سياسية ضارية في سبيل دفع الوطن العربي والقضية العربية، الى التقدم والرقي. بعد فترات التخلف الحضاري، الذي ساعد الاستعمار على تواجدها في واقع المجتمع مخلفا تركة ثقيلة من التخلف الفكري والاجتماعي – ولقد سبق التطور السياسي، تطور مسبق من خلال المعارك الثقافية والسياسية على يد كثير من المثقفين والفنانين العرب، ولقد ساعد هؤلاء الرواد في فتح ابواب الاستقلال الفكري والفني الى الاستقلال السياسي.

ولكل بداية أخطاؤها نظرا لتراكم الفكر الاستعماري، الذي ساعد في انحراف الحركة التشكيلية عن وضعها الطبيعي، وجعل الفن التشكيلي بشكل عام بعيدا بعدا كليا عن متطلبات القاعدة العريضة من جماهير الشعب وسار الفن فترة كبيرة يعبر عن ارهاصات فردية مريضة، ينمو نحو

الكويت



المغرب





السعودية



تونس

التقليد الاعمى للحركات الفنية الاوربية المتدنية.

ولقد ساعد هذا الوضع في جعل الفنان العربي، في هوة سحيقة، وفي خلاف دائم بينه وبين الجماهير العريضة، وعجز عن التعبير عن رغبات الدفع الفني الجديد.

ولقد ثبت الاستعمار بذكاء خارق - قوى الاستعمار الحقيقية في فهم الفن ومدلوله الثقافي حتى أثر في بعض الحركات الفنية والثقافية التي ساهمت في التفاعل البناء في العالم العربي.

وتجاهلت عاملا مهما من ان الفن ينبع من خلال المدركات الطبيعية وان الابتعاد بالفنان عن خضم القضايا الاجتماعية ورغبات المجتمع اتاح فرصة جيدة للاستعمار بان يطمس معالم الحضارة العربية، وجعل هذه المجتمعات في حالة دائمة من التخلف، موحيا بان يكون الفن التشكيلي ظاهرة سطحية وان يبتعد في نفس الوقت عن كونه اداة تغيير حضاري.

وان يظل الفن بوتقة خاصة بعيدا عن الأبعاد الاجتماعية معلنا في نفس الوقت ان الفن هو الجمال البحت متناسيا دور الفن الحقيقي. وبقدر ما كانت الفرصة متاحة أمامه في غزو الارض العربية بالسلعة الفنية التي بالتالي شكلت شكل المجتمع الاستهلاكي للسلعة الفنية الرائجة - وجعل هذه السلعة نوعا من الاحتياج الضروري - مستبعدا في ذلك الفنان العربي في محاولة لابتكار هذه السلعة وجعله بعيدا عن هذا التفكير، مركزا على ان الفن يجب ان يكون بعيدا عن الصناعة، وان الصناعة هي شكل من اشكال الحرفة، والاقلال من قيمة الحرفة نفسها في جعلها داخل اطارات ضيقة محدودة لتفقدها نموها الطبيعي وقدرتها على التطور وان تظل الحرفة الفنية محتفظة بشكلها القديم - وحفاظا على القديم من حيث الشكل السطحي، خوفا من ان تأخذ هذه الحرف الى اتجاه التطور العلمي، ويتم عن طريق ذلك تطور المجتمع وارتقاؤه حضاريا.

ثانيا: الوضع الاقتصادي:

الاستعمار الفني الجديد:

من خلال السيطرة الصناعية الاستعمارية على شكل المنتج العربي الحديث، دخل الاستعمار من خلال التخلف الاجتماعي للمجتمعات العربية بالغزو الجميل.

مما سبق يدل على ان الدول الاستعمارية، قد كونت فلسفة سياسية اقتصادية اجتماعية فنية. وهذه الفلسفة لها القدرة على محو او اضعاف الاطارات التقليدية. وقد انبثق عن هذا قطاع اقتصادي حديث، متخذا من السلعة الفنية غرضا اساسيا للغزو الاقتصادي، وهو في معظم الاحوال قطاع الاقلية، يعيش جنبا الى جنب مع قطاع اقتصادي تقليدي مضى عليه الزمن من الناحية التكنولوجية، ويخيم عليه شبح المجاعة اذ يتجه ما بين سبعين في المئة، وتسعين في المئة من جهوده الى انتاج الطعام كما يتميز بانخفاض نسبة الانتاج والاستثمار، وانشغاله بالاكتفاء الذاتي والهرب من الريف واقامة البلدان الكبيرة التي تدفق اليها آلاف القرويين على اختلاف اجناسهم واصولهم. واحتكاكهم الاول بالتكنولوجيا الحديثة كل هذا اوجد مجتمعا قلقا يسيطر عليه دافع الربح.

وادى الى تكوين عالم تحطمت فيه الامال الخادعة على ارض الواقع القاسية.

ان الاعتراضات التي تثار ضد اتخاذ التاريخ الاجتماعي للفن وسيلة لتفسيره، تنبع في معظمها من محاولة تحميل هذا التاريخ الاجتماعي باهداف ليس في وسعه النهوض بها. واي محاولة من جانب التاريخ الاجتماعي لتصوير طراز خاص من طراز الفن على انه التعبير المباشر المتجانس عن شكل محدد من اشكال المجتمع، انما تكون محاولة فجة جدا فالفن في عصر معقد اجتماعيا لا يمكن ان يكون متجانسا، على الأقل لان مجتمع ذلك العصر ليس متجانسا وسنجد فيه عددا من الاتجاهات الاسلوبية المتباينة بقدر ما في ذلك المجتمع من مستويات ثقافية متباينة.

ان التاريخ الاجتماعي للفن يؤكد - وهذا هو التأكيد الوحيد الذي يستطيع ان يقدم الدليل عليه - ان الاشكال الفنية ليست مجرد اشكال نابعة من الوعي الفردي - يحددها السمع او البصر - وانما هي ايضا تعبير عن نظرة الى العالم يحددها المجتمع.

ان اكبر خطر يتعرض له تاريخ الفن هو ان

يصبح مجرد تاريخ للاشكال والمشكلات وهو خطر تعرض له تاريخ الفن باستمرار.

وان القضايا الشكلية للفن ومهامه الشكلية قضايا لاشك في اهميتها وهي ليست من توهم احد او من اختراع اصحاب المناهج، ولابد لأي محاولة لوضع تاريخ علمي للفن ان تتابع هذه الاشكال والمشكلات ... بيد ان الاعمال الفنية لا تظهر الى الوجود كحل لتلك المشكلات، بل تظهر المشكلات خلال انتاج الاعمال الفنية التي تنتج للاجابة على اسئلة لا ترتبط كثيرا بالمشكلات الشكلية او التكنيكية، بل هي اسئلة ترتبط بالنظرة الى العالم، وبالسلوك في الحياة، والمعرفة.

مفهوم الفن التشكيلي وعلاقته بالمجتمع:

لن اكون مبالغا اذا قلت ان الفن والمجتمع هو اداة التصور الحضاري وليس عكس هذا كما قيل من قبل، على ان الفن «مرآة عاكسة للمجتمع» بل هو «علم تغيير الحياة» لان الفن لا يتطور بمنطقه الداخلي الخاص دون تدخل اية عوامل تنتمي الى مجال خارج عنه، بل هو يرتبط دائما (بالعامل الاجتماعي) الذي هو في واقع الامر عامل اقتصادي وسياسي وثقافي وتاريخي في آن واحد.

والفن هو تاريخ البشرية – ذهنا وجسما وهو التطور الذي يستهدف به الانسان حياة أفضل على الدوام ولا يمكننا ان نتخذ من الفن موقفا محددا ونكتفي بايضاح طبيعة الفن من خلال الفن ذاته. وانما ننظر الى الفن داخل اطار واسع – وهو اطار الحياة الاجتماعية الحضارية الانسانية في عمومها وشمولها اعتبارا على ان الفن هو الاحتياج الحقيقي للانسان لتحقيق رغباته ووجوده ولا يمكن ان نأخذ الفن من موقف محدد ونكتفي بايضاح طبيعة الفن من خلال الفن ذاته.

ولتوضيح كلمة الفن عبر تاريخ النضال الانساني التي اخذت صورا متغيرة نتيجة للمراحل التي مر بها الانسان، ولكن رغم التوضيحات والتفسيرات الكثيرة التي كتبها الفلاسفة والمؤرخون، ظل هناك تعبير واحد لا يختلف عليه انسان «وهو ان الفن افراز اجتماعي» مختلف باختلاف المجتمعات والرغبات واذا اردنا تحديدا علميا بمعنى افراز اجتماعي – هو التحديد العلمي لمنطق الكيمياء – هو ان جزئ المادة يحمل صفات المادة – اي ان الجزيء هو جزء من المادة الذي استخرج منها.

ونظرا لان كلمة (مجتمع) كلمة شمولية تتضمن انماطا اجتماعية مختلفة، التي ترتبط ارتباطا كليا وجزئيا. فاذا تصورنا مجتمعا ما نتج عنه فن ذو شكل يختلف عن الشكل الاجتماعي الكائن به يصبح هذا الفن كالعضو الغريب داخل هذا المجتمع ويصبح امرا مرفوضا لا يمكنه ان يتعايش معه ... كما يرفض الجسد عضوا غريباً عنه. فاذا لابد ان يكون الفن هو نتاج مجتمع يحقق له رغباته واحتياجاته – هذا اذا اخذنا في الاعتبار ان (الفن هو شمول حضاري).

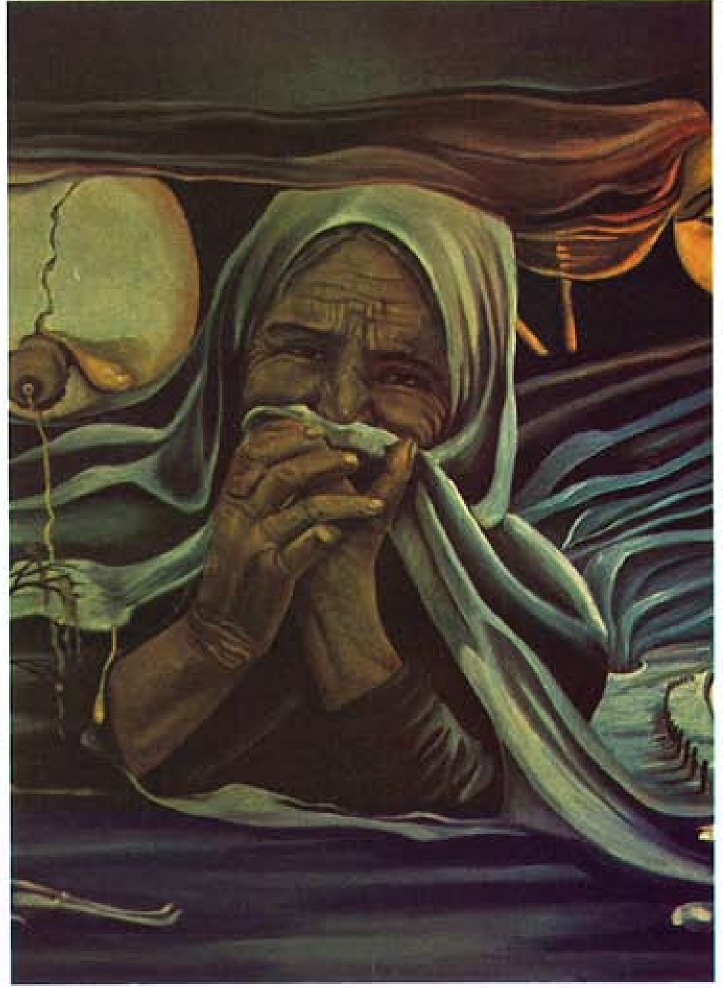
وبالنظرة السريعة الى الحضارات القديمة نرى كيف كان الفن والمجتمع كانا دائما في وحدة متكاملة – لان الرغبات الانسانية هي التي تحدد شكل الفن داخل مجتمعها – في وحدة متكاملة – واذا اعتبرنا ان الفن هو احدى الرغبات او الرغبة الاولى في الحياة اعتبارا على ان الفن هو الاحتياج بمعناه الشمولي نرى ان الفن ملتصق التصاقا كليا بالحياة الاجتماعية، او بالمعنى الاوضح ان الفن هو نتاج رغبة الانسان داخل اطار المجتمع. وان الفن سيكون ضرورة في المستقبل كما كان في الماضي ويمكننا القول ان تلك الوظيفة لم تتغير مع تغير المجتمع ان لم تنشأ للفن وظائف جديدة.

على ان الفن ليس شيئا ثابتا جامدا – وان وظيفة الفن تتغير مع تغير العالم الذي نعيش فيه. وان كل فن هو وليد عصره، ويتلاءم مع الافكار السائدة في وضع تاريخي محدد – او يمضي الى ابعد من هذا المدى. فهو يجعل كذلك من اللحظة التاريخية المحددة لحظة من لحظات الانسانية الهامة التي تنشد التطور بكل الظروف المحيطة به.

التخلف الاجتماعي وأثره على الفن التشكيلي:

ان الفن في مجتمعنا العربي المعاصر، لا يزال يجاهد جهادا مريرا للتخلص من بقايا التخلف الذي فرضه الاستعمار علينا قرونا بعد قرون. فالاستعمار هو الذي اسهم اكبر الاسهام في خلق تلك الحدود البيئية، واقام ذلك التقسيم الجغرافي الذي جعل شعوب المنطقة العربية شعوباً متجزئة منقسمة على نفسها وكان الاستعمار يعلم مسبقا ان هذا الانقسام في صالح مطامعه واغراضه. وهو يعلم ايضا ان الشعب العربي بدون فن لن يكون شعبا حضاريا، ولذلك قد قام بوضع الحواجز المصطنعة بين الشعب الواحد.

ولقد بدأت بادرة امل في ان يأخذ الشعب العربي مكانه التاريخي فوق خريطة القرن العشرين، الا ان الفن التشكيلي لم يتمكن من مسايرة حركة التطور الاجتماعي، وبعده عن





فلسطين

الهدف الذي من اجله نشأ الفن هذا غير بعض المحاولات الفردية التي عجزت عن تحقيق الفن. داخل اطارات المجتمع. وتخلفت عن الرؤية العامة العريضة للجماهير العربية.

وكانت اهم الأسباب التي ساعدت على خروج الفنان عن طريقه الصحيح هي:

١ – عدم الادراك الواعي بوظيفة الفن. وضرورته في هذه المجتمعات وذلك نتيجة لعدم وجود الثقافة الفنية.

٢ – انعزال الفنان التشكيلي داخل نطاق مشكلته الفردية. وبعده عن احتياجات الجماهير العريضة.

٣ – لم تعط بعض الحكومات الفنان الرعاية الكافية. لكي يقوم بدوره الريادي في معركة الحضارة.

٤ – امتلاء الأسواق العربية بالسلع الاجنبية – مما ادى الى فقدان المصمم الفنان

ولهذه الاسباب مجتمعة اصبح الفن التشكيلي في الدول العربية. بعيدا عن احتياجات الجماهير. والاستعاضة بالسلع الفنية المستوردة – وهكذا نجد ان كل هذه الاوضاع قد ساعدت مساعدة فعالة وحقيقية على عزلة الفنان عن دوره القيادي في صنع الحياة.

ولا اخص بالذكر بعض الدول العربية التي تحررت اقتصاديا. والتي هي الان في طريقها نحو وضع الفنان في مكانه الصحيح – سواء من حيث ارتباطه بالعوامل الاقتصادية او بالاوضاع الاجتماعية – وعلى الوجه الآخر في بعض الدول العربية. نجد ان الظروف السياسية وما صاحبها من تخلف علمي وفني قد ادى بها الى نوع من التجمد لهذه الشعوب حتى لقد اخذ الفن يذوى وينزوي من حياة بعض الشعوب العربية.

وعلى النقيض من هذا. كان الفنان العربي القديم. يقدم للحضارة الانسانية وللجماهير العريضة فنا يتمشى مع احتياجاته الاجتماعية والمعيشية. ولذلك كان الفنان العربي القديم يصنع الحضارة ولم يكن في يوم من الايام مستهلكا لها – ولم يتخل عن ابسط الاشياء في اضافة لمسات الفن لها ووضع بصماته الفنية عليها.

دائرة المعارف

(أ)

الاتحادات الرياضية السعودية:

أنشئ بالمملكة رسميا ١١ أتحادا رياضيا للألعاب المختلفة، وهي أعضاء في اللجنة الأولمبية العربية السعودية، والاتحادات الدولية، وهذه الاتحادات هي: الاتحاد العربي السعودي لكرة القدم، الاتحاد العربي السعودي لكرة السلة، الاتحاد العربي السعودي للكرة الطائرة، الاتحاد العربي السعودي لألعاب القوى، الاتحاد العربي السعودي للدراجات، الاتحاد العربي السعودي لكرة اليد، الاتحاد العربي السعودي للتنس وتنس الطاولة، الاتحاد العربي السعودي للسباحة، الاتحاد العربي السعودي للسلاح، الاتحاد العربي السعودي للرماية، الاتحاد العربي السعودي للجمباز، كما أنشئت بالمملكة الجمعية العربية السعودية لبيوت الشباب وهي عضو في الاتحاد العربي لبيوت الشباب.

(ب)

برج مياه الرياض:

تم انجاز هذا البرج في أوائل عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ويقع هذا البرج الشاهق بمدينة الرياض في الحديقة المجاورة لمقر مجلس الوزراء، وارتفاعه ٦١م ويتكون من خزانين أولهما رئيسي يستوعب (١٢) ألف متر مكعب من المياه، ويصل المستوى الأعلى فيه الى ارتفاع ٥١م فوق سطح الأرض، وثانيهما يعلو الخزان الأول ويستغل عندما تصل متطلبات الاستهلاك اليومي للمياه في المدينة ذروتها، وهو يتسع لمقدار (٣٥٠) الف م مكعب من المياه ويصل المستوى الأعلى للمياه فيه الى ارتفاع ٥٨م فوق سطح الأرض.

أما عمود البرج فمن الخرسانة المسلحة، ويتوسط عمود البرج محور قائم عليه مصعدان كهربائيان ويضم البرج في اعلاه صالة انيقة ذات شرفات زجاجية محيطة بالبرج، لتكون كمنتزه علوي يحيط بمدينة الرياض من جميع الجهات وبذلك يعتبر برج الرياض واحدا من المعالم الحديثة بالمدينة.

(ت)

التليفزيون:

في عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م دخلت المملكة العربية السعودية عصر التليفزيون، وكانت محطة تليفزيون شركة (أرامكو) تغطي جانبا من المنطقة الشرقية ببرامجها العربية والانجليزية قبل ذلك التاريخ (وتوقف ارسالها باللغة العربية عند بدء محطة تليفزيون الدمام عملها). وقد وردت أول اشارة للتليفزيون في البيان الوزاري الذي اذاعه جلالة الملك فيصل - طيب الله ثراه - أيام ولايته للعهد ورئاسته مجلس الوزراء في ٢ جمادي الثانية ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

وبعدها بدئ في تنفيذ محطتي المنطقة الوسطى (الرياض) والمنطقة الغربية (جدة) بقوة ارسال مبدئية (٢ كيلووات) عبر هوائي في كل من المحطتين ارتفاعه ثلاثمائة قدم مما يغطي مسافة تتراوح بين ثمانية ومائة كيلومتر مربع، وقد بدأت محطتا الرياض وجدة عملها في ٩ ربيع الأول ١٣٨٥هـ (١٧ تموز/يوليو ١٩٦٥م) وفي نفس الوقت كان قد شرع في انشاء المحطات الأخرى ومحطات التقوية اللازمة. وكانت المرحلة الثانية من الشروع في ايصال البث التليفزيوني الى مكة المكرمة والطائف من محطة جدة وتم ذلك في عام ١٣٨٧هـ، وانشئت لذلك مرسلة على الكيلو ٢٢ (طريق جدة - مكة) ثم مرسلة (بالهدا) بالطائف.

وفي شوال ١٣٨٧هـ (ديسمبر ١٩٦٨م) افتتحت محطة منطقة المدينة المنورة ثالث المحطات التليفزيونية.

وفي المرحلة الرابعة (ربيع الثاني ١٣٨٨هـ)، افتتحت المحطة الرابعة وهي محطة **القصيم** وفي المرحلة الخامسة (شعبان ١٣٨٩هـ) افتتحت المحطة الخامسة وهي محطة تليفزيون الدمام التي تعتبر أكبر محطات المملكة من حيث القوة والمسافة والحجم.

أما مشاهد التطور في تليفزيون المملكة: ففي شهر ذي الحجة ١٣٩٤هـ (يناير ١٩٧٥م) بدأ التليفزيون في التقاط وعرض الأحداث الخارجية بعد ساعات قليلة من وقوعها عبر محطة الأقمار الصناعية، وفي أواخر عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م كان التليفزيون قد أصبح جديرا بنقل مناسك الحج الى العالم أجمع عبر شبكات الأقمار الصناعية. وفي ٢١ شوال ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م وقعت المملكة وفرنسا اتفاقية تتضمن المبادئ الأولية للتعاون بين البلدين لتطوير التليفزيون السعودي وأدخال النظام الفرنسي (سيكام) الملون والذي بدأ البث به في شهر رمضان ١٣٩٧هـ.

ث

ثاني كبريتيد الكربون:

سائل رائق لا لوني قابل للاشتعال، سام، النوع النقي عديم الرائحة، اما التجاري فرائحته كبريتية كريهة جدا، اثقل من الماء بربع مرة.

يذوب في البنزين والاثير والكحول وقليل منه يذوب في الماء، يستعمل مذيباً للدهون والراتينجات والمطاط والشموع والكبريت والورنيش والأطلية ويستخدم في التدخين ضد الحشرات.

ج

جمعية الكشافة العربية السعودية:

عرفت المملكة العربية السعودية النشاط الكشفي عام ١٣٦٣هـ (النشاط المنظم) عندما تكونت الفرقة الكشفية الأولى في مدرسة تحضير البعثات الثانوية، والمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، وعلى أثرها أنتشرت الحركة الكشفية في بعض مناطق المملكة، وعندما تحولت (مديرية المعارف) في المملكة الى (وزارة المعارف) عام ١٣٧٣هـ أنشئت في عام ١٣٧٤هـ ادارة عامة لرعاية الشباب بوزارة المعارف كان من بين اختصاصاتها العمل على نشر الحركة الكشفية في مدارس المملكة وفي عام ١٣٧٥هـ أصدرت الادارة العامة لرعاية الشباب أول نشرة كشفية منظمة طلبت فيها من كل مدرسة ثانوية وما في مستواها أن تشترك بعدد ١٢ كشافا يجري تدريبهم لكي يصبحوا نواة للفرق الكشفية. وفي عام ١٣٧٦هـ قامت (رعاية الشباب) تعميم نشرة كشفية عام ١٣٧٦هـ تقضي بتأسيس (زمرة الأشبال) في المدارس الابتدائية وفي عام ١٣٧٩هـ انشئ قسم التربية الكشفية ضمن ادارة رعاية الشباب.

وفي عام ١٣٨١هـ صدر مرسوم ملكي بالموافقة على انشاء (جمعية الكشافة العربية) السعودية تشرف عليها وزارة المعارف، وتقوم الجمعية بتدريب الشباب على مختلف الفنون والمهارات الكشفية واعمال الخدمة العامة في اطار من تعاليم الدين الاسلامي وقد نظمت الجمعية في صيف عام ١٣٨١هـ (دورة الطائف) وعلى الصعيد الخارجي اشتركت الجمعية في معسكر قطر الذي أقيم بالدوحة عام ١٣٨١هـ لكشافي منطقة الخليج ثم المعسكر العربي الكشفي الخامس بالرباط عاصمة المملكة المغربية عام ١٣٨٢هـ.

ح

حائـــــل:

احدى مدن المملكة .. وحاضرة منطقة حائل، تقع على وادي (الأديرع) الذي يشق مجراه بمحاذاة الطرف الشرقي من جبل «أجا» التاريخي ويتجه نحو الشمال الشرقي مارا بالبقعاء حيث تغيض مياهه في رمال النفوذ.

وتشير بعض المصادر التاريخية الى أن اسم (حائل كان يطلق على الوادي أما المدينة الحالية فكانت تعرف في الأصل باسم (القرية) التي يرى بعض المؤرخين أنها المقصود اليوم باسم (عقدة) الواقعة على بعد (٧) كم غربي حائل أما المؤرخ (سبرنجر) فيعتقد أن حائل هي المدينة التي ذكرها (بطليموس) باسم (آركعام)، وقد حفلت كتب

الأدب العربي والمصادر التاريخية كثيرا بذكر اسم مدينة حائل ..

ولقد زارت حائل (الليدي آن بلنت) حفيدة الشاعر الانجليزي الشهير (بيرون) في شتاء عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م وسجلت انطباعاتها في كتابها (رحلة الى بلاد نجد) أما الآنسة (جرترودبل) فقد سجلت مشاهداتها في مذكراتها التي كتبتها عن حائل عام ١٩١٣م.

والمستشرق الرحالة الفنلندي (جورج أوغست فالين) زارها سنة ١٨٤٥م وقد أشتهر باسم الشيخ عبد الولي، وهو أول أوربي زار هذه المنطقة وسجل أعجابه بها في كتابه الذي ترجم تحت عنوان (صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر).

وترتفع حائل عن مستوى سطح البحر بحوالي ٣٥٠٠ قدم وتقع في سهل منبسط على بعد ٤ كم من حافة جبل أجأ الشمالية الشرقية، ويصل بينها وبين الرياض طريق معبد طوله ٢٨٠ كم.

خ

الخــــزرج:

قبيلة عربية كانت تنزل هي والأوس التي انحدرت معها من أصل واحد اقليم المدينة المنورة ثم اتسعت منازلها شمالا في مستهل الاسلام حتى بلغت خيبر وتيماء. وهاتان القبيلتان هما اللتان عرفتا في التاريخ الاسلامي بالانصار تشريفا وتكريما لما كان لهما من شأن هام في قيام الاسلام.

والمعروف أنهما هاجرتا من جنوب بلاد العرب لما تصدع سد مأرب في القرن الخامس الميلادي تقريبا.

ولما وصلتا الى يثرب أسموها فيما بعد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بني الخزرج شعراء النبي: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة.

د

الدانــــوب:

أكبر أنهار أوروبا بعد الفولجا، وتقع عليه مدينة فيينا عاصمة النمسا ويبلغ طوله نحو ٢٨١٦كم بوسط وجنوب شرق أوروبا، وهذا النهر مقصد الفنانين وعشاق المناظر الطبيعية.

وينبع من هضبة الغابة السوداء بجنوب عربي المانيا، ويجري نحو الجنوب الشرقي بوجه عام عبر جنوبي المانيا وشرق النمسا والمجر وشمال شرقي يوغوسلافيا، وجنوب شرقي رومانيا ليصب في البحر الأسود ويعتبر نهر الدانوب شريانا حيويا للمواصلات ولكن حجم التجارة التي يحملها أصغر بكثير من تجارة نهر الراين.

واسم الدانوب في لغات العالم المختلفة هو:

روناو (بالألمانية) ورونا (بالمجرية) وروناف (بالصربية الكرواتيه) وروناريا (بالرومانية) والدانوب (بالعربية).

ذ

الذخائـر والتحــف:

كتاب ألفه القاضي الرشيد بن الزبير (في القرن الخامس الهجري) وقد حققه عن نسخة فريدة الدكتور محمد حميدالله. قدم له وراجعه الدكتور صلاح الدين المنجد الكويت، ١٩٥٩م/(٣٦٧ص + ١٦ لوحة).

جمع القاضي الرشيد في هذا الكتاب حكايات في هدايا الملوك، وكبار الأمراء ووصف الولائم المشهورة والأيام المشهودة والاجتماعات، وبيان الغرائب الموجودات والذخائر المصونات، والترك الموروثات، والمغانم في الفتوحات، والنفقات.

وموضوع الكتاب نادر فريد، لم يعن به الا القلائل من المؤلفين .. ومن خلاله يمكن ان يفيد الدارس في أمرين:

أولهما: الحضارة الاسلامية العربية كما تبدو من خلال الذخائر والتحف التي وجدت في قصور الخلفاء والملوك والولاة والقادة والناس والهدايا التي تبادلوها، والولائم التي أقاموها.

وثانيهما: الصلات الدبلوماسية التي قامت بين ملوك العرب وملوك أوروبا والهند، والرسائل التي تراسلوا بها والتحف التي تهادوها، فهو من هاتين الناحيتين يقدم مادة خصبة

لدراسة الحضارة العربية الاسلامية في جوانبها الأقتصادية والفنية والخلقية ويظهر عبقرية العرب والمستعربين في الابداع الفني، كما يكشف لنا صفحات من عز العرب وصلاتهم بملوك الأرض، والناحيتان مهمتان وكلتاهما جديرة بالعناية.

ر

الرعـــــاف:

نزيف من داخل تجويف الانف، وله مسببات بعضها محلية والبعض الآخر لأسباب عامة.

ومن الأسباب المحلية المسببة للرعاف حدوث اصابات للأنف والتهاب شديد، وقرح، واحتقان أو ورم في داخل الأنف، حميدا أو غير حميد.

ومن الأسباب العامة المسببة للرعاف ارتفاع في ضغط الدم، ووجود بعض أمراض الدم مثل مرض الأسقربوط أو الفرفورة، أو اصابة الشخص بأنواع شديدة من الحمى تأخذ اتجاها نزفيا.

ز

الزبرقـــــان:

هو الزبرقان بن بدر الصحابي رضي الله عنه، وكان الزبرقان مرتفع القدر في الجاهلية ثم كان سيداً في الاسلام، وكان من الشعراء المحسنين، وفد على النبي (ص) في وفد بني تميم، وكانوا جمعا فأسلموا وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحسن جوائزهم وذلك سنة تسع من الهجرة، وكان يقال للزبرقان قمر نجد لحسنه، وولاه الرسول (ص) صدقات قومه، فلما قبض رسول الله (ص) وارتدت العرب ومنعت الصدقات ثبت الزبرقان على الإسلام، وأخذ صدقات قومه فأداها الى أبي بكر فأقره أبو بكر ثم عمر على الصدقات بعد ذلك.

وأما عن اسمه فقالوا الزبرقان لقب له، واسمه الحصين، وانما قيل له الزبرقان لحسنه والزبرقان في اللغة اسم القمر، (هكذا نقله الجوهري) وقال ابن السكيت وحكاه الجوهري وآخرون (وانما قيل له الزبرقان لصفرة عمامته). يقال زبرقت الثوب اذا صفرّته وقالوا: وكان يلبس عمامة مزبرقة بالزعفران.

س

سـباق الماراثـــون:

سباق في العدو لمسافة طويلة، استمد اسمه من قرية وسهل ببلاد الاغريق القديمة على بعد ٣٢كم الى الجنوب الشرقي من أثينا حيث انتصر الأثينيون والبلاتيون على الفرس ٤٩٠ق.م، ويقال ان شابا أثينيا جرى مسافة ٣٢ كم (هي مقدار المسافة بين أثينا وقرية الماراثون) ليحمل نبأ النصر الذي أحرزه الأثينيون على الفرس.

وفي الدورة الأولى للالعاب الأولمبية الحديثة التي أقيمت بأثينا عام ١٨٩٦م أدخل لأول مرة سباق في العدو لمسافة طويلة سمي (سباق الماراثون) وكان طول هذه المسافة حوالي ٤٠كم.

ش

شركة الحفـر العربيـة:

تألفت هذه الشركة عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) برأسمال مصرح به قدره عشرة ملايين ريال سعودي، تساهم كل من (بترومين) بنسبة ٥١ في المائة وشركتي (فوريكس ولونجدسيان فورنكو) الفرنسيتين بنسبة ٤٩ في المائة منه ولمدة ١٥ عاما قابلة للتجديد وقد عرفت هذه الشركة باسم (شركة الحفر العربية) ومهمة هذه الشركة القيام (على أساس تعاقدي) بجميع عمليات الحفر على اختلاف انواعها للتنقيب عن الزيت والمعادن والمياه والجوفية.

ص

صندوق التنمية العقاريـة:

صدر المرسوم الملكي رقم م/٢٣ بتاريخ ١١ جمادي الثانية

١٣٩٤هـ بانشائه بهدف منح المواطنين قروضا بدون فوائد تصل الى ٧٠٪ من قيمة تكاليف المسكن المخصص للاستعمال الشخصي، و ٥٠٪ من قيمة تكاليف المسكن المخصص للاستثمار.

وقد صدرت الموافقة الملكية على قرار مجلس الوزراء رقم ١٠٢٠ بتاريخ ٢٠ رجب ١٣٩٤هـ للسماح بالسداد الجزئي للقروض الممنوحة للمواطنين لبناء المساكن بغرض الاستعمال الشخصي، وهذا الجزء من القرض الذي تم تغطيته والذي يصل الى ٢٠٪ من قيمة تكاليف البناء سيكون بمثابة اعانة حكومية للاسكان.

ض

الضمـــان الاجتماعـــي:

يرتكز نظام الضمان الاجتماعي السعودي على نقطتين اساسيتين: أولاهما تخصيص معاشات دورية دائمة لغير القادرين على العمل، وتخصيص مساعدات وقتية للعاطلين الفقراء او المرضى الفقراء، تتوقف عندما يتم تشغيل الفقير المتعطل أو شفاء المريض الفقير.

وثانيتهما: تأهيل القادرين من الفقراء ليعملوا في صناعات تدربهم عليها مؤسسات الدولة، حتى اذا استطاعوا كسب رزقهم الحلال عن طريق عملهم يكون قد تم تحررهم من العوز، كما أفاد منهم المجتمع في زيادة انتاجه وقد صدر مرسوم ملكي في عام ١٩٦٢م (١٣٨٢هـ) باقامة نظام الضمان الاجتماعي وأقام معه أجهزة تنفيذية.

وقد انشئت لذلك المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) التي تمتعت بالشخصية الاعتبارية المستقلة، وجعل مركزها مدينة الرياض وتهدف الى: رسم الخطة العامة للضمان الاجتماعي بالمملكة والقيام بكل أنواع النشاط الذي يستهدف خدمة أغراض الضمان الاجتماعي في المجتمع السعودي واعداد المشروعات الانتاجية التي تستهدف زيادة موارد المؤسسة وتنفيذها، وتشغيل أكبر عدد من السعوديين.

ط

طِبَـــاق:

أصطلاح بلاغي، يطلق على الجمع بين معنيين متضادين، وسمي أيضا المطابقة والتضاد. وينقسم الى طباق ايجاب: يكون اللفظان المتضادان فيه مثبتين، وطباق سلب: ينفى فيه أحد اللفظين، ويأتي لفظاه من نوع واحد:

اسمين أو فعلين أو حرفين ومن نوعين مختلفين، وفرعه البلاغيون الى أقسام شتى لاكثار الأدباء منه عندما عدوه من المحسنات البديعية، وأطلق على طباق أبي تمام (تنافر الاضداد) لأنه لم يكتف بالتقابل اللفظي الساذج، بل تعمقه وأبعد فيه، وحمله الأفكار العقلية البعيدة الغور.

ظ

ظَـــبي:

حيوان ثديي مجتر ذو أظلاف، من رتبة مشقوقة الظلف، الفصيلة البقرية، او الفصيلة الظبيية، توجد الظباء الأصلية بآسيا وأفريقيا ومن الأنواع الافريقية، النباح والكتنبور وأيل المستنقعات والامبالة أو البالة والمرامري والنيالت والبنجو أو الظبي الأزرق والظبي ذو الاربعة قرون والظبي الأسود وتعيش بالهند.

ع

عـــين زبيـــدة:

سميت نسبة الى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، اذ كانت أول من أوصلت الماء النقي الى مكة المكرمة بعد أن كانت تعتمد في سقياها على الآبار فقط، وكانت تنضب احيانا، وظل سكان مكة يعانون صعوبة في الماء، حتى قيض الله لهم هذه السيدة فقامت بهذا المشروع الجليل الضخم الذي كلفها حسب تقديرات المؤرخين حوالي مائتي ألف مثقال من الذهب.

ومنبع هذه العين في وادي النعمان الذي يبعد عن عرفات حوالي ٣٠ كم. وقد عنيت الحكومات المتعاقبة على الحجاز باصلاح مجاري العين، كما نالت الرعاية الكاملة في العهد السعودي حيث عمل على توسيع الانتفاع بها، وانشئت الخزانات وعملت زيادات لمجاريها على أوسع

نطاق، وأوصلت المياه الى اجزاء بعيدة من مكة ما كانت تصل اليها من قبل، وأصبح الماء متوفرا في مكة وعرفات ومنى وتشرف على ادارة هذه العين واصلاحها هيئة رسمية.

غ

غزوة ذات السلاسل:

غزوة جرت ابان حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يشترك فيها الرسول وسميت كذلك نسبة الى عين ماء بالقرب من المدينة تعرف بالسلاسل من قولهم (سلسل الماء).

وقد جرت غزوة ذات السلاسل عام ٨هـ (٦٢٨م) بعد غزوة خيبر، وقاد جيش المسلمين فيها عمرو بن العاص على أثر اسلامه يصحبه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا ثم انضم اليهم مدد اشترك فيه ابو عبيدة وابو بكر وعمر، والتقوا بالمشركين من قبيلتي بلي وعذرة وحملوا عليهم فتفوقوا، واراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو لأسباب بسطها للرسول (ص) بعد ذلك فحمد له فعله.

ف

فــــــيروز:

معدن تركيبه فوسفات الألومينيوم المائية والنحاس ويستعمل في صناعة الجواهر ونادرا ما يوجد في الحالة المتبلورة، يتراوح لونه بين الرمادي الضارب الى الخضرة والأزرق السماوي.

أشهر أماكن وجوده نيسابور في ايران، حيث يستخرج من الحمم البركانية كما يوجد في شبه جزيرة سيناء، وجنوب غرب الولايات المتحدة.

ق

القيثـــــارة:

آلة وترية قديمة، اشتهر استعمالها في أوروبا في القرن ١٦ بعد أن أتخذت شكلها الحالي. وهو صندوق خشبي مسطح الوجهين، وجانباه ينحنيان الى الداخل فيشبه الى حد ما صندوق آلة الكمان أو الفيولا ويشد بها أربعة أوتار وقد تزاد الى سبعة أوتار.

ويستخرج منها النغم بواسطة قسمة أوتارها بالأصابع وتهز أوتارها بمضراب يشبه مضراب العود، وقد تحرك أوتارها بالأنامل فتؤدي وظيفة آلة ايقاعية، وأكثر استعمال هذه الآلة في المجموعات الآلية (اوركسترا).

ك

كابـــــول:

عاصمة أفغانستان، وتقع مدينة كابول على نهر كابول في منطقة مشهورة بزراعة الفاكهة، اتخذها السلطان المغولي بابر ظهير الدين محمد حاضرة ملكه (١٥٠٤ – ١٩) بدلا من قندهار برزت اهميتها في أثناء الحرب الافغانية الأولى (١٨٣٩ – ٤٢).

ل

اللجنة العليا للتوعية الاسلامية:

تم تشكيل هذه اللجنة بوزارة المعارف بالقرار الوزاري رقم ١/١٠٦٦/١٨/٦/٣٢ بتاريخ ١٣٩١/٣/١١هـ ووضعت لها لائحة خاصة هدفها الاساسي تدعيم المبادئ الاسلامية في نفوس الطلاب وترسيخ الأفكار السليمة. في أذهانهم وضمان الاستمرار في دفع الشباب وتهيئته لحمل الرسالة الاسلامية بنفسه والقيام بها بدافع ذاتي.

م

موتسارت، فولفجانج أماريوس:

موسيقي نمسوي كتب أول سيمفونية له وهو في الثامنة من عمره، وأنجز اولى اوبراته وهو في الحادية عشرة، كان كثير التجوال بين فينا وميونيخ وباريس ولندن وايطاليا مما أكسبه شهرة عالمية، ولقد بلغ من اعجاب الشعب الايطالي به واكباره له حدا بعيدا، وقد لقبوه لذلك بلقب (أماريوس) ومعناه المحبوب، فعلق به وأصبح جزءا من اسمه حتى انه صار لا يوقع اسمه الا مقرونا بذلك اللقب.

وبالرغم من انتاج موتسارت فانه ظل فقيرا، غارقا في الديون، يعيش عيشة الفنان الكدود، ومن أشهر أوبراته (زواج فيجارو) و (الفلوت الساحر) و (دون جوان) كما أنه ترك عددا كبيرا من السيمفونيات والكثير من المقطوعات الموسيقية وروائع من الكونشرتو، وما لا يمكن حصره من المعزوفات الصغيرة والمارشات والأغاني.

ن

النســـائي:

هو ابو عبد الرحمن احمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، الحافظ ولد بنسأ في خراسان عام ٨٣٠هـ كان شيخ أهل عصره في الحديث وسكن بمصر وانتشرت تصانيفه بها، وأخذ عنه الناس.

وهو أحد أصحاب الكتب الستة في الحديث، رحل في طلب العلم وتجول كثيرا ودفن بمكة المكرمة حيث توفي عام ٩١٥م. أخذ عنه أئمة الحديث بالحجاز والعراق والجزيرة ومصر والشام كاسحق بن راهويه وأبي داود السجبستاني، وهو أقل رواة السنن في الأحاديث الضعيفة، وكانت أغلب كتبه في الحديث وأهمها (السنن)، وهو مقسم تقسيما موضوعيا في (٥١) قسما تحت كل قسم ابواب، وقد اختصره في (المجتبي) وهو أكثر ضبطا وقام بشرحه جلال الدين السيوطي.

و

وجـــــدة:

مدينة تقع شمال شرق المغرب الأقصى بالقرب من الحدود الجزائرية، أسسها زيري بن عطية عام ٩٩٤، وهي ملتقى طرق المواصلات، ومركز تجاري.

هـ

الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس:

أنشئت هذه الهيئة بمقتضى المرسوم الملكي رقم ١٠/م الصادر في ١٣٩٢/٣/٣هـ، وكان نظامها قد صدر بالقرار رقم ١٧٢ بتاريخ ١٣٩٢/٢/٢٥هـ.

وتختص بوضع واعتماد نصوص المواصفات القياسية الوطنية المتعلقة بالقياس والمعايرة والرموز وتعاريف المنتجات والسلع وأساليب أخذ العينات، وغير ذلك مما يصدر به قرار من مجلس ادارة الهيئة، ونشر هذه المواصفات والتوعية اللازمة بشأن التوصيف والتوحيد القياسي. ومقر هذه الهيئة بمدينة الرياض وللهيئة أن تنشئ فروعا اخرى في المملكة، ولها شخصيتها الاعتبارية.

ي

يـــن:

وحدة العملة اليابانية، وهو من الذهب، ضرب ١٧٩٨ ليحل محل الين الفضة. وضربت من الذهب أيضا قطع من مضاعفات الين. كل ين واحد يساوي مائة سن، أي يساوي ١٠٠٠ رن.

وفي ١٩٥٣م أصبحت قيمة الدولار الأمريكي ٣٦٠ ين.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١– قيمة المسابقة عشرة الاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي:

أ) الجائزة الأولى ٥٠٠٠ ريال

ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال

جـ) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال

وهناك سبع جوائز اخرى قيمة كل جائزة اشتراك في المجلة لمدة عام.

٢– المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وأرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الأسم ثلاثيا او رباعيا – ان امكن – مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣– ترسل الاجابات على العنوان التالي:
(الرياض – المملكة العربية السعودية – مجلة الفيصل – ص.ب (٣) المسابقة).

٤– أية اجابة تصل بعد ٣٠ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥– ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان أغلب اسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦– من حق القارئ ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

السؤال الاول:

رتب اسماء الجوامع التالية حسب تاريخ انشائها .. مع ذكر البلدان التي توجد فيها هذه الجوامع:
الجامع الأموي – جامع عمرو بن العاص – جامع القرويين – جامع الزيتونة – جامع عقبة بن نافع.

السؤال الثاني:

هل كانت السيدة خديجة بنت خويلد من المهاجرات مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة ؟
الاجابة: (نعم، لا) مع ذكر السبب.

السؤال الثالث:

«**أم المساكين**» لقب عرفت به احدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .. من هي ؟

السؤال الرابع:

بعض المشاهير من ارباب القلم - ادباء وشعراء - عرفهم القارئ من خلال القاب اشتهروا بها اكثر من اسمائهم:
شاعر القطرين - امير البيان - شاعر الشباب - صناجة العرب - شاعر الارز - شاعر الهوى والشباب - شاعر الكرنك - شاعر الجندول.

المطلوب ذكر اسمائهم الحقيقية.

السؤال الخامس:

هو اصلب مادة على سطح الارض .. ويستخدم كأداة لها فائدتها الصناعية .. كما ان له قيمته كحلي .. وزينة للتجميل..

.. ما هو ؟

السؤال السادس:

عالم .. مات كفيفا .. وهو الذي فتح عيوننا على عجائب الفضاء بابحاثه بواسطة التلسكوب الذي كان لديه بالبندقية ..
هل هو: (نيوتن)، (بيكون)، (جاليليو)، (كولمبس) ؟

السؤال السابع:

ايهما اكثر في دم الانسان العادي .. كرات الدم البيضاء، ام كرات الدم الحمراء، وماهي وظيفة كل منهما باختصار ؟

السؤال الثامن:

متى .. وبقيادة من فتح العرب المسلمون الاندلس .. ومتى كانت نهاية حكمهم .. مع ذكر ثلاث مدن انشئت في عهدهم ؟

السؤال التاسع:

للسيف في اللغة العربية مجموعة من الاسماء والصفات اذكر خمسة منها.

السؤال العاشر:

هذه اسماء عرفت بها بعض البلدان في السابق .. فما هي الاسماء الحالية لهذه البلدان ؟
خراسان - ساحل الذهب - شنقيط - بلاد العرب السعيدة.

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
(العدد الثاني)

الاسم: ....
المهنة: ....
العنوان: ....

كتب وردت للمجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح امام القارئ آفاقا اوسع وارحب وابعد مدى».

مطبوعــات وزارة الاوقاف المغربية

من مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط – المغرب التي وردت الينا:

– الموسوعة المغربية: للاعلام البشرية والحضارية، وضعها الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله، صدر منها الجزء الاول ويقع في ١١٩ صفحة من القطع الكبير. الجزء الثاني ويقع في ١٥٦ صفحة من القطع الكبير، الجزء الثالث ويقع في ١٧٦ صفحة من القطع الكبير.

– دعوة الحق: مجلة شعرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، تصدرها وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف بالمملكة المغربية ورد منها:

العدد السابع: السنة السابعة عشر (رجب ١٣٩٦ – يونيه ١٩٧٦).

العدد الثامن: السنة السابعة عشرة (شوال ١٣٩٦ – اكتوبر ١٩٧٦).

العدد التاسع: السنة السابعة عشرة (ذو القعدة ١٣٩٦ – نوفبر ١٩٧٦).

العدد العاشر: السنة السابعة عشرة (محرم ١٣٩٦ – ديسمبر ١٩٧٦).

المجتهد المغربي

المجتهد المغربي: ابو عبد الله «بن المناصف» كتاب يتناول ترجمته وآثاره ومنحاه في الاجتهاد بقلم محمد ابراهيم الكتاني، من سلسلة مطبوعات وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والاهلي بالمملكة المغربية يقع في ٧٢ صفحة من القطع الكبير.

ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية

كتاب يتضمن كل ما يمت بصلة الى تاريخ العلم والاجتماع والأدب والفن في البلاد التونسية منذ ان استقرت بها طلائع الفتح العربي الإسلامي، حتى العصر الحاضر، تأليف: **حسن حسني عبد الوهاب**، يقع في ثلاثة اجزاء من القطع الكبير، الناشر .. مكتبة المنار – تونس ١٩٧٢.

تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب

هذا هو الجزء الاول من هذا الكتاب، الذي يؤرخ للحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب الريفية الى اعلان الاستقلال، تأليف: **عبد الكريم غلاب**. يقع في ٣٥١ صفحة من القطع الكبير. عام ١٩٧٦.

فاس في سبع قصص

مجموعة قصصية تصور الحياة والناس في مدينة فاس، وتعنى بتصوير الشخصية في جميع تقلباتها ونقد المجتمع في كافة صوره، مع الحفاظ على روح الالتزام بتقاليد وقيم الانسان المغربي تأليف: **احمد بناني** مع مقدمته لفضيلة الرئيس علال الفاسي، يقع في ١٣٦ صفحة من القطع المتوسط الناشر: مطبعة الرسالة الرباط.

تفسير التحرير والتنوير

تأليف سماحة الاستاذ الامام الشيخ **محمد الطاهر بن عاشور**، مؤلف ضخم يقع في عدد من الاجزاء، ويعني ببيان وجوه الاعجاز في القرآن الكريم، ونكت البلاغة العربية، واساليب الاستعمال فضلا عن بيان تناسب اتصال الآى بعضها ببعض، ومعاني المفردات في اللغة العربية بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره، وكما يقول صاحبه «مطولات القماطير» فنية على حد تعبيره أحسن ما في التفاسير، وفيه احسن مما في التفاسير. يقع كل جزء في ٣٨٧ صفحة من القطع الكبير الناشر: الدار التونسية للنشر.